الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران(السانيا)
كلية الآداب، اللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

بعنـــوان :

الاستشراق الفرنسي و الترجمة في الجزائر

مشروع: الاستشراق وأثره في الدارسات الأدبية.

إشراف الدكتور:
* ابن سعيد محمد

إعداد الطالب:
* حمو عبد الكريم

لجنة المناقشة:

* الأستاذ الدكتور	بن حلي عبد الله	رئيساً
*الأستاذ الدكتور	مسعود أحمد	عضوا مناقشاً
* الأستاذ الدكتور	ابن سعيد محمد	مشرفاً ومقررا

السـنة: 2008/2007

شكر و عرفان

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأصلي وأسلم صلاة دائمة إلى يوم البعث والنشور؛ على سيدنا وقدوتنا محمداً الهادي الأمين،أما بعد :

كل تشكراتي القلبية إلى أستاذي الفاضل بن سعيد محمد الذي كان لي الناصح الأمين والأب الحنون والمعلم الرشيد...

كما أقدم شكري إلى زملائي الأساتذة والطلبة الذين قدموا لي النصح والتوجيه لإتمام هذه الرسالة....

الإهـــــداء

الإهـــداء

أهدي هذا البحث:

إلى خير البرية وسيد الخلق محمد بن عبد الله شافع الأمة وكاشف الغمة الذي قال في حقه المولى عز وجل ( ) آل عمران:31.

إلى من كابد وصبرا على تربيتي ورعايتي بعد الباري عز وجـل، والذي قـال المولى في حقهـما:( ) الإسراء:24 .

إلى كـل مـن علمني الكتابـة والقـراءة والحسـاب...

إلى كـل مـن يحب اللـه ورسولـه...

أهـدي هـذا العمـل المتواضـع ....

المقدمة

المقـدمـة:

الاستشراق مُصطلحٌ وَاسعٌ يشمل ميادين عِدَّة، تَعْمل في حقل الدِّارسات الشَّرقية المختلفة، و يُرادُ به اليّوم دِّراسة الغربيين لتُراث الشَّرق ومُكَوناته اللُّغوية والأدبية والفلسفية والعَقَائديـة، وعُدَّ المستشرق هو كُلُ كاتب أو عالم غربي غير مسلم يكتب عن الشرق وعن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، وقد اِتَّفَق البَّاحثون على أنَّ الفكر الاستشراقي أضحى علماً مستقلاً يُصـدِر أحكامًا ويُحررُ تقارير على العالم الإسلامي في مجال السياسة والثقافة والاقتصاد، وأكدوا على أنّ الاستشراق لَعِب دوراً كبيراً في تَعريف الغرب بحضارة الشَّرق عامة، وتُراث المسلمين والعرب وآدابهما، وأثرهما العظيم في الغرب ونهضته العلمية والفكرية.

وانطلاقاً من الحديث عن تُراث المسلمين وآداب العرب من منظور الاستشراق، لا يسَعُنا إلا أن نقول سلفاً أنَّ بلاد المغرب العربي بما فيها الجزائر، عَايَشت الدراسات الاستشراقية تأثرت بها تأثراً، وقِيْست عليها مَقَاسات الفكر الاستشراقي الفرنسي.

وقد رافق الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م عدد هائِل من المستشرقين والمترجمين والباحثين والمكتشفين لِيُسَانِدوا مشروع الحملة بأفكارهم وآرائهم وأقلامهم، ولِيُذللوا العقبات أمام الإدارة الفرنسية المحتلة.

ومن هذا المنظور أُقدِّم رسالة بحثي محاولاً دراسة هذه الأفكار بالتحليل والاثراء والتعليق. وقد عنونْتُها: **"الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر"**

وبد لي أن الموضوع لا يستقيم إلاّ من خلال ثلاثة محاور أساسية:

أولاً: معرفة نُشوء الاستشراق وعوامل تَطوُره، وكيف أصبح

علماً له منهجهُ، ولهُ أعلامـهُ ولهُ أهدافهُ.

ثانياً: مَسيرة الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وعلاقته بحركة الترجمـة والبَّحث العلمي، وتمثَّلها أحسن تمثيل مُؤلفات المستشرقين المترجمة والمحققة، المطبوعة منها والمخطوطة.

ثالثاً: واقعُ الدراسات الاستشراقية في الجزائر قبل مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بتاريخ 05 أفريل 1905م وبعدهُ، والذي أعتُبر الانطلاقـة الفكـرية للاستشراق في الجزائر، وفي المغرب العـربي عامة، وحَظِيَّ برعاية الإدارة الفرنسية، وبإشراف نخبة من الأساتذة والباحثين جـاؤوا من مختلف أنحاء العالم.

إنّ هذا الموضوع لا يزال بكرا بإمكان الدارسين أن يزرعوا أرضه ويجنوا ثماره، فالكتابات حول الاستشراق الفرنسي في الجزائر قليلة جداً، ولا أدري سبب انعدام التأليـف حول هذا الموضوع، اللّهم سوى كتابات أبي القاسم سعد الله التـي تناولت حياة المترجمين والمستشرقين والمستعربين على مدار قرن وربع من الاحتلال وخاصة سلسة " تاريخ الجزائر الثقافي"، فكـانت هذه الدراسة جادة وقيمة لا يمكن لأي دارس في تاريخ الجزائر ومسيرته الثقافية أن يستغني عنـها.

أما الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع فقد تتجلت في أمور أساسية منها:

1- إنّ موضوع الاستشراق موضوع جديد قديم، ينتظر الطرق بأوجه مختلفة، لهذا كان لزامـا عليّ أن أنحُو هذا السمت في تعريفه، وإبراز عوامل نشوئه وأهدافه المستقبلية.

2- إنّ التأليف في موضوع الاستشراق الفرنسي في الجزائر قليل، ولهذا بادرت بخوض غمـار هذا البحث بالمعرفة والعـدة القليلتين التي أملكهما، وبهذا العمل المتواضع أعتقد أني حاولت أنْ أسهم

في البحث عن تاريخ وطني وإن كنت لا أملك الخبرة الكافية لمعالجة هذا الموضوع الصعب. 3- غياب تام لإحصاء المستشرقين الفرنسيين وأعمالهم التي تناولت تاريخنا وأدبنا وعقيدتنا بالبحث والتنقيب، ولهذا وجدت نفسي مُبادراً ولو بالقليل على تعداد أعمال المستشرقين وذِكر أهم ترجماتهم ومنشُوراتهم.

4- إنّ كُتب التاريخ لم تتناول شخصية المترجمين الذين كانوا هم الواسطة بين الأهالي وإدارة المحتل، أو أولئك المهتمين بفن الترجمة، لهذا حاولت أنْ أنفض الغبار عن بعض المترجمين الذين جاؤوا مع بداية الاحتلال، والذين تعاونوا مع الكُتاب الجزائريين في مهنة الترجمة والتعريب. أمّا المنهج الذي اعتمدته في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي، وقد تدرجت من خلاله بتتبع الظاهرة الاستشراقية في الجزائر، مُستنطقاً أعمال المستشرقين وإحصاءها، وناظرا لأقوال العلماء والمؤرخين الجزائريين والفرنسيين، حيث كانت هذه المواضيع متصلة باللغة العربية والبربرية والفقه الإسلامي والتاريخ الجزائري والمكتشفات الأثرية وغيرها، وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: فقد تناولت فيها عناصر هذا البحث وقيمته بإيجاز شديد، وأبنت عن المنهج الذي اعتمدته في هذه الرسالة بالإضافة إلى الصعوبات التي اعترضت بحثي.

أما الفصل الأول فقد عنونته بـ" حقيقة الاستشراق وعوامل نشوئه" وتطرقت فيه **أولاً**:إلى التعريف بكلمة الشرق، وبينت أنَّ الشرق سابق الاستشراق، وأنَّ أي باحث في الفكر الاستشراقي يجب أن يتوقف لفهم خصوصية الشَّرق.

وعرفت **ثانياً** الاستشراق لغة

واصطلاحاً، سواء كان ذلك عند المفكرين العرب أم الغرب من أمثال ادوارد

سعيد أو مالك بن نبي أو الباحث رودي بارت.. وتعرضت **ثالثاً** إلى مرحلة نشوء الاستشراق، والتي تنقسم إلى ثلاث مراحل: مرحلة النشأة والاتصال، ومرحلة الإثبات والوضوح، ومرحلة التفوق والنمو. وتطرقت **رابعاً** إلى نوازع الاستشراق، حيث باشر المستشرقون دراسة رجل الشرق وفق رغبات المستشرقين وأهوائهم، واستدعت هذه الدراسة نزعات (إيديولوجية، تاريخية، علمية، استعمارية...).

وعرضت **خامساً** التعريف بالتبشير وكيف سار التبشير في كنف الاستشراق وتحت لوائه، وتناولت **سادساً** دور المستشرقين في التراث العربي، وكيف بحث الاستشراق في التراث الشرقي كله قديمه وحديثه، وقام بترجمة عدد من الكتب العربية، وعنيَّ بتحقيقها وكشفها وفهرستها، كما اهتم بتحقيق المخطوطات ودرسها والاستفادة منها، وذكرت أهم المناهج النقدية التي تناولت الاستشراق.

أما **الفصل الثاني** فقد عنونته " دور الاستشراق والترجمة في الجزائر" و تحدثت فيه **أولاً**: إلى واقع الجزائر إبان العهد العثماني ووضحت أوضاع الجزائر العثمانية وكيف كانت الدولة العثمانية تشكل مصدر تهديد حقيقي للعالم

أ- الواقع الغربي، ويحوي هذا القسم على:

السياسي للجزائر، وخلُصت فيه إلى أسباب ضعف الدولة العثمانية وأسباب الحملة الفرنسية وبداية المشروع الفرنسي الاستعماري.

ب- الواقع الاقتصادي للجزائر، وخلُصت فيه إلى ذكر واقع الجزائريين الاقتصادي، وبداية الأزمة الاقتصادية.

ج- الواقع الصناعي للجزائر،

وخلُصت فيه إلى ذكر أغلب الصناعات المعروفة في الجزائر. **د-** الواقع الديني والتعليمي وخلُصت فيه إلى ذكر وضع المدارس والمساجد في هذا العهد،

وكيف شكل الدين الإسلامي الجبهة الصّلدة في تشكيل الترابط الأخوي والاجتماعي لـدى الجزائريين. و **ثانياً**: تناولت أول خطاب استشراقي مُترجم، وخلُصت فيه إلى أنَّه أول خطاب رسمي من الحكومة الفرنسية إلى الشعب الجزائري، متضمناً الدعوة إلى الاستسلام، وتقبُل الاحتلال، وهو مكتُوب بأحرُف عربية ذات دلالة صُوفية، وتحت إشراف زمرة من المترجمين والمستشرقين العالِمين بأبجدية اللغة العربية، ويحوي هذا القسم على:

أ- مدرسة اللغات الشرقية، التي لعبت دورا كبيراً في إرسال المترجمين والمستشرقين إلى الجزائر، شاغلين مناصبهم الدعائية والاشهارية لتذكية روح الاستعمار وإنجاحه.

ب- المترجمون غداة الاحتلال، المشتغلين على إيصال المعلومات التامة والكاملة إلى قلوب

الجزائريين، الذي أُعتبر المترجم العميل الخاص للقوة الغربية.

ج- عهد الترجمة، ويتمثل في تأسيس الترجمة كحتمية لا مفر منها، في القضاء، وفي الاتصال بين الناس ، وفي إصدار المواثيق، وفي التقارير...

ثالثاً: تحدثت عن مسيرة الاستشراق الفرنسية، ووضحت كيف امتهن المستشرقون الترجمة والصحافة والإعلام بمشاركة الأدباء الجزائريين، ويحوي هذا القسم على: **أ-** الحالة الأدبية والفنية في ظل الاحتلال، وفى هذا الصدد لخصت جهود بعض الأدباء والمثقفين وعطاءاتهم الفنية والأدبية.

ب- الواقع الأدبي والفني للجزائر، و قسمت فيه مثقفي الجزائر إلى ثلاثة أقسام، وذكرت بعض الأدباء النقاد والمصلحين.

ج- جهود بعض

الجزائريين مع الفرنسيين في مجال الترجمة، وبالتحديد محمد بن أبي شنب، وعمر سعيد بوليفة، وبلقاسم بن سديرة، ودورهم الثقافي الرِّيادي في دفع حركة البحث الأدبي والعلمي. **رابعاً**: ذكرت أعمال المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، وفى هذا العنصر جمعت أغلب المستشرقين الذين عملوا في الجزائر كمترجمين أو أساتذة أو مؤرخين أو مسوؤلي مكتبات أو مسؤولي دوائر وأندية ثقافية.. وأبرزت نواياهم المجسدة في أعمالهم.

الفصل الثالث : وعنونته " تقويم الاستشراق الفرنسي في الجزائر" وتطرقت فيه إلى: **أولاً**: تعريف المستشرق رجيس بلاشير.

وأوضحت **ثانياً** بعض أخطاء ترجمة القرآن الكريم لرجيس بلاشير،مع محاولة تصحِيحها وتصويبها. وتكلمت **ثالثاً** عن مؤتمر المستشرقين المنعقد في 05 أفريل 1905م، وخلُصت فيه إلى ذكر أهم المحاضرات والنَّدوات المطروقة، علماً أن هذا المؤتمر كان برعاية وزارة التعليم، وبإشرافها، واِستدعت له أهم المؤتمرين من بلدان الشرق والغرب، وأهمهم فكراً ووعياً وأخلصُهم حباً واتقاناً، وكانت أرْوِقة المؤتمر تتناول موضوعات حول : اللغات الشرقية والاستعمار اليوناني والروماني، الآثار المصرية واللغة العربية والبربرية والفن الإسلامي والاستعمار.وغيره من المواضيع المختلفة.

وأخيراً ووضحت مصير الاستشراق أمام الدارسات الجزائرية، وتناولت فيه مصير المؤسسات الثقافية الجزائرية، وواقع اللغة العربية، واللغة الفرنسية أمام الدراسات الاستشراقية. أما **الخاتمة** فقد أبرزت فيها الصورة الشاملة للاستشراق الفرنسي في الجزائر، وذكرت أهم النتائج التي يجب أن أما تراعى في الدراسات الاستشراقية وخاصة المتعلقة بالجزائر والإسلام.

المصادر والمراجع التي رافقتني أثناء هذا البحث، فهي قليلة، تربو على أكثر من ثمانين مرجعاً قديماً وحديثاً، فرنسياً وعربياً، مترجماً وأصلياً، عنواناً ومقالاً..

وبين ما طُرح وهذا، نقول إنّ أهمية هذا البحث لا تخفى على أحد، يكفي أنّي حاولت أن أوضح معالم الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وأبرزت أعمال المستشرقين والمترجمين، وردود الفعل الجزائرية، وبينت بعض الأخطاء اللغوية في ترجمة القرآن الكريم..

والمتاعب والصعوبات التي لاقت بحثي، تخص الترجمة، وقلة المراجع، وقلة المختصين في مجال الدراسات الاستشراقية، كل هذا وأنا راغب في التطلع إلى بعض الحقائق الهامة ومساهماً في نفض الغبار عن كثير من الدراسات الاستشراقية. ولا يسعني إلا أن أتقدم في أخر المطاف إلى أستاذي العزيز ابن سعيد محمد على كرم فضله، وحلم صبره، وسعة صدره، فقد ذلل لي كل الصعاب، ووجهني أحسن توجيه، فإليه، وإلى كل من ساندني أهدي بحثي هذا المتواضع.

وأحمد الله الذي وفقني لهذا، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله منهما برئ، واستغفر الله الغفور الرحيم الذي لا تضيع ودائعه.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:حقيقة الاستشراق وعوامل نشوءه ويشتمل على العناصر الآتية:

1- التعريف بمصطلح الشَّرق.

2 - الاستشراق.

أ- مفهومه.

ب- نشأته.

ج- نوازعه.

3 - مرحلة نشوء الاستشراق.

4 - نوازع الاستشراق.

5 - الاستشراق و التبشير.

6 - المستشرقون والتراث العربي الإسلامي.

أولاً: التعريف بمصطلح الشرق:

إن أدنى تأمل في كلمة استشراق توحي بأنها ذات معنى شامل لأولئك الكتاب غير العرب، الذين انْصبّ اهتمامهم على فهم ثقافة المجتمع العربي وتراثه وسلوكياته، بوسائل خاصة وبطرق متعددة، مجانبةً أحياناً للصواب وعدائية في أحيان أخرى . والحديث عن الاستشراق هو الحديث عن العناصر الأولي التي شكلته؛ وأولاها ذِكراً الإسلام الذي تربع الشرق، فدخل المسلمون فيه أفواجا، وشرحوا به صدورا غُلفا، وتبنوه لُغة وديناً، وصاروا به أمة مُتوحدة دُستورها اِسمه القرآن، ثم تلاها عُنصر الجغرافية والزمان والقومية التي عملت كلاً في تشّكل الشرق.

ما مِن شك في أن الشَّرق سابق للاستشراق، وأنَّ أي دارس للفكر الاستشراقي يجب أنْ يتوقف لفهم طبيعة الشرق، ويتساءل هل للشرق حدودٌ جغرافية ؟ أم حدودٌ حضارية ؟ أم له حدودُ أخرى لا نعرفها... علماً أنَّ الشَّرق الذي اهتم الغرب بدراسته وتحليله وتشخيصه، هو الواقع في شرق البحر الأبيض المتوسط، وتحديداً هو المنطقة الواقعة بين الصين شرقاً إلى موريتانيا غرباً، ومن العراق وتركيا شمالاً، إلى الأندلس جنوباً.

ويقدم لنا رودي بارت[1] تعريفاً شاملاً للشرق والاستشراق، فيقول " الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.. والظاهر أنَّ اِسم الشرق تعرض لتغيير في معناه، فالشَّرق بالقياس إلينا نحنُ الألمان، يعنى العالم السلافي،

[1]- مفكر وباحث ألماني، اضطلع بالدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج، وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام، وصنف فيها عددًا كبيرًا من الأعمال، منها ترجمته للقرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها بين عامي1963 و1966، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

العالم الواقع خلف الستار الحديدي كما كان يسمى في الماضي، وهذه المنطقة يختص بها علماء بحوث شرق أوربا، أما الشَّرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافياً في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا،وذلك الاصطلاح يرجع إلي العصر الوسيط بل إلى العصور القديمة، التي كان فيها البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق برغم ذلك على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط..[1]

فليس المقصود هنا بالشرق، الشَّرق الجغرافي الذي تحدده المدارات الفلكية، وإنما الشرق في نظرهم هو المد الإسلامي الحضاري المترامي الأطراف وهذا الأخير هو الذي حدد معالم الشرق وأصبح كل ما هو جغرافي يلحق بما هو إسلامي وتابع له."كذلك تعرضت لفظة الشرق..لا ناحية الشمال والشرق فحسب، بل إلى ناحية الغرب، وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال إفريقيا، وتعرب السكان تدريجياً، ومنذ ذلك الحين تعتبر مصر وبلدان شمال إفريقيا ضمن الشرق؛ ويمتد الاستشراق إلى الشمال غرب إفريقيا الذي يسمى المغرب أي بلد غروب الشمس وإن كان المفروض أن اِسم الاستشراق يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها، ومهما يكن من أمر، فإن الاسم يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمُهم هو الموضوع ذاته"[2]

لقد أدرك **بارت** مفهوم الشَّرق والاستشراق في هذا التعريف الشامل الذي يحتاج إلى عدة قراءات أولية والتي منها:

1- أنه إذا قسَّمنا العالم إلى شرق وغرب كما ذُكر،

[1]- بارت، رودي، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر. مصطفى ماهر،1967، القاهرة ، دار الكتاب العربي،11.
[2]- بارت، رودي، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر. مصطفى ماهر،1967، القاهرة ، دار الكتاب العربي،12.

لمـا وجدنا الجزائر والمغرب مثـلاً يقعـان في الشرق؛ وعلى هذا الأسـاس فالموقع الجغرافي ليس مقياساً في ضبط شرق الاستشراق، وإنـما الضـابط الإسلامي هو الذي جعـل هذه البلدان الغربية جغرافياً شرقية حضارياً.

2- أن الشَّرق القارة والشَّرق التاريخ والشرق الإسلام، هم الذين شكلوا الشرق الأوسـع الذي استهوى أقلامَ الكتاب الأوربيين بدراسته وفهمه واحتوائه، وألحقت صفات المستشرقين بهم، والى الشَّرق أنتسب الاستشراق .

والسُّؤال الذي يبقى مطروحا في هذا البحث، هو ما موقع الجزائر في محور الشـرق ؟ علـما أنـها تضطلع بموقع جغرافي غربي هام، مُشرفة علي البحر الأبيض المتوسط مُتزعمة بوابة إفريقيا، ومُمتدة بِعمقها إلى أدني الصحراء الكبير، فكيف تدمـج إلي الشَّرق ؟

والجواب بكل بساطة أنَّ المواقع الجغرافية لا تؤخذ بعين الاعتبار إذا كانت هذه الدول واقِعُـها الإسلام، ولغتها العربية؛ فالامتداد الإسلامي العربي يُشَّخص وتـجرى عليه جميــع التحليلات التي تفضـي إلى احتوائه وبسط السيطرة عليه." فتحت مضلة الاستشراق اِنشغـل الغربي بدراسـة الشرقي، والمسيحي انشغل بدراسة المسلـم، والآري بغير الآري، والمتحضر انشغـل بالمتخلف، والمستعمر بالمستعمر،والفوقي بالدونـي، والنقيض مع نقيضـه،وفُقد أهم عنصر وهو عُنصر الإنشاء والشرعية"[1]

3- أنّ نظرة الآخر إلي الشرق هي نظرة استعلائية فوقية مجهولة، والغاية هي ليست معـرفة أرض الشرق (المكان) وإنما معرفة كنه الشرقي بما يمتلكه من ثقافة وديانة وتراث؛ وفي هذا الصدد يقول إدوارد سعيد "فالشَّرق في نظر الشرقيين من أبنائه يختلف عن شرق

---

[1]- الطيب، بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ط1،الجزائر، 2004، دار المنابع للنشر والتوزيع، ص35.

المستشرقين، فالشـرقي يري نفسه أنَّه جزء لا يتجزأ من شرقه، فهو من أنفاسه وذراته ولحظات تاريخه، فينظر إليه نظرة عادية لا تشوبها الغرابة والاستنكار، نظرة عادية وطبيعية جداً، أما المستشرق فنظرتـه للشرق تختلف، إنها نظرة الأخـر نظرة استغراب إلى ما هو غريب، نظرة إلى الخصم المنافس المجهول، المكتشف النظرة التى بناها الخوف والخيال والتصور والرغبة الجامحة في رسم صورتـه تلبية لموروثة الثقـافي ولمستقبل مصالحه، فهي نظرة استغـراب عدائية مريبـة، وحسب تعبير رودونسون لا يـري "المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا رؤيته"[1]

4- أن الشرق الواقعي الحي، مهبط الديانات السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، ومنبع أولى الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريـخ، المُستوحي لغته من وحي القرآن، المُتثاقل بتراث الأعارب و الأعاجم، والمنبسط علي امتداد الأبصار والأمصار؛ هو في نظر المستشرقين سوى خيال ومسرح يتوق للكشـف والمعاينة، فقد نسجه وحدد معالمه النفسية والاجتماعية والسياسية، فهو شـرق صُوري طُوبوي أكثر منه تجسيدي واقعي ؛ وهكذا شارك فيه الغـرب بعلمائه ورجاله وكتابـه وفنانيه وشعرائه و مكتشفيه، بمختـلف تخصصـاتهم ووظـائفهم العلميـة والأكاديمية ، ووسائلـه المـادية والمعرفية، ومناهجه الفكـرية والتجريبية، وتعاون معه الشرق الثقافي والديني الحضاري، فكان محصول هذا •برقعته الجغرافية وبموروثة الترادف والتزاوج هو إنتاج علم سُمي"الاستشراق"

[1]- سعيد،إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبوديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية ،2003،ص 168.

•يذكر لنا الدكتور عبد الله محمد الأمين النعيم في كتابه "الاستشراق في السيرة النبوية"إن بعض الباحثين يشيرون على أن المصطلح الجغرافي والفلكي قاصر على إعطاء مـعنى حقيقي لمـفهوم الاستشراق، وإن لكلمة الشرق مدلولا معنويا والبحث اللـغوي الأصلي لكلـمة ORIENT في اللغات الأوربية الثلاث المستمد من الأصل اللاتيني ،يوضح أن معناها يتمركز حول طلب العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه..
ويطرح الدكتور الـسالف الذكر آراء بعض المستشرقين من السيرة النبوية وهم: وليام مونتغمري وات من خلال كتابه "محمد بمكة"و"محمد بالمدينة" وآراء بروكلمان من خلال كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية"، وآراء يوليوس فلهاورت من خلال كتابه "تاريخ الـدولة العربيـة مـنذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ..ينظر :الاستشراق في السيرة النبوية، سلسلة الرسائل الجامعية،ط1،1981، ص15.

يقول إدوارد سعيد " فقد كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق وترجموا النصوص، وفسروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات..وكان المستشرق خبيراً مِثل ساسي وريِنان ووظيفته في المجتمع أن يُفسرا الشرق ويُترجمه لأبناء قومه؛ وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف المستشرق والباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلّص الإيهام عن طريق الترجمة، والتصور المتعاطف...بيد أنَّ المستشرق بقي خارج الشرق الذي بقى نائيا عن الغرب"[1]

إنَّ محور تلاقي الشرق بالغرب

قديم جداً، قِدم هذه الإنسانية على هذا البساط، وتاريخ هذا التلاقي مليء بالمفاجئات والأحداث والعلاقات الاجتماعية والنفسية والفكرية، ويعتبر الاستشراق أحد دعائم هذا التلاقي البارز على امتداد العصور.

[1]- سعيد،إدوارد، الاستشراق، ص 231.

ثانياً: مفهوم الاستشراق:

أ- المفهوم اللغوي:

من الواضح أن كلمة استشراق لم ترِد في المعاجم العربية التراثية المختلفة، وفي لسان العرب نجد كلمة شَرق بمعنى: شَرقَتْ الشَّمس تَشْرقُ شُروقاً وشَرْقاً:طلعت، واِسم الموضع المشْرِق، وكـان القياس المَشْرَقْ ولكنه أحد ما نذر من هذا القبيل[1].

وقد اشتقت الكلمة من مادة (ش.ر.ق) فيقال " شَّرقت الشَّمس شَرقاً، إذا طلعت و- شرق- أخذ من ناحية المَشْرق والشَّارق الجانب الشرقي"[2]. وَ ا سْت في كلمة الاستشراق تفيد الطلب، أي طلب شيء بمعنى طَلَبُ دِراسَةٌ ما في الشَّرق، مثل كلمة اِستنطاق، واِستغراب...

ب- المفهوم الاصطلاحي:

تعددت التعريفات حول هذا الموضوع، وانحت عدة مناحٍ، سواء من المفكرين الغرب أو العرب، غير أنَّها لا تخرج عن كونها دراسـات تراث ولغـات شعـوب الشرق وحضارتهم، ومجتمعهم وتاريخهم ..الخ وأُطلق على الذي يهتم بتلك الدراسات الشرقية اِسم مُستشرق. يقول أحمد حسن الزيات:" إنَّ المقصود بالاستشراق هو دراسة الغربيين لدراسة الشـرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه، وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسطى كان يقصد بـه دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم"[3]

أما **إدوارد سعيد** فيحدد الاستشراق في ثلاث دلالات وهي:

أ- إنَّ الدلالة الأكثر تقبلاً للاستشراق هي الدلالة

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، بيروت، ط1، دار صادر، 1992، ص173.
[2]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، ط2، القاهرة، ص48.
[3]- أحمد، حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط25، القاهرة، دار النهضة، ص512.

الجامعية (الأكاديمية)، وبالفعل فإن الملصقة (أي لون كلمة الاستشراق) ما تزال مُستخدمة في عددِ من المؤسسات الجامعية، فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه، أو بحثه، ويسري ذلك سواء أكان مختصاً بعلم الإنسان (أنتروبولوجي)، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخاً أو فقيه لغة (فيلولوجياً) في جوانبه المحددة والعامة على حد سواء، هو مستشرق، وما يقوم هو أوهي بفعله هو اِستشراق.

ب- هناك معنى أكثر عمومية؛ فالاستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي (اِبستمولوجي) بين الشرق- في معظم الأحيان- والغرب.

ج- هذا المعنى الأكثر تحديدا من المعنيين السابقين، وهو أن الاستشراق يمكن أن يُناقش ويُحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق- التعامل معه بإصدار تقريراتٍ حوله،وإجازة الآراء فيه وإقرارها ،بوصفه، وتدريسه والاستقرار فيه، وحكمه : وبإيجاز الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائهِ، وامتلاك السيادة عليه[1].

وبهذا الطرح فإن ادوارد سعيد أعطى للاستشراق ثلاثة مفاهيم، أولهُا الاستشراق الجامعي الذي تُحدده المعاهد والمدرجات الجامعية؛ فكل من يعالج الجوانب التاريخية أو اللغوية أو الاجتماعية أو الفكرية للشَّرق فهو مستشرق مختص. أما المفهوم الثاني فهو عام، ويهتم بثنائية الاتصال والتميز بين الشرق والغرب. أما المفهوم الثالث وهو الغالب والمقصود به بأنَّ الاستشراق للشرق، فهي علاقة ترويض وطواعية لممارسة السيادة عليه واحتوائه إرضاء أو إرغاما.

[1]- سعيد، إدوارد، الاستشراق، ص29.

ويرى مالك بن نبي أنه يجب أولا أن نحدد المصطلح: إننا نعنى بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية، ويصنف أسماءهم إلي صنفين: الصنف الأول: من حيث الزمن:

1- طبقة المستشرقين القدماء مثل جريردوربياك والقديس توما الأكويني، وهذه الطبقة أثرت ولا تزال تؤثر على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون العالم الإسلامي، والأكيد أنَّ ما كتبوه كان محور الانطلاقة الفكرية التي نشأت عنها حركة النهضة في أوربا.

2- وطبقة المستشرقين المحدثين مثل: كارادوفو وجولدسيهر.

الصنف الثاني: من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتاباتهم: 1- طبقة المستشرقين المادحين للحضارة الإسلامية مثل: رينو الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي، ومثل دوزي الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في اسبانيا، ومثل سيدييو الذي جاهد الأبطال طول حياته من أجل أنْ يحقق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لِما يسمي في علم الهيأة، ومثل آسين بلاثيوس، الذي كشف لنصرة الحقيقة العلمية وللتاريخ، وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي، ولكننا نجد أنَّ أفكارهم كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي في طبقاته المثقفة. 2- طبقة المستشرقين المنتقدين لها المشوهين لسمعتها، الذي كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلام المسلمين مثل الأب لامانس..كما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) على غرار ما تقتضيه مسلمة قدَّمها

المستشرق مرجيليوث قبل سنة من صدور كتاب طه حسين الذي أثار تلك الزوبعة من السخط.[1]

ويؤكد مالك بن نبي أنَّ بعض هؤلاء المشارقة المتتلمذين للمستشرقين، يخفون عملهم التخريبي ضد الإسلام بإيعاز واضح من أوساط استعمارية، تحت رداء تقدمية جوفاء تحاول سلب الإسـلام من كل قيمة حضارية، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة في العالم الإسلامي ويستأنف تأكيـده بالقول أنَّ تلامذة المستشرقين هم آلات مسخرة بين أيدي اختصاصي الصراع الفكري السائريـن علي أثر أساتذتهم الغربيين لا يختلفون معهم إلاّ في مهارة الأسلوب، والتزويق في الصيغة، ويلتقون مع أساتذتهم في الانتقاص من سوابق الفكر الإسلامي، ولكن يمتازون في إحاطة مستقبله بالريبـة والإيهام بتلك الثرثرة التقـدمية مثل صاحب كتاب (الإيديولوجيات العربية في محضر الغرب).[2] أما **حسين الهراوي** فيقول: "وعندي أن الاستشراق مهنة وحرفة كالطبيب والهندسة والمحامـاة، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير، ولا يخـفى عليك أنَّ التاريخ الإسلامي ينقسـم إلى قسمين: القِسم الأول منه هو الإسلام من حيث هو دين وعناصره : القرآن والحديث وحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأما القِسم الثاني منه فهو تاريخ الـدول العربية التي نشأت وعاشت في الإسلام، وهذا القِسم قد خدمه المستشرقون حقا، لأنه نوع من المباحث التاريخية الحرة"[3]

إنَّ أول ظُهور Orientalisكان في القارة الأوربية، وأول ما ظهر كان لكلمـة مستشرق بانجلترا سنة 1779م، ثم بعد ذلك بعـشرين عاماً ظهـر في

[1] - مالك، بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، الجزائر، دار الفكر، 1991، ص 177/167.
[2] - المرجع السابق، ص 181/180.
[3] - حسين، الهراوى، نحن والمستشرقون،المعرفة، يوليو، 1932، ص122/ ويراجع مركز المدينة المنورة لبحوث الاستشراق: فصل الاستشراق بقلم لأستاذ، مازن مطبقاني، على الموقع التالي:WWW.ISLAM TODAY.NET

فرنسا سنة1799م. أما لفظـة الاستشراق غير قديم قدم الشَّرق، وهو مصطلح الذي عرَّفته حديثٌ ظهر في بريطانيـا سنة1811م، وأُدرج رسمياً في قاموس الأكاديمية الفرنسية orientalisme سنة1838م."فالحداثة هنا لغوية اصطلاحية لا أكثر، بينما ميدانياً وعملياً و تطبيقياً هي أقدم من ذلك بكثير"[1].

قلنا إنَّ نهاية القرن الثامن عشر هي محطة لظهور علم متكامل قائم على دراسـة آثار الحضارة الشرقية المادية والروحية، وقبل ذلك كله حملة نابليون 1798م التي لعبت دوراً فعالاً وأساسياً في توجه المغامرين الفرنسيين والفنانين والمترجمين نحو موضوع الشرق الإسلامي، فقد عمد نابليـون على حسن التفاهم والتخاطب بينه وبين المسلمين؛ ليكسب ثقتهم وودهم ضـد بريطانيا.
وهكذا أصبحت الدراسات الاستشراقية منذ البداية بالنظرة المزدوجة، فهي من الظـاهر تهدف إلى دراسة الشخصية المصرية، ومن الباطن تهدف إلى تسييس العقـول لقابلية المستعمر الغربي؛ غير أن مرض القابلية للاستعمار ليس مرضاً مزمناً، إنه مجرد مرحلة يمر بها أي مجتمع عانى من مشكـلة الاستعمار؛ إنه أشبه بمرحلة النقاهة إذْ بعد ما يسترجع المجتمـع قواه النفسية والاجتماعية والماديـة يتخلص بسهولة من آثار الاستعمار والقابلية له، " غير أن الفرق الجوهري بين مصطلـح (**منوني**) ومصطلح مالك بن نبي في: أن (منوني) نظر إلى ابن المستعمرات من منظور نفسي فحسب، ومن خلال العلاقة النفسية التي أصبحت تجمع بين ابن المستعمرات وابن الاستعمار وبصورة خاصة أبناء الاستعمار

[1]- الطيب، بن إبراهيم، الاستشراف الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص18.

الذين عاشوا معه في مستعمراتهم أسياداً له: فالإنسان إذا غلب على أمره باستمرار القهر والظلم يحصل في نفسه تكامل ويصير بالاستعباد آلة لسواه"[1].

أما موقف مالك بن نبي فيطـل من دراسته من زاوية الاستعمار نفسه، فهو ينطـلق من موقف الاستعمار من أبناء المستعمرات الذين يصابون لقابلية الاستعمار نتيجة لما يفرضه الاستعمار عليهم، وإذا كان الاستعمار قد استغل سلطته العسكرية، ونفوذه السياسي وحضوره الفكري، ووسائلـه المادية - إبان الاحتلال- في عملية طمس شخصية البلدان المستعمرة، فإنه شجع أيضاً أبناءه على محاولة فهم تراث هذه البلدان ووفر لنفسه الشروط المناسبة للمستشرقين لكي يضطلعوا بهذا التراث ثم يفسرونه بمعاييرهم الاستعمارية الفوقية و يأخذون ما وجدوه مفيداً فينسبونه إليهم، ويزيدون ما بدا لهم غير صالح، ويشوهونه إذا كان يتضمن العصيان والخروج عن الطاعة، " لقد صادر الغرب المعرفة العلمية وأباح لنفسه تحديد مواقعه، ومواقع الآخرين في الحكم عليهم وفقاً لقناعته ورؤيته"[2].ومن هُنا يمكن أنْ نحدد أهم الأساليب الاستعمارية التي اتخذها لتقويض العالم الإسلامي وهي:

أ)- بحث الاستعمار في كل ما يتعلق بالمجتمع الإسلامي، واهتم بكل ما فيه من عادات وتقاليد واتجاهات وقوميات وأفكار.

ب)- إدراك الاستعمار أنَّ الإسلام ركن صلد يصعب مُقاومته، فوجَه سهامه لضربه وزعزعة ثقة الشعوب فيه.

---

[1]- عبد الله، شريط ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، الجزائر، 1975، ص200.
[2]- الطيب، بن إبراهيم، الاستشراف الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص38.

ج)- النزعة الفوقية(الاستعمار) التي تبناها أمام الشعوب الإسلامية (الدونية)، وخلق فجوة عنصرية التي تقوم على نظرية العرق "فقد حرص من خلال دراساته للشرق على إبراز التخلف الشرقي في مقابل التفوق و العقلانية الغربية"[1].

ثالثاً: مرحلة نشوء الاستشراق:

لا يوجد اتفاق بين الباحثين حول فترة نشوء الاستشراق، وأغلب الظن أن بداية الاستشراق بدأت مع أوربا في العصور الإسلامية الوسطى، عندما ساد العرب العلم وعمت حضارته كل الأمصار والأقطار، وبددت دياجير الظلام، بروح العلم والعمل، فتقبلتها أوربا بقبول حسن، وتدفق طلابها للتزود من تراثها وخيراتها حتى صاروا عمدة البحث والاكتشاف. ومن هُنا قام الاستشراق بدور هام في الفكر الإنساني متأثر بتلك الأهداف والدوافع كانت أحد الأسباب في تقسيم الاستشراق إلى ثلاث •العلمية التي مراحل:

المرحلة الأولى وهى مرحلة النشأة و الاتصال:

وفيها نشأ الاستشراق عند دُخول العرب الأندلس، واستقروا به فتم الاتصال المباشر وغير المباشر ونمت الحركة العلمية تدريجياً، وأصبحت كائنا قادراً لا يُشاق غُباره، ودعت حاجة الغرب إلى معرفة أسراره وكشف ألغازه؛

---

[1]- المرجع السابق، ص214.

• لقد اعتمد هذا التقسيم الثلاثي جل الكتاب العرب والغرب، وتواضعوا عليه، ومنهم الكاتب أحمد سمايلوفتش في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،ص70، وأيضا الكاتب محمود حمدي زقزوق في كتابه الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 39.وأيضا الدكتور فاروق عمر فوزي في كتابه الاستشراق والتاريخ الإسلامي،ً40.

والتُفت الدراسـة لا إلى المصـادر الإغريقية الأولى، ولكن إلى المصادر العربية الإسلامية، وعُدت هذه المرحلة مظهراً للصراع الديني الإيـديولوجي بين العـالم الأوربي المسيـحي، وبين الشرق الإسـلامي، وهنا كان الدافع الرئيس لظهـور الاستشـراق.

وما اِنفكت العقلية الأوربية الهروب منْ هذا الصراع الحاد الذي طاف على السطح وكبل أوجه التقارب بين المذهبين وبين العقليتين، حتى افتقدت الموضوعية وغلبت الذاتية، وكانت النتيـجة أن الاستشراق عمل على إبراز صورة مُشوهة عن الإسلام؛ وذلك بإظهار نقـاط الضعف في صفوف المسلمين، وهذا التصادم كان سبباً في انتشار الاستشراق بسبب التعصب الأوربي الـذي دفعهـم لدراسة العربية وفهم القرآن...الخ. وهذا ليس إكراماً للمسلمين وحباً فيهم وإنما لمعرفة أوجه القوة لإضعافها، ومعرفة أوجه الضعف لتعميقها.

بالإضافة إلى أنَّ الغربيين اقتنعوا بأنه لكي يكون هناك تقدمُ فكريُ وحضاريُ واقتصاديُ، فلا بد أن يسلك الطريق نفسه الذي سلكه أهل الشرق، حيث بدأوا بإنشاء المدارس والمعاهد والمراكـز لتعلم اللغة العربية "ووصل اهتمامهم بعلوم العرب أنْ قام "فريدريك الثاني" ملك صقلية في نهايـة القرن الثاني عشر الميلادي و"الفونس" ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بترجمة العلوم العربية، ثم اقتدى بهم ملـك أوربـا، وانتهى الأمـر بعقد مؤتمر في"فينا"عـام 1311م برئاسة البابا "كليمان الخامس"، وقرر في هذا المؤتمر تأسيس خمس مـدارس خاصـة في باريس، وبولونيان، وأكسفورد، وسلمكنا، والمدينة البابوبة يدرس فيها العربية والعبرانية، والكلدانية،

حتى يمكن تخريج مبشرين يستطيعون تنصير المسلمين واليهود، أو تشكيكهم في اعتقاداتهم"[1].

ويعتقد بعض الباحثين أنَّ البداية المنظمة للاستشراق ترجع إلى القرن الثاني عشر للميلاد، حيث كانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة 538هـ،1143م، "كما عد آخرون حاجة الغرب للرد على نفوذ الإسلام وانتشاره، وذلك لمعرفة أسباب القوة الدافعة لأبنائه خاصة بعد سقوط القسطنطينية عام1453م، حيث وقف الإسلام سداً مانعاً لانتشار النصرانية بداية للاستشراق"[2].

المرحلة الثانية وهي مرحلة الإثبات والوضوح :

"تمتد هذه المرحلة من القرن العاشر الهجري، أو الخامس عشر الميلادي، حتى القرن الثالث عشر الهجري، أو الثامن عشر الميلادي وأبرز هده التغيرات هي: قيام النهضة الأوربية التي ابتدأت منذ القرن السادس عشر الميلادي، وكان لها صداها على كافة الجوانب"[3]

وفي هذه المرحلة بدأ الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي حديث العهد؛ فالأول كان يرغب في البقاء محافظاً على وجوده ونفوذِه وقوتِه، والثاني معاهداً على نشر رسالتهِ، وتبليغ دينه وبسط عدله وسلطته، ومن هنا أصبح عامل التصادم ضئيلا، لكنه مكمونُ موجود ينتظر الطرق لِيعود بطرق جديدة وبأشكال متنوعة. فقد ظهرت في أوساط الكنيسة في أوربا حركة تدعو إلى الاستزادة من معرفة تاريخ

[1]- أحمد، سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ط1،دار الفكر العربي،1998، ص74-75

[2]- محمد، حمدي زقزوق، الإسلام والاستشراق، ص21.

[3]- محمد، أركون وآخرون، الاستشراق بين دعائه ومعارضه، ترجمة وإعداد، هشام صالح،بيروت،1994، دار الساقي، 88

الإسـلام وعقيدته ولغته. وهذا ما ساعدا على استقرار الاستشراق "كما اهتم أباطرة الغرب بالمخطوطات العربية فطبعوها على نفقتهم الخاصة بإشراف علمائهم ؛ مما ساعد هذا على تقدم الاستشـراق وازدهاره، ومن المشاهير في ذلك: الهولندي" اربانيوس" 1584م-1624م، الذي صنَّف كتاباً في قواعـد العربية واللاتينية بعنوان " المقدمة الأجرومية "على أساس من مناهج البحث العلمـي اللغوي السليم، وكذلك تلميذه "جاتوب جوليوس" 1596م-1667م"[1]

ويقول اِدوار سعيـد " الاستشراق بتحديد دقيق، ميدان من ميادين الدراسـة المُتفقهـة، وفي الغرب المسيـحي يُؤرخ لبدء وجود الاستشـراق الرسمي، بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عـام 1312 م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربيـة واليونانيـة، والعبريـة، والسريانيـة في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا، وأفينيون، وسلامانكا"[2] وقد تميزت هذه المرحلة بإنتاج الكُتب وجمع القواميس، وكُتب النـحو، ونشر المخطوطـات العربية وطبعها في أوربا قبل طباعتها في الشرق"،ومن هذه الكتب ما حققـه المستشرق الهولندي " اربانيوس" لكتابين: العوامل المائة في النـحو للجرجاني، سنة 1615م، وتـاريخ ابن العميـد المعروف بابن المكين، متناً وترجمة لاتينية 1625م وما حقـقه المستشرق"ريلا ندوس" لكتـاب تعليـم المتعـلم "للزرنوجي"عام 1707م، وما حققـه المستشرق الانجليزي"جريفر" لكتـاب جغرافية أبي الفـداء متناً وترجمـة لاتينيه عـام 1650م و1698م و1711م"[3]

---

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج2، القاهرة، 1982، دار المعارف، ص33-34.
[2]- سعيد، ادوارد،الاستشراق، ص80
[3]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ص397.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التفوق والنمو:

وتمتد هذه المرحلة من القرن الثالث عشر الهجري، أو الثامن عشر الميلادي، إلى غاية القرن العشرين، وقد تميزت هذه المرحلة بتطورات خطيرة في حركة الاستشراق، وذلك بنصب العداء للشرق وأهله، من خلال سياسة الحملات الاستعمارية للأقطار العربية، وبسْط السيطرة والنفوذ " فإذا اتخذنا من أواخر القرن الثامن عشر نقطة للانطلاق محددا تحديداً تقريبياً، فإن الاستشراق يمكن أنْ يُناقش ويُحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وإقرارها بوصفه وتدريسه، والاستقرار فيه وحكمه فقد احتل الاستشراق مركزاً هو من السيادة بحيث أنني أُؤْمن بأنَّه ليس في وسع إنسان يكتب عن الشرق، أو يفكر فيه، أو يمارس فعلا متعلقاً به أنْ يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار، الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والفعل، وبكلمات أخرى فإنَّ الشرق بسبب الاستشراق"[1]

وقد ساعدت الدول العربية الحركات الاستشراقية بالدعم المادي، والدعم السياسي، والدعم اللوجستي، مما ساعد المستشرقين على الاشتغال بإصدار المجلات التي تعبر عن أرائهم وأفكارهم "بل أتاحوا لهم الفرصة بأنْ يكونوا موظفين ودبلوماسيين في السلك السياسي، كوزارات الخارجية والقنصلية، والمجالس النيابية ببلادهم، أو مستشارين لوزارة خارجيتهم؛ ومن هؤلاء: المستشرق الفرنسي" لويس ماسينيون" في خارجية فرنسا و"هانوتو" وزير خارجية فرنسا"[2].

---

[1]- سعيد، ادوارد، الاستشراق، ص39

[2]- محمد، يونس بركات،الاستشراق والتربية، ط1،عمان،2003، دار الفكر، ص43.

رابعاً: نوازع الاستشراق:

إنَّ الاستشراق ظاهرة تاريخية مُعقدة شكلتها عوامل متنوعة، وتنازعت عليها أهواء مُتشتتة، وقِيست عليها مقاسات مُتكررة، وكُلما اُحتيج إلى دراسة الشعوب والأمم لتقويضها، وفهمها، أعدنا الكرة لتوظيف الاستشراق ليأخذ منفذه وطريقه لقبض هذه الشعوب والأمم بوسائل ومناهج خاصة ومتعددة، والمستشرقون يختلفون ويتقاربون كذلك حسب طبيعة أفكارهم، ونمط أفهامهم وأبحاثهم . فالمستشرق الذي يعالج بالدراسة والبحث مواضيع الدين والعقيدة أو الحلال أو الحرام، يختلف موضوع وموضوعية دراسته عن ذلك الذي يتناول مواضيع الفنون الإسلامية أو التركيبات الاجتماعية أو الآثار التاريخية، فالدارس الأول يتناول بحثاً هو صاحب القرار فيه (القاضي)، والدارس الثاني يتناول بحثا هو المرافع له (المحامي). وإستدعى هذا الترتيب حضور مجموعة من النوازع الاستشراقية والفكرية، التي باشرت أعمالها على أرض الشّرق مع رجل الشرق، ووفق رغبات المستعمر وأهوائه على حساب المستعمر. "ولا شك أنَّ الموقف العدائي من الاستشراق ناجم عن علاقات الاستعمار الغربي بالشرق، وإذا كان الغرب قد غَزا الشرق والإسلام عسكرياً فإنَّ الاستشراق رافق هذا الغزو وقدَّم له وبارك ومَهد له الطريق على الجبهة الثقافية والفكري"[1]

1)- النزعة الدينية (الإيديولوجية):

لعبت دوراً هاماً وخطيراً عبر مراحل التلاقي والتنافر بين الشرق والغرب. وكان بعض المبشرين عيوناً لبلادهم التي تعمل شتى الطرق لإثارة الفتنة والاضطرابات، من أجل تمكين دولهم الأوروبية من السيطرة العالم

[1]- إبراهيم، محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ط1، دار الفكر العربي، 1993، ص221.

الإسلامي سياسياً واقتصادياً وفكرياً، وقد دعت حاجة الأوربيين إلى تعلم اللغات الشرقية عامة واللغة العربية خاصة " وبمرور الزّمن اِتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أدياناً ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية، ومن جهة أخرى، رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم إعداد الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي"[1]

وقد تبلورت

هذه الحملة في غزو العرب الفكري الذي كان يهدف إلى إضعاف الشَّرق ليقتلعه من جذوره، ويزيله من وجوده. ومما لا يختلف فيه اثنان أن النزعة الدينية إحدى بواعث الاستشراق الحقيقية، وانتشار أبعاده في •(الإيديولوجية) كانت . أقطار البلاد الأوروبية والعربية

2)-النزعة التاريخية:

يجب الاعتراف بأنَّ الاستشراق نشأ وترعرع في أحضان وظروف عوامل تاريخية معينة، حيث تبدأ هذه الأحداث مع قوة المسلمين الأولى وأمجادهم في بلاد الأندلس ، ثم استيلائهم على محيط الأتراك (القسطنطينية)، ثم اجتياحهم أرض أوربا المسيحية وسيادة العالم بلا منازع، وبعد سقوط هذا الأخير اِنتقلت السيادة للعالم الأوربي، فقد أدى مُؤداه وبَسط قِواه، وأعْى من أواه. "من هُنا نستطيع القول بأنَّ الخلفية التاريخية للاستشراق هي التي حددت مفهومه وأهدافه ونشأته، فهو مصطلح يشير إلى الدراسات الغربية للشرق بأنواعه

[1]- محمد، البهي، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط6، دار الفكر -1985 ،ص533.

• لقد لخص مصطفى السباعي تاريخ الاستشراق وبين أهم الميادين والأهداف التي اشتغل عليها الاستشراق، ومن بين الدوافع (الدافع الديني، الاستعماري، التجاري، السياسي، العلمي. ..) يراجع: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع ، ص17.

الثلاثة، الأقصى والأوسط والأدنى، من حيث شعوبه ودياناته..الخ رغبة في اِكتشافه وتطويعه لسياسة الغرب وخدمة لأهداف الاستعمار"[1].

3)-النزعة العلمية:

تطلق هذه التَّسمية على أولئك الباحثين والمتخصصين في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد. "وكانت هذه الكلمة تطلق على دارس الآداب الشرقية أو اللغات الشرقية أو المتخصصين في تاريخ إحدى الدول الشرقية "[2]. ولقد أيقن الغرب هذا المفهوم، فعملوا على تحصيله وتحقيقه، فأقدموا على جميع العلوم والمعارف بنَّهمٍ وشغفٍ كبيرين إجلاء للمكشوف وجمعا للمتلوف. " فالاستشراق مدرسة للتفسير حدث أنْ كانت مادتها الشرق بحضارته، وشعوبه وأقاليمه المحلية، واكتشافات الاستشراق الموضوعية، وهي حصيلة عمل باحثين لا يحُصون نذرو أنفسهم له، فحققوا النُّصوص وترجموها، ودونُوا النّحو في مُجمعات، ووضعوا المعاجم، وأعادوا تركيب حقب منسية، وأنتجوا معرفة يمكن تحريها وامتحانها وضعيا"[3].

4)- النزعة الاستعمارية:

لقد مكنت الحملة الاستعمارية المستشرقين في البلاد الخاضعة لحكمها ونفوذها أن ينشروا فيها فلسفتهم، ويحققوا أهدافهم، ومن أجل ذلك الهدف الاستعماري دُرس الشَّرق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وإيديولوجياً، وعلمياً،

---

[1]- إبراهيم، محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص**174.**

[2]- إبراهيم، محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص **148.**

[3]- سعيد، ادوارد، الاستشراق، ص**214.**

وخيالياومن أجل تلك الرسالة الاستعمـارية أصبح موضـوع الاستشراق يحتل موضعًا هاماً بين مختلف مجلات العلم والمعرفة لدى المستعمـر ورغبـة الغـرب الامبريالية.

فقد تلقفت هذه الأخيرة الحركة الاستشراقية، وكان زعماء الدول الاستعمارية حماتها، وكـان قناصلهم في رقعة الشرق جنودها " لقد استجاب الاستشراق للثقافة التي أنتجته أكثر مما استجاب لموضوعه المزعوم الذي كان هو أيضا من نتاج الغرب"[1] ولقد زادت أطمـاع الدول الأوروبية في المدن العربية الخاضعة للسلطة العثمانية، وسعت وراء نيل امتيازات واسعة بعـد ضعف هيبتها (الرجـل المريض)، وتكالبت كل منها على تقسيمـها وتفكيكها واستقرت فرنسا في سوريا ولبنان ودول شمال إفريقيا، والانجليز في مصـر والسـودان والعراق والخليج الفارسي والبحر الأحمر والايطاليين في ليبيا. كانت هذه غاية ومنتهى السياسية الأوربية حتى الآن وبعد الآن، التي تم على أساسها توزيـع تركة الرجل الأبيض، وإعادة تشكليه جغرافياً وحضارياً " لذلك حفزت تلك القضيـة أوربا إلى دراسة الشرق بصورة أعمق، وفق ذلك المُخطط الاستعماري المرسوم، وعلى هذا تشكلت أهـم أكاديمية للدراسات الشرقية عرفت باسم {أكاديمية الاستشراق} واتخذت دراسة الشرق: تاريخـاً وجغرافية، وإنسان ومصادر طبيعية، وديناً، وحضارة وثقافة، وفكراً، وعوائد، ونظماً، وأعرافاً... رسمياً معترفاً به من قبل أوروبا، ومن تلك القضايا تكوُّن علمُ الاستشراق ليعمل وفـق مُخطـط إِستعماري مدروس"[2].

[1]- المرجع السابق، ص55.
[2]- إبراهيم، محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص174.

خامساً: الاستشراق والتبشير:

قام المُستشرقون والمبشِّرون بأدوار أساسية في غاية الأهمية، أدت إلى إنشاء الاستعمار الأوربي وسيطرته على العالم الشرقي بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة، وأدي هذا التزاوج في العمل، إلى الانقضاض على هذه الشعوب وفهمِ مناهجِها وأهدافِها. ونجد المبشرون في هذه العملية لا يقل اهتمامهم عن المستشرقين، فقد اِهتموا بكل ما يتصل بهذه الشعوب وسلوكياتهم وأحاسيسهم. ولقد أتت بهم السلطة ليكونوا حلقة وصل بينهما وبين السكان وبين المُستعمر المسيحي والمُستعمِر الإسلامي، وبين الحضارة الغربية والحضارة العربية. وهذا العمل التبشيري يتطلّبُ مهارة فائقة في حسن المعاشرة، والتحبب إلى النَّاس وأخذهم باللين حتى يُسهل اِندماجهم في المجتمع. وينقل لنا حمدي زقزوق هذا القول لبارت فيقول "حقيقة أنَّ العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولي في تَعرُفهم علي الإسلام، وكانوا يتصلون على نطاق واسع ولكن كل محاولة لتقسيم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعا ما،كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أنَّ هذا الدرس المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير، وهكذا كان النَّاس لا يُولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون كل الأخبار التي تلوح لهم مُسيئة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام"[1].

[1] - رودى، بارت، الدراسات العربية والإسلامية بالجامعات الألمانية، ص 10/9.

مفهوم التبشير:

المعني اللغوي: يقول اِبن منظور في كتابه **لسان العرب**[1]: مادة "بشَّر" بشَّره بالأمر ...وأبْشَّره فبشَّره وأبْشَّره بِشْراً يُبشِر بِشْراً وبشُوْراً. يقال بشَّرْتُه فأبْشَّر واِسْتبشَر وتبشَر فرِح.
وتباشر القومُ أي بشَّر بعضُهم بعضاً والتبشير الذِّي يُبشِّر القوم بأمر خير أوشَّر.وفي التنزيل العزيز:[2]

والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشَّر إذا كانت مقيدة كقوله تعالي: "[3]، والتبشير الذي يُبشر القوم بأمر خيراً أو شراً.

وتقابل كلمة "مبشّر" باللغة الفرنسية Mission naire ومعناه كما جاءت في - قاموس لاروس – رجل الدين أو مبعوث لينشّر الإنجيل.
المعنى الاصطلاحي:
جاءت كلمة تبشِّير من البِشّارة، أي الإنجيل باليونانية، والمبشِّرون هم الدعاة للمسيحية، المُنصِّرون لغير النَّصارى من أتباع الديانات الأخرى.
يقول المبشر أ.ل شاتليه في كتابه الغارة على العالم الإسلامي، إنَّ تاريخ التبشير المسيحي يرجع إلي صدر النصرانية ومبتدأ تأسيسها، ثم ذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال: إن"ريمون لول " الإسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشِلت الحروب الصليبية من مهمتها، فتعلم لول اللغة العربية بِكّل مشقة من رجال بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة[4]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، القاهرة، دار الحديث،ص425.
[2] - سورة فصلت الآية 30.
[3]- سورة آل عمران، الآية21.
[4]- أ.ل.شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ط4 ،الجزائر ،1985 م، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص،22.

ونلاحظ أنَّ العمل الاستشراقي هو أكبر وسيلة للتبشّير، ويسير التبشّير في كتف الاستشراق وتحت لوائه، وقد يتطلب من المُبشّر معرفة لغة المخاطب وعاداتهم، وتقاليدهم ومعرفة ثقافتهم، لتسهل عملية التنصير بيسر، وهذه الصفة والميزة لا تتوافر إلا عند المستشرقين المبشّرين، وحسب رودي بارت "إنّ الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في بداية الاستشراق في القرن الثاني عشر للميلاد وما تلاه هو التبشّير"[1]

إن المبشّرين والمستشرقين كانوا عوناً للدول الاستعمارية للتوغل داخل البلاد العربية، لمَّا كانوا يُقدمونه من دراسات وتقارير اجتهدوا في صياغتِها وتشكِيلها على الوجه الأكمل، حتى يسّهلوا عملية الغزو لأصحاب السِّلاح، ولقد تصدى أصحاب القضية إلى عدة جبهات اثنتان منها علمية ثقافية، وإحداها قتالية حربية يقول أ.ل.شاتليه "ينبغي لفرنسا أنْ يكون عملُها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية، ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبيت من فائدته و يجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أنْ لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشّرون وغيرهم بها.. وأنا أرجوا أنْ يُخرج هذا التعليم إلى حيز الفِعل ليبُث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية"[2]. ومع ذلك لا يمكننا إنكار جهود العلماء المسلمين في الرَّد على مزاعم التبشير والاستشراق التي دفعت إلى مُواجهات فِكرية حادة فتحت الباب إلى حصانة هذا الدِين والذود عنه بكل غال ونفيس. قال المبشّر بلس: "إنّ الدّين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا، لأن

[1] محمد، على الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1983، ص 15.
[2]- أ.ل.شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص16/15.

إنتشار الإنجيل لا يجد معارضا لا من جهل السكان، ولا من وثنِيتهم ولا من مُناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية،وليس خصمُنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للإتجار بالرّقيق، بل إنَّ هذا الخصـ

م المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النُفوذ في إفريقيا، فالشيخُ والدرويشُ يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر، والمغرب و واداي ويثبتان في الأهالي أن المهدي المنتظر ينتظر ظهوره و ينشر الإسلام في كل الأقطار.."[1]

وهكذا توالت جيوش التبشّير بعد فشل جيوش الاحتلال الصليبي في أرض الشرق، واتخذت مِن الاستشراق وسيلة لتمرير أعراضها حيناً بعد حين، واتخذ التبشّير المظهر الحقيقي للغزو الفكري والديني لأراضي المسلمين، والتبشير و الاستشراق عملة واحدة لرد المسلمين عن دينهم وتراثهم وعقائدهم ونظمهم وعبادتهم . وقد اعتمد التبشّير كما ذكرنا-أنفا- على المُساعدات الطبية والغذائية وبناء الملاجئ والمستشفيات، وتقديم الهيبات بإسم الإحسان المسيحي، وإستُغلال الطُلاب والمرضى وحوّل عقائدهم واتجاهاتهم لصالحه، ووجه بالهُ لإنتاج أجيال ممسُوخة العقائد، مضطربة الثقافة، ولعّل ما ركّز عليه الاستشراق والتبشّير هو الدين الإسلامي ومحمد صلى الله عليه وسلم. " إنَّ الاستشراق حمل الأعمال في ميادين المعرفة الأكاديمية وإستخدم البحث العلمي في تحقيق أهدافه، فلجأ إلى الكتابة والتأليف والمحاضرات والمناقشات العلمية، والمؤتمرات المنتظمة وتأسيس كراسي لدراسة الشرق في جميع مناحي حياته، أما التبشير فهو يلجأ إلى التأثير

[1]- المرجع السابق، ص26. وينظر كتاب: دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي،إبراهيم عوض، الذي وصف الشبهات التي وضعها المستشرقون والمبشرون حول القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو بحث علمي مدقق يبطل هذه الشبهات بأدلة وحجج مضبوطة ووفق تسلسل متسق.

على مظاهر الحياة العقلية العامــة التي تتناسب ومفاهيم الجماهير، كاستخدام وسائل التعليم المدرسي في دور الحضانـة وريـاض الأطفال والمراحل الدراسية الأخرى، وكذلك إنشـاء المؤسسات الخيريـة كالمستشفيات، ودور الضّيافة، والملاهي للكبار، ودور الأيتام، ونشر الدِعاية الواسعة عن طريق الطِباعة والنشر والأعمال الصحافية"[1].

فالاستشراق والتبشير يسيران في خط واحد لا يتعاكسان ولا يصطدمان أبدا، وقد استطاعت الدول الغربية أنْ تُوظف هذين السلاحين الخطيرين في الزحف على الأمة الإسلامية، وهو ما يؤدي في النِّهاية إلى احتوائها وشّل حركتها، بحيث لا تعرف شيئا ًمن أصولها، فتصير تابعة إلا ما عُلق بأذهان أفرادها، مُتتلمِذة عليهم مُنتهية بِقراراتهم وأوامِرهم.

إعداد المبشرين:

إنَّ المسؤولية الملقاة على كواهل المبشّرين والمبشّرات في المجتمع الإسلامي كانت كبيرة جداً، ومما كان يُوصى به المبشرون ويؤكدون عليه هو الكفاءة العلميـة {أي معرفة كتاب المسلمين} وأنْ يُوجهوا كلامهم لِعوام المسلمين ومُخاطبتهم على قدر فهمِهم، ومُستوى إدراكهم؛ ويعتمـدون الصبر والمثابرة وعدم القنوط في التبشير، واختيار المُبشر يكـون من صفـوف المسلمين الضعيفى النفوس". ويجب أنْ تُلقى الخُطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة، وأنْ يخطـب المبـشّر وهو جالس ليكون أشَّد على السامعين، وأنْ لا تتخلل خطاباته كلِمات أجنبية عنهم، وأنْ يبذل عِنايته في اختيار الموضوعات، وأنْ يكون واقفاً على آيات القرآن والإنجيل عارفـاً بِمحل المنافسة، وأنْ يستعين قبل كل شيء بروح القدس والحِكمة الإلهية، ومن الضروري أن يكـون خبيرا بالنّـفس الشّرقية، وأنْ

[1]- عبد الرحمان الميداني، أجنحة المكر الثلاث، بيروت،1975، دار القلم ،ص112

يستعين قبل كل شيء أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التي لا يعرفها الشرقيون"[1]

ويعتقد الباحثون أنَّ المبشّرين كانوا غير مُجانِبين للحقيقة في منهجهم وفى أطروحاتهم، فكان أسلوبهم التشكيك في كل ما يختص بحقائق تراثنا وأفكارنا، ويرى المبشرون أنَّ خصمهم الوحيد هو المسلم؛ والإسلام يحتاج إلى المسيح فهو الذي يقذف النُّور إلى المسلمين، ويُعيد الوحدة والاعتصام، ويُعيد لهذه الأمة التقدم والازدهار. وقد تحدث القديس زويمر في خطابه الافتتاحي بقوله :" إذا نظرنا إلى البلاد التي يحكمها هذا الدين الكبير المُخاصم لنا وإلى البلاد التي يُهددها بحكمه إياها، يظهر لنا أنّ كُلّ واحدة من هذه البلاد يرمز لِعنصر من المعضلة الكبرى، فالمغرب الأقصى في الإسلام مثل الانحطاط، وفارس مثالاً للانحلال، وجزيرة العرب مثالاً للرقود، ومصر مثالاً لمجهودات الإصلاح، والصين مثالاً للإهمال، وجاوا مثالاً للتعبيرِ والانقلابِ، والهند مركزاً التحكُّك بالإسلام وافريقية الوسطى مكان الخطر الإسلامي.."[2].

---

[1]- أل. شتاليه، الغارة على العالم الإسلامي ، ص36.
[2]- المرجع نفسه،ص97..

سادساً: المستشرقون و التراث العربي الإسلامي:

لقد اِستُهدفت حركة الاستشراق أولاً وقبل كل شيء حياة ودين وعلوم وحضارة الشعوب الأولى، فتأثروا بها تأثيرا كبيراً، فتناولوا تراث الأديان (الإنجيل والتوراة والقرآن) واهتَّموا كذلك بحضارة الفرس واليونان والرومان، وامتدّ نشاطهم أيضاً تراث مصر والهند والصين، حتى انتهى المقام إلى الشَّرق بدراسة تفصيلاته وجزئياتهِ - الشَّرق الذي ربط العالم القديم بالعالم الحديث- التي ترعرعت في حُضنِه الحضارةُ الإسلامية - وليدة البعثة النبوية - وقد شملت هذه الحضارة دين سمح كريم ولغة غنية بمفرداتها واشتقاقاتها، ومن أدب يصف التعابير والترانيم، ومن علوم تجربيه كونية أسَّست كلاً في استقطاب الفكر الاستشراقي على طاولة البحث والاكتشاف؛ يقول **لوبون**:"إنَّه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وأنَّ هذا التأثير خاص بالعرب فلا تشاركهم فيه الشُعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، والعرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان، والعرب هم الذين فتحوا لأوربا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية، ولاسيما الكتب العلمية و الأدبية والفلسفية، فكانوا مُمدنين لنا، وأئمة لنا ستة قرون- وظلت ترجمات كتب العرب، ولاسيما الكُتب العلمية مصدراً وحيداً تقريباً للتدريس في جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة قرون- وإذا كانت هناك أمة تُقر بِأنَّنا مدِينون لها بمعرفتِنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة...فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صُنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً، قال مسيو "ليبيري":{ولم لم يظْهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة في الآداب عدة قرون }"[1]

[1]-- غوستاف، لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ،ص 20، وينظر كتاب " مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي" للدكتور محمد

ويتجلى مما قدمناه أنَّ الاستشراق قد اِنصبت عنايتُه على التراث الشَّرقي كُلّه ــ قديمه وحديثه- بوجه عام، وعَكف بكُلّ ما أُوتي من وسائل مادية ومعنوية على دراسة نُظم الإسلام بوجه خاص، إذْ هُو المِفتاح الأساس لفهم عقلية الشرق وأحوالهم؛ وأيقن أنَّ حقيقة الشَّرق هي دراسة اللغة العربية للتعمق والولوج في حضارة العرب،كما قام بترجمة عدد هائل من الكُتب العربية إلى اللغات المختلفة، وعنيٍّ بتحقيقها وكشف عن مخطوطاتها ونَّظّم فهارسها، وهذا التحقيق والمعالجة في النُّصوص قام بها أسلافُنا الأقدمون في رواية كُتب الحديث واللغة والشّعر والأدب والتاريخ في دقة وأمانة وجهد وطلب، وتَبنى المستشرقون إحياء هذه الفنون والعلوم ونبغ منهم علماء أُمناء قاموا بنَّشر نفائس جليلة من التراث العربي" ولولا عناية المستعمرين بإحياء آثارنا، لما اِنتهت إلينا تلك الدُرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومُعجم البلدان، ومُعجم الأدباء، ومُعجم ما اُستعجم، وفتوح البلدان، وفِهرست اِبن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وإخبار الحكماء، والمقدسي الاصطخرى، وابن حوقل، والهمدانى، وشيخ الربوة، وابن جبير، وابن بطوطة إلى عشرات من الكتب الجغرافية، والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، ووقفنا على درجة حضارتنا، ولولا إحياؤهم تاريخ اِبن جبير واِبن الأثير وأبي الفداء واليعقوبى والدينوري والمسعودي وأبى شامة وابن الطقطقى، وحمزة الأصفهاني وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح في عماية من أمرنا "[1]

وأعود لأقول، إنَّ عنّاية الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي، له فضلُ كبير على النهضة العربية الحديثة، فلا يتفق اِثنان على إنكاره وجحوده، بل لابد من

محمود الطناجي، مبحث "جهود المستشرقين في نشر التراث" ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي ،1984، ص206.

[1]- محمد، كرد على، أثر المستعمرين من علماء المشرقيات،ج1،م1927.8،ص24.

النّظر فيه حيث رحل وارتحل، وحيث أجاد وأصاب، وهو جُهد بَالغ الأهمية وفى الوقت نفسه أشّد الخطورة، فمن أقدس الواجبات الدفاعُ عن الدِّين وتتبُع ما قيل عنه، بل الدِّفاع عن وجود الإسلام ككُل، فإنَّ الذي لا يدرك كله لا يترك جله " فمن الحق أنْ يقال أنّ الاستشراق قد اِهتّم بالتراث الإسلامي العربي، ولكن اِهتمامه الأكبر كان منصباً على تُراث من نوع خاص، فاهتمامه بتراث الحلاج، و السهروردى، وابن عربي، وأبى نواس، و بشار، وابن الروandي، والرازي، وغيرهم إنما يكشف عن خطة الغزو الثقافي في الإهتمام بالجوانب المضطربة والمثيرة للشبهات لإعلانها وإبرازها والاهتمام بها، رغبة في دفع أفكارها المُنحرفة والتي كشف زيفها أعلام الفكر الإسلامي إلى الظهور مرة أخرى، وهذه الأفكار ربما كانت فلسفات يونانية، أو فارسية، أو هندية، أو مجوسية، وليست أصلية النّسب للإسلام، وبينما يهتمون بهذه الجوانب يحملون حملات عنيفة على الغزالي، والمتنبي، وابن خلدون ويؤلف كثير من تلاميذهم مؤلفات في الغض من أقدار هؤلاء الأعلام"[1].

لقد اهتَّم الاستشراق بالعالم الإسلامي اهتماما بالغاً، وجعله قديماً وحديثاً ركيزة بحوثه وعنايته، "بلغ المستشرقون من تعلم لُغاتِنا وحِفظ تُراثنا، والكشف عن آثارنا وإحيائِها بالنشر والترجمة و التصنيف ذلك المبلغ لمنهج ومميزات ووسائل لم تتوفر جميعها لنا من قبل، طبعت آثارهم بطابعها..أمَّا وقد شغلوا بتراثنا كشفاً وجمعاً وتحقيقاً وتصنيفاً منذ ألف سنة في جميع البلدان، وبِشتى اللُغات، فلا أقل من أنْ نشكر لهم فضلُهم على العربية"[2].

[1]- أنور، الجندي، في مواجهة الغزو الثقافي، القاهرة، 1969، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص 96/95.
[2] - نجيب، العقيقي، المستشرقون، ص598.

بعض مميزات الاستشراق في الفكر الغربي:

* اِنشغال الاستشراق بالجانب الايديولوجى (العقائدي) للمجتمع الإسلامي، وإصـدار القرارات والأحكام باسمه " التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر و الشـرق الإسلامي، فكلاهما دعوة إلي توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيـع أواصـر القربى بين الشعوب العربية"[1]

* مر تاريخه الطويل بثلاثة مراحل:1- النشأة 2- الثبات 3- التقدم.

* إنشاء جمعيات ومعاهد وكليات للبحث العلمي، وعقد مُؤتمرات ونـدوات تعالج أهم القضايـا المطروحة.

* سيطرة المذهب المادي والتفسيري والليبرالي على التاريخ وخاصة التاريخ الإسلامي، وإهمـال عُنصر الروح والتركيز على المادة فقط، وذلك بسبب اِتساع نطاق الفلسفة الوضعية، وإخضـاع الأفكار الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية.

* مساعدة حكوماتهم لهم أدبياً ومالياً ثم سِعة ثقافتهم، وتفانيهم في أعمالهم، بحيث يستحيل لجماعة أنْ تحيط بما جاء به مستشرق لوحده.

* اِنصراف كل فريق إلى تخصصه وفنهِ الموكّل به " لا ريب في أنَّ الشَّرق اليَّوم بحاجة أشَّد الحاجة إلى النَّهل من مورد الغرب في التفكير، وفي الأدب والفن..ومن الحقّ علينا أنْ نقول: إنَّ ما يقوم به علماء ه اليوم من بُحوث نفيسة في تاريخ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية قد مهد لِأبناء الإسْلام وأبناء الشَّرق أنْ يتزودوا من هذه البحوث في تلك الدراسات، وأنْ يكونوا أكبر رجاء في

[1]- محمد، البهي، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص417.

الاهتداء إلى الحق"[1].

وعلى هذا الأساس تم تصنيف المستشرقين إلى فئتين:

أ)- " فئة طعنت في الإسلام دون قصد أو تعمد، وتناولوا الإسلام تحت اِسم البحث العلمي، ووضعوا أقلامهم في خدمة بلادهم سياسياً و اقتصادياً.... وقد نهج هؤلاء في الأقطار المختلفة سياسة (المبدأ الميكيافلي) الذي تُنادى بالغاية تبرر الوسيلة، والملمحُ الأساس الذي سعى له الغرب المسيحي منذ بداية اتجاهاته نحو استعمار البلاد الضعيفة، هو اكتشافُ البلاد العربية والإسلامية، وبسط قوته الاستعمارية عليها، وهذا أساس خدمهم فيه المستشرقون.

ب)- فئة أنصفت الإسلام، سواء أسلموا أم لم يسلموا، وتركزت بُحوثهم علي دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والآداب والمعاجم، وكانت لبحوثهم قيمة لا يمكن نكرانها"[2] وفي هذا الصدد نذكر إعجاب المستشرق الفرنسي" إتيان دينيه" بالفكر الإسلامي وبتشريعاته، فقد اعتنق الإسلام سنة1927م، وتعلم العربية ودافع عنها في محافل متعددة، مبرهناً على أنها لغة حية وليست ميتة، وحجَّ بيت الله الحرام وقابل الملك عبد العزيز، واتخذ اِسم ناصر الدين دينيه، وألَّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وله كتاب " أشعة خاصة بنور الإسلام " بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد تَوفى هذا المستشرق المسلم في فرنسا ونُقل جُثمانه إلى الجزائر ودُفن فيها[3].

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ص598

[2] - سعيد، ادوارد ،الاستشراق، ص 174 وينظر:الفكر الإسلامي والثقافة العربية لأنور الجندي،ص73، والقضايا لكبرى مالك بن نبي-[2] ص،167

[3]- مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص33.

ونحن لو حاولنا استعراض المنَّاهج الفكرية التي وضعها المستشرقون في مجال الدراسات الإنسانية بصورة عامة، وفى مجال الدراسات الإسلامية بوجه خاص، لما وجدناها تخرج عن:المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ومنهج المطابقة والمقابلة، وهذه شكلت وحدة كاملة لا يحِيد عنها أي دارس للفكر الاستشراقي.

أ) المنهج التاريخي:

أول ما اعتمد عليه المستشرقون- المنهج التاريخي- وهو عبارة عن " ترتيب الوقائع التاريخية أو الاجتماعية بجوار بعضها، وتبويبها، ثم الإخبار عنها، والتعريف بها باعتبار الظاهرة الفكرية ذاتها"[1]، وقد يكون التاريخ مُهتماً بحياة إمارة أو دولة أو منصباً اِهتمامه على قادة من القادات العِظام وذِكر مآثِره، ومُواقفِه ونِضالاتِه السياسية والفكرية، وهذا الترتيب والتصنيف يكون وفق نمط العقلية الغربية الاستشراقية؛ فهم إذْ يذكرون رمزاً من رموز الإسلام، فإنهم يعقدون المقابلات بينه وبين غيره ممن يُسّيدونه؛ فإسراء ومِعراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم هُو واقع عندهم في مقابل"زردشت"و"ماني"، واِتصاله بالملكُوت الأعلى. وهُنا يجب أنْ نُفرق بين الظاهرة الفكرية والواقعة التاريخية، فالأولى عرضية نسبية، والثانية موضوعية علمية.

" فنحن عندما ندرس الحضارة الإسلامية فإنَّ الذي يعنينا ليس التطور التاريخي للحوادث والأخبار وجمعها وتحقيقها، فهذا السَّرد لا يؤدي بنا إلى نتائج جديدة، لأنَّه عبارة عن ترداد ما حصل في الماضي، ولكن مهمة الباحث الحقيقة

[1]- حسن، حنفي، دراسات إسلامية، دار التنوير، ط1، 1982، ص227.

هي إرجاع الظواهر الفكرية الإسلامية إلى أصولها الأولى التي خرجت منها كالقرآن والسنة مثلا، لمعرفة كيفية خروجها منها ومحاولة العثور على منهج أو مناهج دائمة يمكن بواسطتها العثور على منهج إسلامي عام"[1] فتطبيق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية، نتائجه تأتي غير علمية و التي هي في أغلبها حقائق فكرية مثالية.

ب) المنهج التحليلي:

ويقصد به " تفتيت الظاهرة الفكرية إلى مجموعة من العناصر يتم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من العوامل أو الوقائع التي أنشأها..ومن هنا فإن تطبيق هذا المنهج على دراسة الفِرق الإسلامية، وكيفية نشأتها فإنَّه يحكُم عليها طبقا للمعايير السياسية"[2]

فإذ طُبق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية فإنهم يخضعونه للتجزيئ والتقليل، ونرى ذلك في دراستهم للفِرق الإسلامية الكلامية،

"ومن هُنَّا فإن تطبيق هذا المنهج يؤدى إلى الحكم على الحضارة الإسلامية بالجدب وعلى الدِّين بالجمود، وعلى الوحي بالاضطراب والاختلاط، وعلى التوحيد بالتجريد، وعلى العقائد بالقضاء والقدر، وعلى الشعوب بالتخلف"[3].

ج) المنهج الاسقاطي:

وهو لجُوء الباحث إلى مُكتسباته القبلية، وانطباعاته التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعينة، ليتم الإسقاط حسب مراده وهواه "ويقوم هذا المنهج – وهو في الغالب لاشعوري- على باستبدال الظاهرة المدروسة بظواهر أخرى

[1]- المرجع السابق، ص69.
[2]- ساسي، سالم الحاج،الظاهرة الاستشراقية وآثرها في الدراسات الإسلامية ،ج1، طرابلس ط4،1997 الجامعة المفتوحة ،ص204.
[3]- حسن، حنفي، التراث والتجديد ص75.

هي: أشكال الأبنية النظرية الموجودة في ذهن المستشرق يراها في الواقع مخفيا بذلك الظاهرة الموضوعية التي أمامه"[1]

فإذا كانت الظاهرة الفكرية موجودة فعلاً، فإنَّ تصورها في ذهنه غائب، ويحاول نفيها مهما صحة وجودها،"ذلك أنَّ المستشرق- وهو في حقيقة الحال نِتاج بيئتِه - وإيمانه الشَّديد بثقافته ومِنهاجه باعتبارها النَّموذج الأمثل لكل الثقافات والمناهج ..فيسهل عليه عملية الإسقاط التي يمارسها من خلال نظرته الاستعلائية، فتأتي أحكامه جائرة ومنافية للحياد العلمي الصحيح"[2].

د) منهج التأثير والتأثر:

إذا أردنا فهم هذا المنهج فإن مُراده يقضى بأنَّ هناك عوامل خارجية بسطت قُوة الأثر والتأثر على الحضارة الإسلامية، والحضارات الأخرى، ونفت عنها صفة الكينونة والحدث" فالمستشرقون عندما يطبقون منهج الأثر والتأثر على الفلسفة الإسلامية، فإنهم يرجعونها إلى أصول يونانية، ولا يُؤمنون البتَة بأصالتها، وهذا الخطأ يُدافع عنه المستشرقون طبقاً لمِعايير الأثر والتأثر"[3] ، فإقصاء الغير وحجب تاريخه ولغته ودينه، هو منهج الأثر والتأثر الذي يجب أنْ يُعاد درسُه وفهمه بأطر متفتحة وبمناهج متحررة.

هـ) منهج المطابقة و المقابلة:

وقد اِعتمد المستشرقون أيضاً هذا المنهج في مُطابقة النصوص الإسلامية، ومقابلتها مع نظيرتها من النصوص اليونانية أو الإغريقية؛ وهذا

---

[1]- هاني، محمد يونس بركات،الاستشراق و التربية، ص153.
[2]- ساسي، سالم الحاج،الظاهرة الاستشراقية وآثرها في الدراسات الإسلامية ، ص205.
[3]- المرجع السابق، ص206.

لمعرفتهم باللُغات على اختـلاف تفريعاتها (العربيـة، اللاتينية، الفارسية، العربية.). "وقد ساعدهم على هذا معرفتهم بالعديد من اللغات، واِطلاعهم على آلاف المخطوطات، واكتشافهم للمئات من النقوش والآثار، فاستخدموا مناهج المطابقـة والمقابلـة بين هذه النصوص المجمعـة، وحاولوا التوفيق بينها، واستخلاص النتائج العلمية من استعراضها، كما برعُوا في الترجمة وتحقيق النصـوص وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية"[1]

[1]- ساسي، سالم الحاج،الظاهرة الاستشراقية وآثرها في الدراسات الإسلامية ، ص207.

الفصل الثاني دور الاستشراق والترجمة في الجزائر، ويشتمل هذا البحث على:

1 - واقع الجزائر إبان العهد العثماني.

أ- الواقع السياسي للجزائر.

ب-الواقع الاقتصادي والمالي.

ج- الواقع الصناعي.

د- الواقع الديني والتعليمي.

2- أول خطاب استشراقي مترجم.

أ- مدرسة اللغات الشرقية والمترجمون.

ب- المترجمون غداة الاحتلال الفرنسي.

ج- عهد الترجمة.

3 - مسيرة الاستشراق الفرنسي.

أ- الحالة الأدبية والفنية في ظل الاحتلال.

ب- الواقع الأدبي والفني للجزائر.

ج- جهود بعض الجزائريين و الفرنسيين في مجال الترجمة

4- أعمال المستشرقين الفرنسيين في الجزائر.

أولاً:واقع الجزائر إبان العهد العثماني:

إنَّ كلّ دارس لتاريخ الجزائر يعتقد أنّ دخول الإسلام إلى الجزائر كان عامل قُوة خالـدة، فقد منَح الإسلام للجزائريين العقيدة الصحيحة التي ربطت سُلوكهم وأفكارهم، والإيمان الذي جمع طُموحهم وحركتهم، واللغة التي فسرت خِلجانهم وشُعورهم؛كما غرس فيهم رُوح الحرية والنضال، وبالتالي فلقد أكسب الإسلامُ الجزائريين حضارة قارة، تقوم على الديـن الإسلامي كمنهج حياة، والعربية كوسيلة تفكير وتعبير، ومن جانب آخر فلقد ساهم الجزائريون مساهمة فعالة في امتداد هذه الحضارة الإسلامية من جميع المستويات الثقافية والفنية والأدبية والسياسية.. وأسست بهذا الأخير دولة مستقلة تُضاهي كل الدول.

وكانت إيالة الجزائر، واحدة من أمصار الخلافة العثمانية، تمُارس نشاطها التّجاري والسياسي والاقتصادي باستقلالية تامة مادامت مُتبعة النهج العام للخلافة، وكان الباب العالي لا يتدخل إلاّ فيما يخص وحدة الخلافة واستقرار الإسلام، وتألفت العلاقة بين الداي والبابا العالي كعلاقة السيد بالسيد يربِطها رابط الدين الإسلامي والمصالح المشتركة للأمة .

وقد عُدت الفترة التي عاشتها الإمبراطورية العثمانية الإسلامية منذ فتح القسطنطينية إلى أخر أيام سليمان القانوني حِقبة القوة والازدهار؛ وبعد أن توفى هذا السلطان عام 1566م بـدأت عوامل الانهيار تظهر شيئاَ َفشيئاً حتى إذا أطّل القرن السابع عشر الميلادي طُويت صفحة القوة والمجد، وحلّت محلّها صِفةُ الضعف والهون، وأخذت الأوضاع في الاضطراب والتعفن وتوالـت على الجيوش العثمانية الانكسارات في شتى الجبهات، ورغم المحاولات الإصلاحية المتكررة إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، فإن هذا

الإصـلاح لم تسْتفِد منه الإمبراطوريـة العثمانية في معالجة أجهزتها الإدارية والاجتماعية من الانهيار.

فكان ضعف شخصيات السلاطين وإهمالهم للشؤون الإمبراطورية، واِنشغالهم باللّهو والتّرف من أكبر تلاشي الدولة و ضياع صلاحيتها،كما أدى ضُعف السلطة المركزية إلى قِيام حركات اِنعزالية تحمل طابع الانفصال والفردية؛ بالإضافة إلى سُوء اِختيار حكام الولايات التي أصبحت مناصِبهم تُشترى بالأموال، بل كان همُهم جمع المال والثراء على حساب شعوبهم، ونتج عن كل هذا كثرةُ الاضطرابات والثورات في أقاليم هذه الولايـة والحكـومة المركزية نفسـها. ومما ضاعف من مصاعب الإمبراطورية العثمانية اِمتدِادُ رُقعتها، واتِساعها وتنوع شعوبهـا، وبذخ السلاطين وكثرة مصروفاتهم الشخصية في سبيل إشباع رغباتهم، وقد أدت هذه السياسة اللامسؤولة في الميدان الاقتصادي إلى إفلاس الخزينة العثمانيـة، مما اضطر السلاطين إلى أخـذ القروض من الدول الأجنبية، وأثقل كل ذلك كاهل الخزينة العامة وأخذت السلطة تفرض على رعياها الضرائب الفادحة وإجبارهم عليها.

لقد شكلت الدولة العثمانية لأول مرة في التاريخ الحديث، مصدر تهديد حقيقي للعالم، وهذا التوسع في القوة العسكرية والماديـة كان حافزاً جوهرياً لأطماع أوربا الاستعمارية، وقد بدت تهتم بالعالم الإسلامي ككيان جغرافي حضاري يشكل خطراً إزاءها، واستّمر هذا الوضع حتّى القرن التاسع عشر ، وبدأت المرحلـة العكسيـة بحيث أخذت الدول الأوربية البحث عـن مُستعمرات لها خارج بلادها ، واتّجهت بالضبط نحو العـالم الإسلامي بشطريـه الأسيـوي والإفريقي، ولكن تصادم مصالح هذه الدول والخلافات الناشِئـة بينها حول اقتسام الدولـة العثمانية ساعد على استمرار هذه الدولة ردحاً من الزمن، ونشأ

بما يسمى بالمسألة الشرقية، أي الخلاف على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية.

و من أهم الدول الأوربية

الطامعة في التّركة: إنجلترا وفرنسا والإمبراطورية النمساوية وروسيا القيصرية.. فتنافست وتسارعت بشكل مخيف على ذلك، وحالفها الحظ بسبب تفوُقِها الحربي والصناعي الذي اِتخذته أداة لتحقيق ذلك.

وقد أدى ازدهار الصناعة وتطورها إلى تضخم الثروات والأرباح التجارية ، فظهرت رؤوس أموال ضخمة ، ورغب أصحابها في استثمارها واستغلالها خارج أوربا لزيادة أرباحهم وتجارتهم وتحول توجهها من تنافس اقتصادي تجاري إلى تنافس سياسي استعماري.

وخلال هذا الطرح لا نغفل جانب الباعث الصليبي (التبشّير الديني)[1] الذي حرك أوربا للاستيلاء على العالم الإسلامي، فلقد غزت فرنسا الهند الصينية انتقاما لمقتل راهبٍ مسيحي فرنسي مبشر فيها، ذهب إلى هناك لينشر تعاليم الكنيسة ، ولقد اِحتلت الجزائر لتفتح بوابة إفريقيا لدخول المسيحية ،كما عبر بذلك شارل العاشر أثناء إعداد حملة الاحتلال عام 1830م، وتوغل الانجليز في غزو إفريقيا الجنوبية والشرقية بدعوى نشر المسيحية كقناع لأطماعهم الاستعمارية .

لقد تركز نشاط الاستعمار الأوربي في العالم الإسلامي داخل القارة الإفريقية،إذْ اتجه نحو البلدان الإسلامية في شمال إفريقيا أولا عن طريق استثمار رؤوس الأموال، وذلك بمنح قروض مالية لبعض البلدان بفوائد وأرباح فاحشة ، وإغراق أسواقها بالبضائع الأجنبية ، وبذلك تصبح في مأزق دُيون وفواتير يصعُب تعويضها ، ثم تتم السيطرة والرقابة المالية على

[1]- محمد، قطب، واقعنا المعاصر، ط2، مصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1989، ص 195/194.

الاقتصاد الوطـني لتلك البلدان، و بعدها يقومـون بالتدخل العسكري بحجة حماية ديونهم و قروضهم وضمـان استخلاصها ، وقد حدث هذا في تونس عام 1877م ،وفي حفر قناة السويس بمصر. ونتيجـة لهذا المشروع تتحصل الدول الأوربية على امتيازات قضائية و قنصلية واقتصادية ودينية وسياسية ويصبح أفرادها يتدخلون في تسيير شؤونها الإدارية والسياسية؛ وأبسـط مثال على ذلـك، أنّ الجزائر سمحت لفرنسا امتياز بإنشاء مراكز القالة لصيد المرجان.. تلكم هي صور وأشكال الاستعمار الحديث الذي ظهر وتطور كنتيجـة للتقدم الصناعي والفكري للدول الأوربية، وكنتيجة لضعف وانزواء الدولة العثمانية.

أ- الواقع السياسي للجزائر:

خلال أكثر من ثلاثة قرون ضلت الجزائر قوة بحرية تسيطر على غربي البحر الأبيض المتوسط، وعلى أجزاء مختلفة من شواطئ المحيط الأطلسي، وذلك عن طريق أسطُولها البحري الذي فرض نفسه على دول أوربا الغربية والشرقيـة بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكيـة وكانت هذه الدول تدفع سنويا ضريبة مرور مراكبها في البحر المتوسط، وتقدم لها الهدايا، لكي تنال قسطـاً من الصداقة والوُد والاحترام، ولكي تحُافظ على تجارتها وممتلكاتها.

كانت الجزائر محكومة من طرف الداي حسين العثماني، الذي كان منتخباً من البرلمان العثماني، وكان الداي يُعين وزراء لتسيير الدولة والتي منها: وزارة البحرية والشؤون الخارجيـة و وزارة المالية ووزارة الداخلية.. وكان الداي أيضا يعين وُلاة الأقاليـم الثلاثة : إقليم قسنطينة، إقليـم وهران ، إقليم التيطري [1].

[1]- صالح، عوض، معركة الإسلام والصليبية، ط1، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989م، ص59.

فلقد كانت الجزائر دولة كاملة لها جيش، ولها قضاء ، لها علم ولها عملة، لها مركز إفتـاء ولـها ضرائب..الخ. وكانت أول الدول الإسلامية الإفريقية التي حضيت باهتمام فرنسا– الجزائر-. فلقد اِشرأب لها الفرنسيون عقِب فشل حملتهم على مصـر، ولذا عمل نابليـون على مسـح الساحل الجزائري عام 1808م لمعرفة المكان الجيوستراتيجي لعملية الإنزال العسكري؛ إلا أنّ اشتغـال نابليون بالحروب مع البلـدان الأوربيـة جعلت فكرته تؤول إلى الفشـل، وبقيت الحكومات الفرنسية اللاحقة مُصممة على تنفيذ هذا المشروع ،إذْ أغْوت الجزائر فرنسا بِثرواتها المختلفة كالجلود واللحوم بعض المواد الصناعية...الخ.

إذن، فالهـدف الأول للفرنسيين كان اقتصادياً، بسبب الغِنى الذي تتمتع به الجزائر زراعيـاً "فالملاحظ أن فرنسا كانت ترى في احتلالها للجزائر ضالتها المنشُودة ،وبهذا فإن نابليون أرسل ضابطا إلى الجزائـر في سنة 1808م، وكلفه بأن يدرس بالتفصيـل مشروع الحملة الفرنسية
وأن يضع الخطط العسكرية الشاملة ، وأشار إلى الطرق والآبار والوسائل التي تؤدي إلى حشدِ القوات..ولم يبق أنذاك أمام فرنسا إلا أن تجد عذراً مُختلقاً لتبرر به العدوان الذي عقدت العزم عليه عاجلا أو أجلا "[1]

لقد قامت فرنسا بجميع الإجراءات لبقاء الصلة مع الجزائر، وعمِلت هذه الصلة في عهد البابا حسين، وذلك عن طريق التبادلات التجارية من القمح والشعير..لِسد حاجيات فرنسـا إليها، وقام الجاسوس المستشرق" تادنه" بتقديم تقريرا لإمبراطورية الفرنسية جاء فيه: "إنّ مناخ الجزائر جميلُ وأراضيها طيبةٌ ، توجد بها مزارع شاسعة وسهول فسيحة ،كما أنها تنتج كميات هائلـة

[1]- عبد القادر، نور الدين . صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، مطبعة البعثة ،1965م ،ص.86

من القمح والشعير والصوف والجلود و الشموع، أما مراعيها فتسخر بأنواع الحيوانات المختلفة كالأبقار والأغنام والماعز والبغال والحمير الممتازة"[1].

وعندما تراكمت الديـون على فرنسا طلبت الجزائر تسوية ديونها، فقبِلت فرنسا ذلك وتم التوقيع على اِتفاقية تقضي بتسديد كامل الديون ، إلا أنّ هذه الاتفاقية كانت مجحفة في حـق الجزائر، مما جعل الداي حسين يستدعي قنصل فرنسا في الجزائر مسيو بييرديغال في شهر أفريل 1827م، ويناقش معه موضوع الاتفاق؛ واحتدم الجدل بين الطرفين إلى الدرجة التي جعلت الداي يغضب ويُعنف على القنصل بسبب تعسف بلاده اتجاه الجزائر، وقد اعتبر ت فرنسا هذه الحادثة إهانة بحق قنصـل فرنسا وبحق عرش فرنسا. "ورأت حكومات أوربا القوية أن اتجـاه فرنسا إلى غزو الجزائر من مصلحة السلم والأمن في القارة الأوربية ، وإن من الحكمة تشجيـع فرنسا على هذا التوسع، وأن تلتزم هي الصمت إزاء هذا العدوان ،لأنه يُؤدي إلى انشغال قـوة فرنسا البرية ، وإلى توزيع جهود هذه الأمة الحربية في ناحيـة لا تضـر الأمـم الأوربيـة"[2]

لقـد أرسـلت فرنسا حمـلة عسكـرية بقيادة الجنرال بورمون، ودخلت الجـزائر 05 يوليو1830م وسقطت مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي بسهولة، ولم يكن أبداً في نية فرنسا أن تُؤدب الداي حسين الباشا وحاشيته على سوء أدبه مع قنصلـها على- حد زعمها- ولم يحدث الغزو دون سابق دراسة وتخطيط ، بل إنّ الغـزو الفرنسي كان يسير وفق خُطـة مدروسة خطط لهـا كبار المستعمرين.

---

[1]- من دار المحفوظات الوطنية فى باريس ، تقرير بتاريخ 19 /1802/08م ، نقلا عن صالح،عوض ، معركة الإسلام والصليبية. الزيتونة للإعلام والنشر ، ط1، 1989م، ص52.

[2]- مسعود، مجاهد الجزائري، أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، مصر، دار المعارف، ص 10.

وفكرةُ الهجوم على الجزائر وجعلها تابعة لفرنسا قديمة جداً، فهو حُلم رُواد أسلافِهم حينـاً من الدهر، إلى أنْ جاء اليوم الذي صار هذا الحلـم حقيقة واقعة ، فوطئت أقداهم شواطـئ سيدي فرج (الجزائر) بلا مشاق ولا نصب، ثم احتلت كل من المرسى الكبير ووهران وعنابه، وتم بسْطُ قُوتها وسُلطتها على كامل تراب الجزائر دام 40 سنة بسبب المقاومـات والثورات الشعبية الجزائرية التي قامت بدافِع إسلامي وجِهادي مُقاوم، في مواجهة الاحتـلال الفرنـسي كقـوة غازية غير إسلاميـة.

ب-الواقع الاقتصادي والمالي:

لقد زار الجزائر قبل احتلالها كثير من الرحالة والمغامرين، الذين تحملوا عناء السفر والضرب في مجاهل الأرض، لِيُفيدوا فرنسا بالمعلومـات الكافية عن طبيعة الأرض ومناخـها وجبالهـا وهضابها ووديانها، وكانت العوائق الكبير التي واجهتهم هي صعاب الصحراء (الجنوب الجزائري أرض الفيافي والقفار..

لقد بلغ الوضع الاقتصادي الجزائري نموا كبيراً وتطوراً عجيباً، حيت كانت ديونها على دول أوربا، لاسيما الحكومة الفرنسية تبلغ ملايين فرنكات من الذهب؛ فقد كان سهل متيجة يُعتبر من أحسن الأراضي بموقعها وبمناخه وجوه الملائم للفلاحة ، والزراعة كانت المورد الرئيسـي الذي يُؤمن معيشة غالبية السكان ، إلا أنه في أواخر الفتـرة التركيـة عانت من مشاكـل و صعوبات عاقت تطورها و ازدهارها ، والمتمثلة في الأساليب العتيقة المتعبة ، والآلات البدائيـة المستعملة في خدمة الأرض، فكان المحراث الخشبي ، والمنجل اليدوي، والسقي العشوائي كلها مشاكل حالت دون تحسن الإنتاج وكثافة المحصول.

والملاحظ أن الدافع الاقتصادي كانت تُوجِهه العلاقات الخارجية، من خلال نشاط القرصنـة ونظام الإتاوات ،والهدايات الإلزامية، وكان تعامل الدول الأوربية مع الجزائر هو الحصول على أكبر فائدة ممكنة عن طريق شراء الأولية وبيع مصنوعاتها،أو ممارسة صيد المرجان على السواحل الجزائرية؛ وصار الميزان التجاري في غير صالح الجزائر، وذلك لغلاء المواد المجهـزة المستـوردة وبخس أثمان المواد الأولية المصدرة، وهذا الاختلال في ميزان المدفوعات تسبب للجزائر خسارة مالية باهضة، وأصبحت الإيالة في ضائقة مالية، وإنهيار اقتصـادي كامل، وهكـذا اجتمعت العوامل وتعاضدت في تحريك الدوافع من أجل إنجاز مشروع الحملة ونزول الجيوش الفرنسيـة بسيدي فرج يوم14جوان 1830م، والاحتلال العام يوم 05 جويلية كان الضربة القاضية لهذه الأوضاع الاقتصادية والمالية المتداعية.

ج- الواقع الصناعي:

لقد كانت الصناعة المحلية أكثر تقدما، وأحسن تنوعا، شهد بذلك مختلف الروايات التي تجمع على أن الحرفيين الجزائريون كانوا موزعين كلاً حسب تخصصه، وحسب متطلبات السـوق، مثل: حاجة السوق إلى الأغطية الصوفية، والبرانس و الزرابي والحصير، فنجـد النجـارين في شارع محدد، والحدادين في شارع آخر، و الشواشين في ثالث، والصباغين في رابع، والدباغين في خامس...وغيرهم ممن أكسبوا الجزائر حلة صناعية مختلفة.

د- الواقع الديني والتعليمي:

الجزائر بلد إسلامي مُتجـدر، فلم تُؤثر فيه تيارات الاستعمار الفلسفية، ولا الإرساليـات التبشيرية، ولقد شكّل الدّين الإسلامي الحصن المنيـع في منع الغُزاة بمختلف ألوانهم وأشكالهم، وإذا أُريد إِحتلال الجزائر فيجب القضاء عليه

، وتحويل مساجده إلى كنـائس، وإن لم يكـن فالدعوة إلى الانحلال والتمييع، وإذا تحقق أحد من هذه الأهداف سهُلت الهجمة الصليبيـة و تمكنت القابلية.

يقول الملك شارل العاشر في خطاب ألقاه يوم 21يناير 1830م "إنّ التعويض الكبير الذي ستحصُل عليه حكومتي رداً لشرف فرنسا سيؤول بحول الله وقوتهِ لإخواننا في الدين المسيحي"[1]

وكان أول عمل قام به الفرنسيون هو مُصادرة المساجد والتدخل في شؤونهـا، بتعين الأئمـة ورجال الإفتاء حسب رغباتهم ، ولِتجنُب عدائِهم وجهادهم ، واستطاعت بعض المراكز الثقافية التي ظلت بعيدة عن سيطرة الفرنسيين أنْ تحافظ على رسالتها التعليميـة ودورها الإرشـادي والتبليغي، بحيث إنه "لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة تعليمية ولا خطة أو برنامج رسمـي لتشجيع التعليم وتطويره، أو العناية بأهله ، وإنما كان تعليماً خاصاً يخضع للمبادرات الفرديـة والعائلية، والمؤسسات الإسلامية الخيرية، ومن ذوي البر والإحسان، وكانت تغذية الأوقاف التي تعتبر مصدر تمويله الأول"[2].

قلنا إن اهتمام الحكومة العثمانية بالعلم والثقافة والتعليم كان شبه معدوم، نظراً لانصـراف الدولة حينها للمحافظة على الاستقرار السياسي والأمن الداخلي للخلافة،والدفاع عن الحدود الجغرافية، وجمع الضرائب، مما جعل أغلبية الأفراد تعيش الجهل والحرمان، حيث كانت نسبـة تعليم الجزائريين بمعدل واحد لكل ألف تلميذ جزائري ، دون أن ننسى دور بعض المساجد والزوايا في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة، والكتابة،والحساب * والعلوم الدينيـة وبهذا قد ساهم المسجد في نشر التعليم ومحو الأمية وتعميق

---

[1]- أحمد، الخطيب،الثورة الجزائرية ، ص42.

[2]- عبد القادر، حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1،الجزائر ، دار الأمة ،1999، ص26.

* كانت بعض الدروس العلمية تقام في المرحلة الثانوية والتي كانت مقسمة إلى علمين: 1)-علوم نقليه تشتمل على التفسير، الفقه، الحديث الشريف، والعلوم المتصلة بالقران..2)-علوم عقلية وتشتمل على الفلسفة، البلاغة، المنطق، النحو..

الثقافة الإسلامية."وتمثلت سنة 1880م، التاريخ الحقيقي لتنظيم التعليم الخاص بالجزائريين، ويعتبر هذا المرسوم الجديد(13 /1883/02م) مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر الثقافي والتعليمي"[1].

[1]- عبد القادر، حلوش ، سياسة فرنسا التعليمية فى الجزائر، ط1، الجزائر، دار الأمة ،1999 ، ص 141.

ثانياً: أول خطاب استشراقي مترجم :

إنّ تاريخنا المجيد، وماضينا العتيد، هما الذين أمليّا على أوربا أنْ تفكر في احتلالنا وعسكرتنا، حتى نصير قبائل متناثرة وشعوباً متناحرة، وتنـزع عنا صفة وحدة الأرض، ووحدة التاريـخ، ووحدة الدين، ووحدة اللغة، ووحدة الثقافة، ووحدة التاريخ، والمصير المشترك، ووحدة الهدف والإيمان القومي.

وكان أول خطاب استشراقي تم توزيعه على الأهالي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، يحمـل بين سطوره معرفة جيدة بالمكونات السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في الدولة الجزائرية العثمانية، وباللفظ الصوفي وبالروح الصوفي المنُضبط، الذي كانت تمثل اللُحمة التي تلتحم تلك القيم السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية..فهذه الوثيقة لديها كل أسباب الاستشراق، وهي مُحررة من طرف مستشرق(دي ساسي)، له دراية باللغة العربيـة وأهاليها، وكانت تنضـوي

على مجموعة من الحقائق الزائفة.

أ- زعمهم أنهم قادمون لتحرير الجزائريين من الاستعمار التركي، لهذا يجب علـى الجزائـريين مساعدهم لتحرير أنفسهم .

ب- وعدوا باحترام الدّين الإسلامي وتشريعـاته، واحتـرام الرسول صلى الله عليه وسلـم، والتقاليد والممتلكات ،وأن الجزائريين سيبقون أسياداً في بلادهم.

ج- أن الخطاب كان موجه في أغلبه للمشايخ والأنساب والقضاة والأئمة ؛ أصحـاب النفوذ والاحترام لاسْتدراجهم وتغْريرهم.

وقد نُشر هذا البيان لأول مرة في المجلة الإفريقية لسنة 1862م صفحـة153-154-155-156 باللغة العربية مع ترجمة حرفية بالفرنسية ،

قام بها السيد بريسني، "ففي نهاية شهر ماي سنة1830م ،انتدب الكونت دي بورمونت العقيد المركيز دي كليرمونت- تونير لكتابة البيان بالعربية موجهاً إلى الجزائريين ،وحين انتهى تونير من كتابة البيان أعطـاه إلى المستشرق دي ساسي لكي يصوغه باللهجة العربية الجزائرية"[1].

نص البـيان :

"هذه مناداة من سار عسكر أمير الجُيوش سعادة الفرنساوية إلى سكان الجزائر وأهالي القبائـل. (باسم الله المبدئ المعيد وبه نستعين)

يا أيُّها ساداتي القضاة، والأشراف، والعلماء، وأكابر المشَّايخ والاختيارية، اقبلوا مني أكملَ السَّلام، وأشمل على أشراف قلبي بمزيد العزِّ والإكرام . أما بعد اِعلموا هدَّاكم الله إلى الرُّشْد والصواب، سعادة سلطان فرنسه مخدُومي وعِز جنابهُ الأعلى عَز نصرْهُ قد أنعم عليَّ بتوليته أيَّاي منْصب سار عسكر،ويا أعز أصدقائنا ومحببينا سُكان الجزائر ومن ينتمي إليكم من شعب المغاربة أنَّ الباشا حاكمُكم من حيث أنَّه تجراء على بهدلة بيرق فرانسه المستحق كل الاعتبار. وأقْدَام على إهانتِهِ، فقد سبب جهله هذا كل من هو عنيد أنْ يَّحل بـكم من الـكوارث والمضرات، لكونَّه دعي عليكم الحرب من قبلنا، فإنَّ عزة اقتدار سلطان فرنسا دام ملكه، نزَع الله من قلبهِ ورأفته المعروفة المشهورة، فلا بد أنَّ هذا الباشا حاكمكم من قِلة بصيرته وعماوةِ قلبه قد جذب على نفسه الانتقـام المهول، وقد دنا القدر المقدر علـيه، وعن قريب يحل به ما استحقـه من العذاب المهين.

[1]- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص198.

أما أنتم يا شعب المغاربة اعلموا أو تأكدوا يقينا أني لست آتيا لأجل محاربتكم، فعليكم أنْ لا تزالوا آمنين ومطمئنين في أماكنكم، وكل ما لكم من الصنائع والحرف براحة سر. ثُم إني أُحقِقُ لكم أنَّه ليس فينا منْ يُريد يضركم لا في مالكم ولا في أعيالكم. ومما أضمن لكم أنَّ بلادكم وأراضيكم وبساتينكم وحوانيتكم وكل ما هو لكم صغيراً كان أو كبيراً فيبقى على ما هو عليه ولا يتعرض لشَّيء من ذلك جميعهِ أحد من قومنا، بل يكون في أيديكم دائماً .

فأمنواْ بِصِّـدق كلامي، ثُم إنَّنَا نضمـن لكم أيضاً ونعدكم وعداً حقيقياً مؤكداً غير متغير، ولا متـأول أن جَوامعكم ومساجدكم لا تزال معهودة معمورة على ما هي الآن عليه وأكثر، وأنَّه لا يتعـرض

لكم أحد في أمور دينكم وعبادتكم، فإنَّ حضورنا عندكم ليس هو لأجـل محاربتكم وإنَّـما قصدنا مُحاربة باشتكم الذي بدأ وأظهر علينا العداوة والبغضاء . ومما لا يخفـى عليكم غايـة تحكمه وقُبح طبعه المشؤُم، ولا ينبغي لنا أنْ نُطلِعكم على أخلاقه الذميمة وأعماله الرَّذيلة فإنَّـه واضح لديكم لأنَّه لا يسعى إلاَّ على خراب بلادكم ودَثارها وتضييع أموالكم وأنفسكم.ومـن المعلوم أنَّه أنَّما يريد أنْ يجعلكم منَ الفُقراء المنحُوسين المبهدلين الخـاسرين أكثر من المسخـط عليهم، فمنْ أعجب الأمور كيف يغبى عنكم أن باشتكم لا يقصد الخير إلا لذاته، والدليل كون أحسن العمـارات والأراضي والخيل والسلاح واللبس والحلي وما أشبه ذلك كله من شأنـه وحده.

فيا أيُّها أحبابنا سكان المغرب، أنَّه عز وجل ما سمح بأنْ يصدر من باشتكم الظالم ما فعله من أعمال الخُبث والردى إلاَّ إنْعاماً منهُ سُبحانه وتعالى عليكم، حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطته على كل خير ويفرج عنْكم ما أنتم فيه من الغَّم والشِّـدة، وإذ والحال هذه أسْرعوا واغتنمُـوا الفرصة ولا تَعمى أبْصاركم

عما أشرفه الله عليكم من نُور اليُسْر والخلاص، ولا تغفلوا عما فيه مصلحتكم بل استيقظوا لكي تتركوا باشتكم هذا وتتبعوا شورنا الذي يؤول على خيركم وصلاحكم .وتحققوا أنَّه تعالى لا يبغي قط ضرر خليقته بل يريد أنَّ كل واحد من براياه يجوز ما يخصه من وافر نعمه التي سبغها على سكان أرضه.

يا أيُّها أهل الإسلام، إنَّ كلامنا هذا صادر عن الحب الكامل، وأنَّه مشتمل على الصلح والمودة، وأنْتم إذَا شَيعتم مراسيلكم إلى أُوردينا حينئذ تتكلم وإيَّاهم والمرجو من الله تعالى أنَّ مُحَادثتنا مع بعضنا بعض تَؤُول إلى ما فيه منافعكم وصلاحكم.وعشنا بالله أنَّكم بعد ما تحققتم أنَّ مقاصدنا وغايتنا الفريدة ليست هي سوى خيركم ومنفعتكم تشيعوا لنا صحبة مراسيلكم كل ما يحتاج إليه عسكرنا المنْصُور من الذخائر ما بين طحين وسمن وزيت وعجول وغنم وخيل وشعير وما يشبهه، وحين وصلت مُرسلاتكم هذه إلينا فحالاً ندفع الثَّمن فلوسا نقدية على ما تريدون وأكثر .

هذا وإما أنَّ منكم معاذ الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا ومقاومتنا، اِعلموا أنَّ كل ما يُصيبكم من المكروه والشَّر إنَّما يكون سببه من جهتكم، فلا تلوموا إلا أنفسكم فأيقنوا أنَّه ضد إرادتنا فليكن عندكم محققا أنَّ عساكرنا المنصورة تحيط بكم بأيسر مرام ودون تعب، وأنَّ الله يُسَّلطُها عليكم فإنَّه تعالى كما أنَّه يأمر من يجعل لكم النَّصر والظفر بالرحمة والمسامحة على الضعفاء المظلومين، فكذلك يحكم بأشَّدِ العذاب على المفسدين في الأرض العائثين على البلاد والعباد، فلا بد أنَّكم تعرضتم لنا بالعداوة والشَّر هلكتم على أخركم .

هذا أيُّها السادة ما بدا لي أنْ أكلمكم به، فهو نصيحة مني إليكم فلا تغفلوا عنه وأعلموا بأنَّ صلاحكم إنَّما في قبوله، والعمل عليه وأنَّ هلاككم لا يرده منكم أحد أنْ عرضتم عما نصحتكم وأنذرتكم به وأيقنوا يقيناً

مؤكداً إنَّ كلام سلطاننا المنْصور المحفوظ من الله تعالى غير ممكن تغييره لأنَّه مُقدر، والمُقَدر لابُد أنْ يكون، السَّلام على من سمع وأطاع"[1].

يمكن القول بأنَّ السُّلطة الفرنسية في حملتها على الجزائر، قد استفادت من تجربة حملة نابليون على مصر، فكما أنَّه كان قد خُوطب المصري يومئذٍ في بيان مُشابه مُطعم بِلغة مصرية، وبأسلوب ديني وعظي، فكذلك الأمر قياسي على الحملة بالجزائر، وكما أنه كان اُصطحب الجيش الغازي معه جيشاً من المترجمين والمستعمرين الدراسيين لواقع اللغة العربية وحالها، فكذلك الأمر بالقياس إلينا نحن الجزائريين، إذْ اصطحب الجيش الفرنسي معه مجموعة من المترجمين والمستعمرين والمستشرقين الذين كانوا على دراية وعلم باللغة العربية الجزائرية.

غير أنَّ الحملة الفرنسية على مصر جاءت بمطبعة ذات أحرف عربية، لطبع القرارات التي يصدرها نابليون إلى الشعب المصري ويطالبه بالخضوع والمنشورات* لأوامره، وأن يؤمن
الإيمان بالقضاء والقدر، يستلزم الاستسلام الكامل للفرنسيين وأن لا يبدي مقاومة أو اعتراض على ذلك.

1- Revue africaine. Alger.NUM 06 .1862. P153..156.-

* أرسل نابليون منشوراً إلى المصريين بعد احتلال الإسكندرية جاء فيه :" لبسم الله الرحمان الرحيم، لا اله إلا الله، لا والد له ولا ولد، ولا شريك له فى ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية و التسوية :" السِّر عسكر الكبير، أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته، يعرف أهالي مصر جميعهم، أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية، يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية..
قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلَّا بقصد إزالة دينكم فذلك كذبُ صريحُ فلا تصدقوه، وقولوا للمغترين إنَّني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنَّني أكثر من المماليك أعبُد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقران العظيم ..
أيُّها المشايخ والقضاة والأئمة والجريجية وأعيان البلد: قولوا لأمتكم إنَّ الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ( ) واثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النَّصارى على محاربة الإسلام ( )..ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا مُحبين مُخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعده أعدائه أدام الله ملكه ( )..الخ..الخ " ينظر، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1989، ص 200.

أ- مدرسة اللغات الشرقية والمترجمون:

أُعتّبرت مدرسة اللغات الشرقية هي الانطلاقة الفكرية للاستشراق الفرنسي، والدارسات العلمية والأدبية في الجزائر، فهي مدرسة فكرية أثرت في اللغة والأدب والتاريخ والترجمة والعلاقات الخارجية بين الشعوب، وفوق ذلك كُلّه أطلقت الاستشراق الفرنسي من عقاله، فأصبح يُدعم جهود العمليات الاستعمارية الحديثة - واستدعي هذا- حضور مخبر علمي من المستشرقين والمترجمين والمكتشفين لمعرفة واقع البلاد المستعمرة.

فلم ينتهى القرن الثامن عشر الميلادي، حتى اهتّم الفرنسيون بالآداب الشرقية،واهتّموا بتعليم اللغات السامية في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها، وأقيمت مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م، وأصبحت فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر، قِبلة طلاب العلوم الشرقية، وتسارع إليها الطلاب من كل حدب وصوب لِيتلقنوا الدروس من مستشرقين بارعين أمثال سلفستر دي ساسي وعمانويل سديليو، وكوسين دي برسفال، وجوبير، وفرسنل ودي فرجه، ورينو..ثم أنشأت مثيلتها في حدود العالم العربي والإسلامي، وزوّدت معظمُها بالمكتبات والمطابع والعلماء وأصدرت المجلات والكتب بلغتها الفرنسية ، ثم أخذوا في نشر تراثهم وعلومهم ونقلها ودرسها حينها نبغت طبقة من المستشرقين اقتصر عملهم على أحد الأقسام الثلاث:

"1-نشر الكتب العربية 2- ترجمتها إلى لغاتهم 3 - التأليف عن الآداب العربية في ألسنتهم"[1]

ولفرنسا دوريات ومعاهد علمية خاصة بالاستشراق التي تصدرمن باريس، أومن الشرق الأدنى أومن شمال إفريقيا، فأول من أسس معهد خارج فرنسا هو

[1]- جورجي، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، تقديم: إبراهيم صحراوي، زيدان موفم للنشر، ج4، 1993، ، ص 266.

نابليون بُونابرت أثناء حملته على مصر، فظهر معهد بالقاهرة سنة1798م.ويعتبر هذا المعهد مركز الدراسات الاستشراقية النابعة من أرض الشرق ؛ ومما زاد في شهرته نشرته الخاصة المعروفة باسم"نشرة معهد مصر" الصادرة لأول مرة سنة 1859م والتي اهتمت بنشر دراسات وأعمال أساتذة المعهد،وأيضا " المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة 1880م، أنشاه ماسيرو،كلية بورجاد في تونس أنشاها الأب بورجاد من الرهبان البيض،ثم تحولت إلى معهد الآداب العربية 1937م، ومعهد قرطاجة في تونس 1895م، ومعهد الدراسات العليا في تونس 1945 م، ومدرسة الآداب العالية في الجزائر 1881م أنشاها فاري، ثم تحولت إلى جامعة 1909م، وتعنى باللغة العربية العصرية وعلم الآثار الإسلامية والتاريخ ،وألحق بها معهد الدراسات الشرقية، ومعهد الدراسات المغربية في الرباط 1931م، والمعهد الفرنسي في دمشق (1922 ثم 1930م)، والمعهد الفرنسي الإيراني في طهران 1938 م"[1].

فحين يتواجد الفرنسي تتواجد معه البحوث الاستشراقية في جميع الفنون العلمية،وتعنى جميعها بالعرب المسلمين في تحقيق أديانهم وشرائعهم ومذاهبهم، والبحث في تاريخهم وأنسابهم وأصولهم ودرس لغاتهم وعلومهم، فأطلعت الغرب على تراث العرب وأصالته، وخصائصه وتنوعه، ولم ينجح الإفرنجي في ذلك إلا بعد أن أسس مدارس الاستشراق، وبعث المستشرقين والمترجمين جنبا إلى جنب مع الجواسيس، الذين جابوا كل الولايات في زي الدراويش والتجار والرحالة، يكتبون عن كل ما يرون و يترجمون كل ما تقع

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، 1999، ص144.

عليه أيديهم من مخطوطات، ووثائق يستنسخون بعضها، ويسرقون بعضها الأخر.

فقد عملت الترجمة دورها الريادي في تقريب البعيد، واستجلاء المخزون، وتوسيع دائـرة التفاهم والتخاطب بين الشعوب، فهي أداة مهمة للوعي بالأخر، والتعرف على فكـره وثقافته وإمكاناته ، وهي إحدى الوسائل الحيوية التي يمكن أن تساعد على معرفة المجتمعات المختلفـة، ودراسة التطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية والعلمية لها؛ ففهم أي شعب- صديقا كان أو عدواً- يعتمد على معرفة لغته، و فكره وأسلوبه، ولن يتأتى هـذا إلا بالترجمة التي تربـط عملية الحوار بين الأمم المختلفـة، وتساهم في تضييق فجوة التصادم والاختلاف بينهم،" فقد
كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق، وترجموا النصوص وفسروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافـات والعمليات كمـواضيع جامعية، وكان المستشرق خبيراً مثـل ساسي
و رينان، ووظيفتهُ في المجتمع أنْ يُفسر الشرق ويُترجمهُ لأبناء قومه، فإذا وقف المستشرق الباحث أمام حضـارة أو مُنجزة ثقافية نائيـة لا تكاد تُفهم قلص الإيهـام عن طريق الترجمـة "[1].

[1] - سعيد، إدوارد، الاستشراق، ص 230. ويراجع أيضاً:
L'Algérie Des Anthropologues, Philippe Lucos, Jean Claude Vatin François Maspero, 1979, P.13.

ب- المترجمون غداة الاحتلال الفرنسي:

خلال الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م،جيئ بعدد هائل من المستشرقين والمترجمين، لكي يقدموا يد العون للمستعمر ويُعبدوا الطريق له بأقل التكاليف وأسرع الطُرق، فكان المستشرقون عسكريين ميدانيين أعلنوا تأييدهم للاستعمار ،وخدموه بكل ما أتيح لهم من فرص، فكانوا جنوداً في صفوف جيش الاستعمار وإدارته ، وخدموه بأنفسهم قبل علمهم ووظائفهم ، وقد تموقعُوا في مراكز حساسة وخطيرة، خدمةً لمصالح بلادهم ؛ فكانوا مستشارين الإدارة الاستعمارية وخبراءها، وسفراء حكوماتهم ووزرائها، ومقررين مجالسها وزعمائها. وفي مجال التعليم والمعرفة كانوا أساتذة وباحثين مهتمين بمختلف اللغات وآدابها، فأشرفوا على كراسي اللغات الشرقية والغربية ، وعلى تحرير دائرة المعارف الإسلامية، وأصبحوا أعضاء المجالس العلمية العربية ورؤسائها، فوضعوا البرامج والمناهج الدراسية، وأسسوا المكتبات وجمعوا المخطوطات، واستحدثوا المجلات والدوريات ونشروها؛ فألفت من مجموعها جامعة علمية مُؤسسة من جهد أعمال المستشرقين ، التي بقت شاهدة على امتداد العصور."إننا لم نحضر للجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية، وليست الجزائر مُستعمرة كالهند الصينية، ولا هي دومنيون مثل كندا، ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل هناك جنساً يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات ..سيتم هذا بعد نشر لُغة فيكتور يغو"[1].

فقد عاش المترجمون في كنف الاستعمار وتحت حمايته، وقد سهل لهم عملية التنقل والترحال، فأينما اِتجه الاستعمار اِتجه معه المترجمون، وأصبح

[1]- عبد الله، عبد الجبار، الغزو الفكري في العالم العربي، ط3، جدة، مطابع الروضة، 1980، ص 16. وينظر أيضاً :
L’histoire de la presse indigène, Ihaddaden zahir .E.N.A.L.Alger. P12.

المترجم خادماً للمستعمر يوفر له المعلومـات الكافية والمُسهلة لعملِه من أدقها إلى أعمِها، ومن أتفهها إلى أهمها، فكان كلما دعت الحاجـة لاستثمار خبرته كان جاهزا للإدلاء بها؛ ومن جهة أخرى أُعتبر المترجم هو دليل المستعمر وهو العميل السِّري له.

لقد أغدق المستعمر أمولا طائلة للمترجمين، ووفر لهم مناصب سامية، وقيادات حساسـة في الدولة والجيش الفرنسي، وذلك خدمة لمصالحه وأهدافه الاستعمارية. "فالاستعمار هو القـوةُ التوسعية لدي شعب ما، هو قُدرتُه على إعداد إنتاج نفسه، هو اِتساعه وتضاعفه عبر الفضـاء هو إخضاع الكون أو جزء هائل منه للغة ذلك الشعب وعاداته وأفكاره وقوانينه"[1].

قلنا أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر جاء عدد كبير من المترجمين والفنانين والكتاب المعجبين

بحياة • وعلى إثر نجاح الحملة انطلق كل فريق إلى ميدان عمله الموكـل لـه، الشرق وأضرابه

فقد وظفت الإدارة الاستعمـارية الجديـدة المترجمين لأنهم هم الواسطة بينهم وبين السكان، وقد أدرك القادة الفرنسيون أن نجاحهم في الجزائر يتوقف على حسن الترجمة والحوار وحسن اختيارا المترجمين.

لهذا عمل الفرنسيون على جلب المترجمين من **مدرسة اللغات الشرقية**، سواء كانوا فرنسيين

---

[1]- ادوارد، سعيد، الاستشراق، **229**.

• اصطحبت الحملـة الفرنسية الكثير من العلماء في مختلف التخصصات للبحث عن البيئة المصرية وعن الرجل المصري وعاداته وتقاليدهم وآثارهم، كما أحضروا معهم مطبعتين؛ واحدة بالفرنسية والأخرى بالعربية، وكذلك عدد من المترجمين، وكانت المحصلة إصدار كتاب "وصف مصر "الذي شرحوا فيه كل ما يتعلق بمصر من تاريخ وجغرافيا وتضاريس، مزودا بالرسومات البيانية الدالة على ذلك.

أو من عرب المشرق- مسيحيين أو يهود- الذين اشتغلوا مع الفرنسيين أثناء حملتهم الاستعمارية وخاصة منها على مصر سنة 1798 -1801م. وكان منهم على التَّوالي:

- **جوني فرعون:** هو مصري من أب سوري، ولد سنة 1803م. هو ابن إلياس فرعون، تخرج من مدرسة اللغات الشرقية، وتولى تدريس اللغة اللاتينية في مدرسة سانت بارغ الثانوية سنة 1821م، ثم بعد ذلك في المدرسة المصرية في باريس سنة 1829م،ثم عين مستشرقاً على الضباط المصريين الذين كانوا يدرسون في المدرسة الحربية في طولون 1827م، وبعد الحملة الفرنسية أصبح مترجماً وكاتباً لقائدها دي بورمون.

وفي سنة 1830م عين مدرسا للغة العربية الجزائرية في مدرسة لويس الكبير، الثانوية المتخصصة في تعليم الضباط على وجه الخصوص والأوربيين على وجه العموم، من أجل ضمان اتصالات مباشرة بين الأهالي والفرنسيين، ثم سُمي مترجما عسكريا سنة 1831م، وأصبح مترجماً من الدرجة الأولى سنة1839م، حيث صُنف في صف المترجمين أكثر من صف المستشرقين،وقد نشر أول كتاب في النحو العربي سنة 1832م،وتوفى سنة1848م بفرنسا[1].

لويجاك L.J.Bresnier- ولد سنة1814م، بدأ حياته العملية منضد للحروف في المطبعة،ولكن كان يتابع دروسه المسائية التعليمية، إذْ اتجه **بريزنيه:** اهتمامه إلى اللغات الشرقية، فكان يتردد في باريس على دروس المستشرق سلفستر دي ساسي وغيره مثل كزامار و زوبير و قارسون دوساسي وكوسان... ولما استشير الأستاذ سلفستر دي ساسي عند إنشاء كرسي

[1]- سعد الله، أبو القاسم، ج6، ص145.

الدراسات العربيـة في الجزائر، لم يتردد في ترشيح بريزنيه في هذا المنصب، وقد عين بريزنيه ليشغل منصب لتدريس العربية الجزائرية، مع لقب المستشرق لسنة1836م، وفي سنة 1837م التحق بمنصبه وافتتح دروسه بصفة رسمية في الجزائر.

وفي سنة1838 م كتب بريزنيه مقالاً في المجلة الأسيوية، شرح فيه طريقته لتعليم اللغة العربية وهي الطريقة التي نصت على تحت عنوان:

"de lingnsenemt de la lange arabe Alger"

ثلاثة دروس في التمرين على النطق باللغة العامية.

1.دروس لمبادئ النحو والتعبير والأسلوب 2.دروس لتوضيح النصوص الأدبية والعلمية بالعربية 3. دروس لتدريب على ترجمة دراسة الوثائق القضائية وغيرها[1]

آثاره :

وهي مطبوعة في الجزائر: التعليم العربي في الجزائر 1846 م، وكتاب نظري وتطبيقي لتعليم قواعد العربية (1846-55-67)، ومنتخبـات أدبية باللغة العربيـة (1846-67) والاجرومية في قواعد العربيـة لمحمد بن داود الصنهاجي، بترجمة فرنسية ، وملحق لتقسيم الكلمات العربية (1846م)، وكتاب علوم ابتدائية في الخطوط العربـية يحوي 34 شكـل بشرح واف(1855م) ،وقواعد القراءة والكتابة والتخاطب بالعربية [2].

أرنو، ر: من مترجمي الحكومة الفرنسية في الجزائر

[1] - مخطوط ، الأستاذ حبار، بتاريخ:2006//03/08.(جامعة وهران-السانيا).

[2]- مراد، يحي، معجم أسماء المستشرقين، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2004 م، ص165.

آثاره: الكلام على الصوفية للابياري، نشره متناً وترجمة(الجزائر1889م)، والمقالة البخشيشية للشدياق، متنا وترجمة(الجزائر 1893 م)، والاكثارات في حقوق الإناث لمحمد بن معتقي بن الخوجة الجزائري(الجزائر1895-1898 م)،وله أيضا:حال المسلمين والسياسة (إفريقيا الفرنسية 1907م)، وقضية جُرجل (إفريقيا الفرنسية 1911م)، والإسلام في غربي إفريقيا (ذيل نشرة لجنة افريقية الفرنسية1912م)، وأخر مرحلة عن فتح السودان، وحول ابن سينا (1929م)[1].

- جان شارل زكار: ولد في سوريا سنة 1789 م، ويقال أنّه أسْهم في ترجمة البيان الفرنسي المذكور سابقاً إلى العربية، بالتعاون مع المستشرق سلفستر دي ساسي وبيانشي .

ويعتبر زكار أول المبشرين في الجزائر في هذا العهد، والمعروف على زكار أنّه أول من ألقى القداس الديني بعد نجاح الحملة أمام الضباط الفرنسيين برئاسة بورمون، في أول يوم أحد لهم بالجزائر، وكان الفرنسيون قد أرسلوه إلى الأمير عبد القادر، وسقطت عدة أحصنه تحته، ومن أعماله، أنه ألقي لمدة ثلاث سنوات دروس باللغة العربية، وتوفي سنة1852م .

- جورج غروي: أيضا هو من مواليد دمشق،كان يعمل أمينا لمالية باشا والي دمشق، رافق الحملة من نزولها في سيدي فرج، وكان من بين المترجمين الذين وزعوا بيان المحتل، واستهان بجميع المخاطر المحتملة واختلط بالأهالي، ودخل معهم في مفاوضات ومحاورات للتعاون مع فرنسا، وتقول بعض المصادر أنّه قُبض عليه في هذه العملية وقُدِّم إلى الدَّاي فعرض عليه صورة

[1]- المرجع السابق، ص 94.

قوية عن القوات الفرنسية، وعَظَّم من شأنها، وحثَّ الداي على الاستسلام، وهذه الجرأة هي التي جعلت الداي يأمر بقتله[1].

- **أبرهام دنينوس:**من مواليد الجزائر العاصمة سنة1789م،ولعله من نسل إغريقي أو يوناني، وقد تجنس بالجنسية الفرنسية قبل الاحتلال، وأصبح يشتغل وظيفة مترجم في محكمة التجارة في باريس، واستفاد منه الفرنسيون كثيرا وذلك لمعرفته بتضاريس الجزائر، وسمي "المترجم الدليل" للمحكمة 1830م، وهو الذي قاد السفن الحربية إلى مكان النزول بسيدي فرج، وقد كان براهام دنينوس هو المترجم للجنة الإفريقية التي جاءت في التحقيق خريف1833م.

- **فريديريك نقولا شوصبوا:** من أصل دانماركي وهو من بين المترجمين الذين التحقوا بالفرنسيين1837م، وأصبح من المترجمين لمختلف الجنرالات الفرنسية، ثم أصبح كاتباً ومترجماً للجنة العلمية ولجنة الاكتشاف العلمي للجزائر1839م، إذْ يقول عنه فيرو إنَّه عاش فقيراً ومات فقيراً لا يملك حتى القبر الذي دُفن فيه وتوفي سنة1876م.

- **مُترجمون آخرون :** ومنهم المترجم روزيتي، ولد بالقاهرة وهو اِبن قنصل توسكانيا، أصبح مملوكاً في عهد نابليون، ثم مترجماً في الجزائر مابين 1830-1863م.

وأيضا المترجم ديوسي من مواليد القاهرة، وكان من المماليك ومات سنة 1840م، وأيضا المترجم لويس دي براسفينتش الذي ولد في راقورس حوالي 1772م، وكان مترجماً للجيش الفرنسي في مصر، رافق الحملة الفرنسية على الجزائر، وفاوض الدّاي حسين وتعرض للخطر، ومات في 19 يوليو1830م، ودفن في باب الواد (الجزائر).

---

[1]- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص146.

وأيضاً المترجم جيراردان وريمبير ودوبنيوس، تعلموا اللغة العربية، وأرسلتهم حكومتهم إلى تونس لتأمين حياد حكومتي المغرب وتونس عند الهجوم على الجزائر، وتوفير التموين، والتأثير على السكان، وكذلك التأثير على الوضع في قسنطينة من تونس، وفي وهران، وفصل قضية الجزائر(حكومة الداي) عن بقية أجزاء البلاد، وكان جيراردان يعرف الجزائر جيداً، ولذلك عينه قائد الحملة مديراً للدومين (مصلحة أملاك الدولية)، حيث بقي في المنصب إلى غاية 1833م. وأما جوبينيوس فقد كانت قد أرسلته حكومته في عدة مُهمات إلى الشرق الأدنى، وكتب عدة مذكرات عن الجزائر وقدمها إلى بورمون، وبعد نجاح الحملة سماه هذا قائدا للشرطة في العاصمة. وأما الثالث ريمبير فقد تعين على إدارة المركز التجاري الفرنسي بالقالة[1]

وهكذا نرى أنَّ الحملة الفرنسية على الجزائر، قد راهنت على مترجميها الذين جلبتهم من مختلف الأصول والأعراق، أو من مختلف المدارس الفرنسية المعتمدة، المُهم عند فرنسا هو نجاح الحملة دونما أن تُراعى ردود فعل الجزائريين من هؤلاء المترجمين الذين رأوهم لأول مرة، وخاصة أنهم يتكلمون بلسانهم، وهم من بني جلدتهم، من بلدان مثل: مصر وسوريا وتونس و طنجة وفرنسا...

فنجد من تونس مثلاً المترجم أحمد بن محمد، الذي ولد سنة 1820م، وعمل فارساً في الجيش منذ1849م، ثم مترجماً منذ1853م، والتحق بمصلحة الشؤون الأهلية التي كُلف فيها بمهمات متنوعة، ومنها الاهتمام باللغة والمسائل الزواوية . وأيضا نجد بنجامين فانسان الذي كان من رجال القانون،

[1]- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 148/147.

و قد عين قاضياً في أكتوبر 1830م، ثم أصبح أول رئيس لمحكمة الاستئناف في الجزائر، وهو خريج مدرسة اللغات الشرقية أما أوسيددي صال فقد كان طبيباً، وتخرج أيضاً من مدرسة اللغات الشرقية، وتولي تدريس اللغة العربية في مرسيليا[1].

وقد دخل بعض الجزائريين ميدان الترجمة أثناء الحملة، وأصبحوا أداة للتهدئة ومُخاطبة الأهالي بإعطاء أوامر الإدارة الفرنسية وتعليماتها، فمنهم من قام بالترجمة الشفوية، ومنهم من قام بالترجمة الكتابية، وذلك على قدر فهمهم و استيعابهم لها ومعرفتهم للغة الفرنسية كانت عن طريق التجارة الخارجية مع مرسيليا، ومع بعض اليهود الفرنسيين، بالإضافة إلى بعض الجزائريين كانوا متجنسين بالجنسية الفرنسية، وبعضهم كان معجباً بالفرنسيين وثقافتهم ولغتهم، عملية الترجمة سهلة لديهم. ونحن لا نقصد في هذا المقام •ولم تكن وإنما الترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة
الترجمة السياقية للمعنى.

ونذكر منهم على سبيل المثال المفاوض أحمد بوضربة الذي عاش في فرنسا وتزوج من فرنسية وقام بأدوار كبيرة للتقريب بين الفرنسيين والجزائريين خاصة مع رأس الاحتلال .

ج- عهد الترجمة:

إن فرنسا في استعمارها للجزائر- كما قلنا سالفاً-كانت تراهن على مُستشرقيها ومترجميها، ودورهم اللامحدود في الميدان بقدر ما كانت تراهن

[1] - سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 153/152.. -

• من هنا فلكي يكون المترجم ناجحاً في عملـه، عليه أن يكون متمكنا من لغتين ومن ثقافتين، وعليه أن يكتشف المعني المستتر خلف الصيغ المستخدمة في اللغة المصدر التي سينقل منها المترجم وان يبذل قصارى جهـده في نقل المعني نفسه إلى اللغة الهدف مستخدماً صيغ وتراكيب اللغة الهدف .

على ضباطها وجنودها ؛ بل كان مستشرقوها في مقدمة جيوشها، مُستطلعين ومُعبدين الطريق لها، داقين طبول الحرب حيناً، ومناورين حينا أخر، موظفين خبراتهم وإمكاناتهم العلمية والمعرفية أيَّما توظيف. " فقد أكتسب – المستشرق- دور الخبير المُدرب والمجهز تدريبياً وتجهيزاً خاصين أبعادا إضافية، فقد كان يمكن اعتبار المستشرق العميل الخاص للقُوة الغربية"[1].

فقد قامت الترجمة في البداية، على عقد الصلات بين الفرنسيين والجزائريين لغايات آنية ظرفية، وبعد الاحتلال، أضحت الترجمة هادفة وميدانا للإنتاج الأدبي والفني ، وانصب الاهتمام بعدها إلى دراسة اللغة العربية سواء المكتوبة في النصوص أو المسموعة على الشفاه (الدارجة) وقد سُميت هذه المرحلة، مرحلة التخصص أو مرحلة الدراسات الاستشراقية في الجزائر.

لقد عمل الفرنسيون كل ما في وسعهم إلى تعلم العربية الدارجة، ثم اللغة الفصيحة والترجمة منها إلى الفرنسية، على اعتبار أن اللغة الفرنسية في نظر الفرنسيين هي لغة الإدارة، وهي لغة السيادة وهي المقصودة بالإثراء والانتشار، وما قام به الفرنسيون من ترجمة لا تتعلق إلاّ بالقرارات الرسمية الموجهة إلى الجزائريين، أو بعض القوانين المنظمة لسلوكيات الأهالي، أو بعض الفتاوى التي تَنفِي حق جِهاد الجزائريين لفرنسا، أو تلك التي عُلقت بجدار الجامع الكبير بالعاصمة، والقاضية بطرد المفتي الكبابطي من المسجد، أو بعض المراسلات بين الحكومة الفرنسية وزعماء المقاومات الشعبية، أو الدَّعاوي التي ترغب في تعلُم اللغة الفرنسية وعلُومها، أو بعض الأخبار المزيفة المضادة للإشاعات المحلية، وأنَّ هذه التقريرات الرسمية

---

[1] - سعيد ،ادوارد، الاستشراق، ص 232.

الفرنسية لا تخرج عن فلك حماية مصالح فرنسا، ونشر فلسفتها وثقافتها، ومعرفة أوجه القوة لقمعها، ومعرفـة أوجُه الضعف لتعميقها.

فقد بدأت الإدارة الفرنسية سنة 1834م، بتنظيم جهاز القضاء لأنَّه الميدان الأكثر اتصـالاً• بالحـوادث والجنايات بين الأهالي،كما أسَّسوا فرقـة من المترجمين المحلفين في فبراير1835م

وعملهم كان خارج عن جدران المحاكم،ووظيفتهم هي مساعدة الشُّهود والقُضاة وغيرهم على التفاهم مع أصحاب القضايا الذين لا يفهمون اللغة الفرنسيـة، ولا تُقدم أي وثيقة إلى المحكمة دون إمضاء صاحبها،كما أنَّه لا تُقدم أي ورقة باللغة العربية أوباللغة الفرنسية إلاَّ من بعد أن تمرInterprète على مترجم محلف معتمد traducteur assermenté

وقد توالت المحاكم الفرنسية جميع صلاحيات المحاكم الشرعية الإسلامية تدريجياً، فلا يُسمح بتقديم أي وثيقة إلى المحكمـة الإسلامية، إلاَّ إذا كانت مُترجمة من قبل مُترجم محلف معتمد.

كما أسَّسوا فرقة جديدة من التراجمة Interprétés judicair، وأصدروا الشرعيون قانون ينظم هذه الهيأة في تاريخ 25 أفريل1851م.وهُم متواجدون في سائر المحاكم الفرنسية، كما يفترض عليهم أنْ لا يشغلوا عملاً غير عملهم الموكل لهم؛ وأنْ يكونـوا دائماً موجودين في حلقات المحكمة لإستشارتهم ولتغطية الدوائر العدليـة فيها." أما المترجمون العسكريون فأول تنظيم جرى لهم كان سنة1842م (عهد بوجو)، وكـان الكاتب للجنة هو لويس بريزنيه المستشرق المعروف (ورئيس حلقة اللغة العربية)، ومن أعضائها أدريان

• بعد أن استتب الأمر للفرنسيين ، نظموا فرق للمترجمين فى مختلف الميادين وبدأ عدد منهم العمل فى الإدارة والقضـاء، وقد ساهمت الـمدارس الشرعية الثلاث فى تكوين جيش من المترجمين عملت على تأليف الكتب والنصوص وترجمتها...

بيربروجر وليون روش، وكان معظم المترشحين في المسابقات، هم تلاميذ بريزنيه، ولذلك كان بريزنيه من المسَّاهمين في تكوين فرقتي المترجمين سواء فى القضاء أو فى الجيش"[1].

ويشرح لنا الأديب أحمد توفيق فى كتابه المعروف "كتاب الجزائر" ما ذكرناه بالقول إنَّ الترجمة ثلاث مراتب " الرُتبة الأولى ترجمة دائرة الاستئناف، والرتبة الثانية تراجمة المحاكم الابتدائية والمحاكم التجارية، والرتبة الثالثة التراجمة قضويات الصُلح، وامتحان الترجمة... وهؤلاء التراجمة هم الدِّين يحق لهم أنْ يقوموا بترجمة ما يقال في المحكمة..ويُحق للمترجم العدلي أنْ يعمل عمل المترجم المحلف، وذلك إذا كان المترجم العدلي قد فاز في امتحان الترجمة العسكرية من الدرجة الأولي، وهؤلاء التراجمة يمكن أنْ يكونوا فرنسيين أو مسلمين لهم مرتبات قادرة من الدوائر العدلية بصفتهم موظفين رسمين، ويمكن لكل مترجم عدلي أنْ يُنيبَ عنه في القيام بأعباء وظيفة وتحت مسؤوليته الخاصة مترجما آخر، بشَّرط أنْ يكون النائب محرراً على
شهادة الترجمة مقبولاً من طرف المدعى العام، ويَقسم اليَّمين عند مباشرة الترجمة "[2]

وتدريجياً،لم تتوقف الإدارة الاستعمارية عند هذا الحد، بل عمدت إلى إجراء آخر، وهو تجريد القضاء الإسلامي من كل صلاحياته، وحصره في الأحوال الشخصية كالزواج والميراث...أما القضايا ذات الأهمية الكبرى أُرجئت إلى القضاء والمحاكم الفرنسية.

---

[1]- سعد الله ،أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص.156.
[2]- أحمد، توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، الجزائر، دار الكتاب، 1963، ص300.

ثالثاً: مسيرة الاستشراق الثقافية:

أ- الحالة الأدبية والفنية في ظل الاحتلال:

إن الفرنسيين لم يصطحبوا معهم العتاد الحربي والبواخـر المُدشنة بالسِّلاح فقط، ولكنهم اصطحبوا معهم المستطلعين والمستكشفين والمترجمين والمستشرقين، وأهم من ذلك كله، هو أنهم جاؤوا بنُظمهم ومناهجهم وأفكارهم، ورسخوا طبائعهم وعاداتهم.فمع المستطلعين والمكتشفين استطاعوا معرفة جغرافيا وتضاريس الجزائر؛ومع المترجمين نُقلت الخطابات والأفكـار من وإلى العربية، ومع المستشرقين جاء الاهتمام بتراث ولغة وتاريخ الجزائر. كذلك انصرفوا إلى الاهتمام بالشؤون الدينية ، فيما يخص تحديـد المواسيم الشرعيـة (الحج،
العمرة)، أو تعين رجال الدين والافتاء أو رخص التدريس ...الخ

كل هذا أصبح تحت سُلطتهم وتصرفهم، وكلفوا بعض العلمـاء والمستشرقين أمثال بريزنيه وشيربونو وبيربروجر على تنظيم حلقات اللغة العربيـة ، التي كانت موجهـة إلى الفرنسيين (المدنيين والعسكريين)، أو الاستيلاء على الكتب والمخطوطات ، التي تحتويها الكتب العامة أو الخاصة في المساجد ،أو الزوايا أو دور العلم ..حيث لقيت مكتبة الأمير عبد القادر المصير نفسه بعد سقوط مكتبته المتنقلة في"الزمالة" سنة1843م، ومكتبة ابن الفكون، ومكتبات مساجـد تلمسان ومعسكر . وكان الكثير من الفرنسيين من صحفيين وعسكريين أو هواة يتنقلـون بين المدن والقرى وفي المراكز الثقافية، يجمعون الكتب والمخطوطـات النادرة، بطريقة أو بأخـرى لدراستها أو بيعها في مراكز المخطوطات والمكتبات في فرنسا، أو غيرها من البلدان الأوربيـة الأخرى.

فقد اِحتلت اهتمامات المحتل نشر الآثار القديمة عن الجزائر عناية شديدة، ولهذا نشـركتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الأوربيون عن الجزائـر في العهد العثماني **"**فخلال العشـر سنوات الأولى من الاحتلال ظهر كتاب

عسكريون أمثال كاريت وبيليسي وهانوتو وديلامـار وغيرهم، وقد شارك هؤلاء في {اللجنة الافريقية1837}، وهكذا كتب كاريت عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الاقتصـادية بينها، وكتب بيلسي ديرونو كتابه (أخبار الجزائر)،كمـا كتب هانوتو عن لهجات ونظم الجزائريين .. وسلان الذي ترجم تاريخ ابن خلدون وجغرافية البكري وغيرهما واختص الضابط بروسلار بالخط العربي، وقام فورنيل بكتابة تاريـخ شمال في العصـور الوسطى،أما لاكروا فقد نشر دراسات عن الاستعمار والإدارة الرومانية في افريقية.. وأيضا بيربروجر الذي ملأ المجلة الإفريقية عن أخبارالجزائر.."[1]

لقد كانت لفرنسا من أول أعمالها الجديدة بالإضافة إلى الذي ذكر-آنفا- تكويـن جمعيات ودوريات تعبر عن المكتشفات التاريخية الجزائرية، فمنذ بالجزائر (بسيدي فرج)، وهي •26جوان1830م، ولدت الصحـافة وتزييـف بُوق استعماري ضخم، مُختص في تشويه الحقائق المعلومات، يحاور ويداور طبقا لخطته وعقيدته، وأصبح المحرر العسكري هو المحـرر العلـمي الحربي، الذي يقوم بترجمة وتبسيط المعلومات الحربيـة والعسكرية، والخطـط والنظريـات

الإستراتيجية، إلى لغة سهلة سليمة يفهمها القارئ العـادي والجنـدي المحـدود المعلومـات.

فأول جريدة حقيقية أسسها الفرنسيون في أرض الجزائر، هي جريدة "المرشد الجزائري" التي خُصت بإعلانات وقرارات إدارة المحتل، ثم صدرت

[1]- سعد الله ، أبو القاسم . أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص20.

* لما كانت النهضة العسـكرية تتطلب نهضة علميـــة تؤازرها وجهت العناية في ذلك الوقت إلى الصحافـة باعتبارها الوسيلة العملية لنشر الأخبار والمعارف ، ويعد الجنرال بونابرت هو أول من انشأ الصحف في مصر، وهو رجـل عسكري عريق اعتمد على الصحافة والطباعة في قيادته الاحتلال مصر، ولقد عبر احد الضباط الألمان "الفيلد مارشل هندنبرج " عن دور الصحافة ى الحروب بالقول : لا أريد منكم أية معلومات عنهم فقط أروني صحفهم ومجلاتهم . أحكم على رجالهم ومعداتهم".

بعد ذلك جريدة الأخبار 183م التي تُعنى بالآثار والأبحاث التاريخية،ثم جريدة المبشر1847م التي تهتم بأحوال وقضايا الجزائريين المحلية.

"غير أن تأسيس جمعيـة قسنطينة الآثـار1852م قد أدى إلى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية وظهرت في مدينة الجزائر1856م، لجمعية التاريخية الجزائرية التي أصدرت المجلة الإفريقية"[1] وهذه المجلة هي التي حكت مسيرة الحياة الثقافية والعلمية والأثريـة للجزائر.

وإجمالاً، لقد عدت هذه المجلات والدوريات حقلاً معرفياً خصباً، اِستنطقته أقـلام علمـاء وباحثين فرنسيين، تناولوا فيه تقريباً كل فرع من فروع المعرفة ، معتمدين على طريقة النقـد والتحليـل للمصادر والمعلومات، فجاءت أبحاثهم مجانبة للصواب، ومحاكية للواقـع، أصبحت عمدة البحث التاريخي للجزائر على امتداد مائة سنة ونيف من الزمن.

ب- الواقع الأدبي والفني للجزائر:

يمكننا تقسيم مثقفي الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي إلى ثلاثة أقسام: قِسم أول مثّه الذّين ابتعدوا عن التعامل مع الحكومة الفرنسية ومصالحها، وعزلوا

[1]- سعد الله ، أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص15.

أنفسهم لأسباب دينية أو اجتماعية أو سياسية، واتخذوا الزّوايا والكتاتيب دورا لهم، يُعَلِمون القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم.

وقِسم ثان مثّله أولئك الذين اختاروا التعامل مع إدارة العدو على أنْ يكونوا موظفين تحت إشرافه سواء أكانوا ممثلي الأهالي، أو موظفين في الإدارة، أو مدرسين أو أئمة أو نواب...ولكن هؤلاء كانت تربطهم الوظيفة فقط مع إدارة المحتل، ولم يتنصلوا من جنسياتهم وثقافتهم الإسلامية، يقاومون أفكار فرنسا وخُططِها كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، وهُم زمرة قليلة. وقِسم ثالث مثّله الذين اندمجوا مع الفرنسيين لأول وهلة، ورضوا بحكمه وانبهروا بعدته وعتاده، ورضوا بالتجنس شريطة التخلي عن ثقافتهم الإسلامية وعُروبتهم العربية والذوبان في الجنس الفرنسي وتبنى أفكاره، ودَعى إلى سياسته وإيديولوجيته. نجد من المصلحين الذين نبغوا في العهد الأول سَّيدي بالقاسم المحاجي الذي تلقى علومه بمعسكر وأتمها بتلمسان و ولاه الفرنسيون قضاء الأصنام (1250هـ) . والعلامة الأكبر سيدي حميدة العمالي مفتى العاصمة، وقد كان مدرساً بالمسجد الأعظم، وأخذ عنه عدد كبير من العلماء، وكان يتوخى فى دروسه التدقيق الغريب . ونجد أيضاً سيدي عمار ابن شريط القسنطيني المدرس المفتى (1250هـ)، وأيضاً سيدي محمد الشاذلي القسنطيني. (1280هـ).. واشتّهر بالعلم والتدريس سيدي حسن إبريهمات الجزائري وكان متبحراً في علم العربية والتّاريخ الإسلامي، تولي إدارة المدرسة الرسمية فأحسن إدارتها، وتخرج منها الكثير من الطلبة ومنهم العلامة الأكبر سيدي بن الحفاف1301هـ مفتى العاصمة وهو من تلامذة العلامة التونسي الشيخ إبراهيم الرياحي[1].

[1]- أحمد، توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص90.

فلمّا كان لهذه الأمة مكانة علية، ومنزلة رفيعة ، قيَّض الله لهـا رجالاً حفاظاً، وزهـاداً وفقهاء، حفظوا تراث الأمة من التلوث والضلال، وتولوا حمايتها من أهل البِّدع والأهـواء، وكان العلم البحر الزاخر الشيخ محمد بن يوسف أطفيش من طينة هؤلاء، ولد عام(1923-1332هـ 1820-1914م) في بني يزقن بوادي ميزاب– غردايـة- فهو فُقيه، ولُغوي، وصرفي، ومفسر، ومؤرخ، له مؤلفات كثيرة في الحديث، والتوحيد، والفقه، وعلوم الديـن، والبلاغة، والقراءات، والتاريخ، واللسانيات، والعروض والشعر.. وعُدا العلامة أطفيش قطب المذهب الإباضى بحق .

ولا نغفل هذا الباب دون أنْ نذكر جهود العلامـة الكبير، الشيخ سيدي أبا يعلي السعيد الزواوي، أذكره بتأليفه القيم "الإسلام الصحيح " الذي نسف به الخرافات والأوهام في الأفكار العامة، وأذكره بإخراجه للخطب المنبرية، فهو يخطب للعامة اِرتجالاً في مواضيع إسلامية محليـة مفيدة...وأيضا مفتى العاصمة سيدي الشيخ محمد الحفناوي بن الشيخ، الذي ألف كتَّابه العظيم الأهمية "تعريف الخلق برجال السلف" جَمع فيه تراجم من اُشتهر قديماً وحديثاً مِن رجال القُطر الجزائري فكان عمله مشكورا جليلا..[1]

قد حافظ زعماء هذه المدرسة على وحدة الفكر ووحدة الهدف، أما موضوعاتهم فكانت القضايا السياسية والاجتماعية التي طرأت على بلادهم منذ الاحتلال من جهة، وعلى العـالم الإسلامي من جهة أخرى، ونعنِى في هذا المقام المصلح الاجتماعي والمناضل السياسي، والمحُنك الدبلوماسي، والمريـد الصُوفي ؛الأمير عبد القادر بن محي الدين الذي لا يخلو بحث في تاريـخ الجزائر إلاّ ويَذكر سياسته وأعماله العسكرية والدبلوماسية والفنية..تعامل مع

[1]- أحمد، توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص94.

القادة الفرنسيين، ومع المحررين،والمترجمين، •الجزائريين، ومـع ومع المستشرقين، والعسكريين..

فلا مناص من طي ورقة تاريخ الجزائر إلا ونجتهدوا في ذِكر مآثره الأدبية والفنيـة التـي خلّفها عقب سنة1847م، أي بعد تركه المقاومة الباسّلة.

1-الأمير عبد القادر بن محي الدين: المولود بتاريخ 1222هـ 1807م في قرية القيطنـة بناحية معسكر، أخذ العلم الشرعي من والده وعلماء بلده، درس الفقه والحديث والأصـول والعلوم الإنسانية،وكانت كتاباته تُعبر عن فكره الصُوفي، وأشعاره تُحاكي بطولاته في الفروسية والجهاد، وقد ألّف رسالته المشهورة "بذكرى العاقل وتنبيه الغافل" التي خرجت إلى الوجود عام 1671م، حيثُ دلت هذه الرسالة على سِّعة اطلاعه وثقافته، وجزالة أسلوبه واعتماده علـى السَّجع والتنميق في التركيبات اللفظية.. وهذا هو السَّائد في عصره. ولا بأس أنْ نقتطف مقطـع من قصيدة أنشدها يفتخر بما حققتـه معركة خنق النِّطاح سنـة 1832م قرب وهران قال فيها[1]:

•تذكر في هذا الصدد مرافقة المستشرق الجاسوس" ليون روش" للأمير عبد القادر ، وهو ضابط في الجيش الفرنسي كُلف بترجمة الوثائق والنصوص الإداريـة ، لازم الأمير عبد القادر في حُروبه وجلساته، وأصبح كاتباً ومستشاراً له بعد أن اعتنق الإسلام، ابتدأ سنة 1827م، وأقام عنده نحو أربع سنوات، وعندما انقطع الصلح بين الأمير وإدارة المحتل سنة 1839م رفض ليون روش استئناف القتال مع الأمير، وبعد ذلك ، اعترف للأمير بأنه جاسوس اعتنق الإسلام لكي ينقل الأخبار لإدارة فرنسا وقوادها.
وفي سنة 1841م أرسلـه الجنرال بيجو في مهمـة تضعف قوة الأمير وقوة المجـاهدين وتثبط مشاريعهم، وباتفاق مع بعـض أتباع الطـرق الصوفية اخترعت فتوة تسمح لمسلمي الجزائـر الاستسلام للحكـم الفرنسي المسيحي وتحرم جهاد فرنسا مادامـت محافظة على الشعائـر الإسلامية.
فلقد نجح ليون روش أيما نجاح في افتعال الإشاعات وترويج الأكاذيب وإبطال حكم جهـاد الجزائريين لفرنسا، كمـا اغـوي بعض مشايـخ القيروان ومكة المكرمة والإسكندرية الذين كتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بحرمة الخـروج على حكومـة فرنسا ووجوب الطاعـة والاستسلام..يراجع تاريخ الجزائر المعاصر ،محمد الأمين بلغيت، ط1،الجزائر، دار البلاغ، 2001م، ص49.

[1] MEHAMED, BENAMAR. HISTOIRE DE LA LITTERATURE ALGERIENNE. ALGE. p.268-

ألم تّر في خنقِ النِّطاحِ نّطاحنا غداة اِلتقينا، كمْ شُجاع لهُم لوى؟
وكم هامة، ذاك النّهارِ قددْتُها بِحد حُسامي والقنا، طعنة شوى
وأشقرُ تحتي كلِمتُه رِماحُهُم ثمانِ ولم يشكُ الجوى بل وما التوى
فما اِرتدْ مِن وقع السِّهام عنانهُ إلى أنْ أتان الفوزُ زاغم منْ عوى

ونذكر في مقام أخر قلم من أقلام الجزائر، الذي اجتهد في هذا الحقل بمعارفه وأفكاره، وهو الأستاذ محمد بن الموهوب بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي، ولد في آب1283هـ 1866م بقسنطينة، وفى سنة1908م عُين أستاذ الفقه والعلوم الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني، وفى22 حزيران 1908م أُسندت إليه وظيفة الإفتاء، ولم يكن له الباع الطويل في الشعر فقط بل في الخطابة أيضاً، ترك لنا مؤلفات مفيدة وكان يحسن الفرنسية ويجادل المستشرقين المستعمرين"[1].

لقد أصبح هذا العصر، عصر نُبوغ العُلماء والفقهاء وعصر شيوع شيوخ الطرق الدينية، فمنهم من تخرج من الكلية الزيتونية بتونس، ومنْهم من ارتوى من مناهِل المشرق كالأزهر الشريف ومساجد الحجاز والشام، ومنهم من استقى علمه من جامعة القرويين بالمغرب، والكثير منهم لم يتلق عُلومه إلاّ من الزّوايا الصحراوية والقبائلية الموجودة في الجزائر.

[1] - MEHAMED, BENAMAR .HISTOIRE DE LA LITTERATURE ALGERIENNE. P. 280

وقد سَاهم هؤلاء المثقفون بعد عودتهم إلى الوطن بجهود عظيمة للنهوض بالحيـاة الفكريـة والدينية بما أثروا من هِمم، وأحيُّوا من حمية، وبنُو من مدارس في مختلف أنحـاء الوطـن، وبما أصـدروا من صحف ومجلات معتمدين في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فأصلحُوا العقائد، وصححُوا المفاهيم، وصوبُوا البِّدع والخرافات التي علقت بالأذهان ردحاً من الزمن، ومن هؤلاء الرُّواد الذيـن أسْهموا في إثراء هذه النهضة الفكرية الإسلاميـة بالجزائر، نذكر منهم الشيخ عبد القادر المجاوي.

2- **عبد القادر المجاوي:** المولود بتاريخ 1848-1913م، تخرج من جامعة القراويين بمدينة فاس، وتخرج على يديه أفواجاً كبيرة من المدرسين والأئمة والوُعاظ والمترجمين والقضـاة، حتى سماه بعضهم "أبو النهضة" وسماه آخرون "شيح الجماعة".

أصدر المجاوي كُتباً قيمة في موضوعات شتى، عالجت جوانباً إجتماعية وإصلاحية، نذكـر منها: كتاب (الدرر النحوية) و(الفريدة السنية في الأعمال الحبيبية) و(اللمع في إنكار البدع) و(نصيحة المريدين)[1]..ومن رافق الشيخ المجاوي في التدريسالعلامة الشيخ عبد الحليم بن سماية. 3- **عبد الحليم بن سماية:** المولود بتاريخ (1866-1833م) الذي فاق أقرانه، تخـرج على يديه جيل من المثقفين المزدوجي الثقافة،فهو من أوائل المصلحين الجزائريين الداعين لفكرة الإمام محمد عبده الإصلاحية، وهو في الوقت نفسه من الداعين إلى الأخذ بأسباب الحضـارة الحديثة من دولة فرنسا..

ج- جهود بعض الجزائريين والفرنسيين في مجال الترجمة:

[1]- **سعد الله، أبو القاسم، أفكار جامحة، ص83.**

لم تكُنْ في نية الاستعمار الفرنسي نهب ثروات الجزائريين أو مُعاقبة أهلـه فحسب، بل كان يرمي إلى اِقتلاع تاريخه، وطمس هويته، ومحاربة دينه، واستبدال لغتهم باللغة الفرنسية وثقافتهم بثقافته، واِستخدم في ذلك كل وسائله المادية والمعنوية منذ نـزول أول قدم له، فاستولي على معاهد التعليم الجزائرية وحولها إلى ثكنات عسكـرية أو مـراكز تبشيرية لِنشـر المسيحية بين المسلمين، ثم استولوا على الأوقاف والمساجد وقاموا بفرنسة جميع مراحل التعليم حتى يُبعِدوا اللغة العربية عن مصاف العلم، وفرنسوا الإدارة ومصالحها حتى تصير الجزائر بِطابع فرنسي.

لقد حرَّم الفرنسيون على الجزائريين معرفة تاريخهم ودراسـة أثارهم ومآثرهم وخاصـة ما يتعلق بالفتح الإسلامي المجيد، وفى الوقت نفسه هُو يُدّرس التَّاريخ الفرنسي لأبنائِه وعبر جميـع أطوار التعليم. وبهذه التَّصرفات أرادت فرنسا أنْ تقطع الصلـة بين الجزائريين وبين تاريخهـم ولغتهم، ولكن قيَّض الله لهذه البلاد رجـالاً مخلصين وعلماء زاهدين حفظوا تراث الأمة مـن التلوث والظلال، وحموهُ من أهل البِّدع والأهواء، فكان منهم:

1- الأديب بلقاسم بن سديرة الذي اِحتل مكانَّة مرموقة في حقل الدراسات اللغوية والأدبية، ولكن التوجيه الفرنسي الإداري جعله في خدمة المستشرقين الفرنسيين على حساب اللغة العربية واللهجات العربية والبربرية.

حفظ اِبن سديرة القرآن

الكريم كله في أحد مساجـد بسكرة، وانتقد طريقـة التّعليـم في المساجد والزَّوايا وحبذ طريقة التّعلم في المدرسة الفرنسية، حيث نوّه بمعلمه الأول في بسكـرة وهو كولومبو.

وقد أنشأ الفرنسيون سنة 1857م معهد مزدوج (اللغة العربية- اللغة الفرنسية) سُمـيّ المعهـد السلطاني نسبة إلى نابليون الثالث الكائن بالعاصمـة كتجـربة يستّرضون بها الأهالي الذيـن كانـوا يقاطعـون المدارس الفرنسية خوفاً على أبناءهم من فقدان هويتهم الدينيـة والحضارية، ويحققون من ورائه تخريج فئة من المتعلمين تنفعهم في مجالات التعليم والقضـاء والترجمة، ومن أساتذته لويس بريزنيه وأوكتاف هوداس اللذان نوه ابن سديرة بفضلهما عليه في تعلم اللغة العربية، وقال إنَّه بفضلهما تعلم الطريقة التحليلية في دراسة اللغة العربية[1] وفى سنة 1863م أختير اِبن سديرة مواصلة تعلمه في مدرسة ترشيـح المتعلمين (النورمال) بفرنسا، وقَضى فيها سنتين بنفقة كاملة من وزير الحربيـة، وفي نهاية السنة الأولى أظهـر ابن سديرة تفوقه في الدراسة، فأرسل مدير المدرسة رسالة إلى الحاكم العام بالجزائر أشّاد فيه بنُبوغ ابن سديرة، ومن جهة أخري عين اِبن سديرة مُعاوناً لمحكمة الاستئناف بالعاصمـة على إثـر تخلص السُّلطة الفرنسية من المحاكم الشرعية، وإضعاف دور قضاة المسلمين،كما عين عضواً في الجمعية الأسيوية في باريس وهي الجمعية التي كانت تُصـدر(المجلة الأسيوية)الراعية للفكـر الاستشراقى .

لقد دخل اِبن سديرة سِلك التعليم وأنتج كُتباً علمية وقواميس معتبرة، وكرّس حياته لخدمة اللغة الفرنسية وتطويع اللهجة العربية الدارجة و الزواوية؛ ولم تكن ثقافته نابعـة من تأصيـل عربي إسلامي(تراثي)، ولم يكن له شُيوخ يفتخر

[1]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 52.

بهم سوى حِفظه للقرآن في سِّن مبكرة أهلته أنْ يكتبَ و يحاضر باللغة العربية، وساهم اِبن سديرة أيضاً في تعلم العربية الدارجة والبربريـة ونجده قد عُين سنة 1880م أستاذا مُحاضراً في الآداب العليا، سِّيما (لهجة زواوة) للفرنسيين• زميله الهاشمي بن الونيس تّعين أُستاذا مُحاضراً في اللهجة البربريـة في نفس المدرسة، في الوقت الذي كان فيه رينيه باصيه يتولى تدريس مادة الأدب العربي، وكان كمبيل يتولي تدريس مادة النُّظم والعادات القبائلية..[1]

أثاره:

1-الدروس التطبيقية في اللغة العربية 2-موجز النَّحو العربي للغة العامية 3-نصوص للترجمة من كتاب المستظرف وألف ليلة وليلة وأمثال بيديا ومروح للـذهب 4-دروس في الأدب العربي. 5-قاموس فرنسي عربي باللغة العامية 6-قاموس عربي فرنسي باللغة العامية 7-لهجة زواوة 8- دروس في اللغة القبائلية 9- اللغة العربية الفصحى 10-كتاب الرسائل العربية الخطيـة 11-دروس متدرجة في الرسائـل العربية الخطية 12- المبتدئ في تخـرج الخـط العـربي.

توفى ابن سديرة 30نوفمبر1901م بالعـاصمة، وترك لنا مؤلفات لفتت انتباه العسكريين والمستشرقين والجزائريين، فقد وظّفه المستشرقون سيَّما ماسكري وباصه لخدمة اللغة الفرنسيـة

وثقافتها ولم تستفد منه بلاده إلاَّ قليلا.

عند وفاته حضر جنازته طائف من المسلمين والأوربيين، وكان تلميذه وزميله- رينيه باصة عميد المدرسة العليا للآداب – هو الذي أبناه بعبارات جاء فيها إنَّ ابن سديرة هو من عائلـة فقيرة، ولكن ارتفع شأنُه في ميدان التَّعليم

• كان ابن سديرة يوجه تأليفه لخدمة التراجمة العسكريين ، ويستفيد منه غير الجزائريين.

[1]- سعد الله ،أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (فصل :اللغة والنثر الأدبي)، ص 55/54.

بفضل حزمه وجده وحُسن سُلوكه، وإنَّه اِكتسب محبة ورؤسائه الفرنسيين، وإنَّه خدم اللغتين العربية والقبائلية.

2- الأديب عمر بن سعيد بُوليفة :

عُد بُوليفة من المواهب النادرة التي ظهرت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، فهو كاتب وأديب وباحث نجيب ، شاعت أرآه وأبحاثه خاصة في مجال الدراسات البربرية ؛ ومما يلاحظ أنّ سعيد بوليفة كان خادماً للمستشرقين الفرنسيين وكان أداة من أدوات الاستعمار الفرنسي اشترك معهم في حقل من حقول الدراسات البربرية.

لقد قلّت الدِّراسات النَّحوية واللغوية العربية بعد تقيِّد تيار التعليم العام، ومُصيبة اللغة العربية في هذا الظرف تظهر أكثر ما تظهر في توقف الإنتاج الأدبي والدارسات النحوية والصَّرفية لدى ناطقيها ومستعمليها.

أمّا المستشرقون الفرنسيون فقد أبدوا اهتماماً بالغاً باللهجات العربية البربرية؛ إذْ إنَّهم وضعوا قواميس عربية (دارجة– فرنسية) و(بربرية – فرنسية) واشتركوا مع بعض الجزائريين أمثال ابن سديرة وسعيد بوليفة ومحمد ابن شنب.. في ترجمة وتحقيق ونشر مؤلفات علمية موجهة للعسكريين الفرنسيين وللأغلبية الفرنسية ، وهكذا نجد أنّ الدِّارسات البربرية قد تسّيست من قبل إدارة المحتل ومن قبل المستشرقين العسكريين. كما تسيست الدَّارسات العربية، حيث صارت في خدمة ثقافة الاستعمار مُدعمة وُجوده ببقاء لُغته وسِياسته.

لقد كان سعيد بوليفة شديد القرب من الفرنسيين، حيث تكّون في المدرسة الفرنسية وتخرج منها معلما أهلياً مساعداً، وهو الممثل والناطق بما يخص القبائل في مدرسة الآداب بالعاصمة ويذكر رينيه باصيه أنَّ حكومة فرنسا

أرسلت عمر بوليفة إلى مراكش (المغرب) لدراسة واقع اللهجات البربرية، وجمع مادتها حث تحصل على وثائق ومخطوطات بربرية قام بوصفها ونشرها وكانت موضوعاتها دينية محضة، أمَّا اللغة المكتوبة بها فهي شبيهة بتلك اللغة التي كتبت بها
مخطوطات أخري الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس والجزائر، والمكتبة الملكية في برلين، إنها صيغة بربرية لبردة البصيري، وديوان أشعار حول النّبي وأصحابه عليهم السلام. كما أنَّه جاء بنسخة من مخطوط "الحوض" الذي سبق أن نشر وترجم من قبل السيد لوسياني (الجزائر 1895). وفي الوقت نفسه قام بوليفة بجمع نصوص عن أهالي "دمنة" في الأطلس وهي لهجة هذه المنطقة، وجمع نُصوص تتصل بالحياة الاجتماعية لقبائل الشلحة، وكانت الموضوعات حول: الميلاد، الزواج، الختان، الطلاق، المعركة، المرض، الجنائز، والأعياد الدينية، وطريقة نسج الصوف، وعصير الزيتون وأخيراً تقاليد حول الحيوانات وبعض الحكايات قد تضمنت الفصول الأولى "نُصوص بربرية في الأطلس المراكشي المغربي"[1].

ولي بوليفة دراسات حول " الزكارا " أهل البربر جار "بني ازناسن "(السُّكان الزناتيون غير المسلمين في المغرب الأقصى)، وحسب باصه إنَّ السّيد موليراس أعطى بعض الجمل في لهجة هذه الجماعة، وأنَّه تحصل على معلومات أكثر تفصيلاً في الجزء الذي ألفه السَّيد ديستان حول بني سنوس، وقد أشَّاد باصه بدراسة ديستان (مدير مدرسة تلمسان) الذي بدأ بنشر عدد محدد من النُّصوص البربرية المغربية، مع ترجمة فرنسية وملاحظات حول الحياة والأعراف الاجتماعية مثل " النايرعند بني سنوس" وتركز عمله أيضاً

[1]- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ص60/59.

على دراسة اللهجات الأربع المنطوقة في المغرب (زكاوة، بوزقو، بوسعيد، يزنسن).

إنَّ أعمال بوليفة الأدبية واللغوية تشهد على غزارة إنتاجه، وتنوُع اهتمامه، فقد جمع لهجات القبائل ودرسها وترجمها ونشرها إلى الفرنسية ومنها "لهجة بني سنوس"، و ألحَّ على أهمية العمل فيها- من الجانب الصوتي والمورفولوجي- وليس الجانب الأدبي، وله عمل آخر سماه "ديوان أعراف التوفيق المدني" أو " القانون العدني" الدِّي ترجمه إلى الفرنسية ونشره.

فقد قام بعملٍ يُضاهي- حسب باصه - عمل هانوتو وماسكري وابن سديرة في الدِّارسات القبائلية، وفي هذا الصَّدد نشَّر الجنرال هانوتو كتاباً بعنوان "دراسة في النَّحو القبائلي"وقاموس- فرنسي- قبائلي للسَّيد ب.هيق، وقاموس فرنسي- شاوي.

لقد اِستفاد رينيه باصيه كثيراً من جهود تلميذه- بوليفة- الضخمة التي بذلها، والمنشورات العديدة التي نشَّرها، واستمرت هذه الجهود في تنفيذ مخططات فرنسا بعد احتلال المغرب، حيث قام باصه بفهرسة مجموعة من المخطوطات في الجزائر، والمغرب الأقصى ودرس أسماء النباتات في اللهجة الشاوية واشتغل أيضاً بدِّراسة مكان ونبات وخضروات ومأكولات الأهالي ومن هذا لمعرفة أصول هذه الأسماء والتي تنتسب كما يقول- باصه- إلى الفترة * الرومانية

*عندما اِحتلت فرنسا المغرب ظهرت المسالة البربرية أكثر وضوحا في الجزائر، حيث أعطي الدارسون دفعا جديدا للدراسات البربرية واضحي الاهتمام منصبا على : البربر والعرب ، نسب البربر، إسلام البربر، مميزات وخصائص البربر، الاختلاف اللغوي ..الخ وضمن هذه الأطروحات فقد اعتبرا الفرنسيون البربر هم قدماء المسيحية وقدماء الكولون للرومان ، وهم الذين أبقوا على ممارساتهم وطقوسهم الرومانية ؛ إنهم السكان القاطنين فى ليبيا وتونس والجزائر الى المغرب، وان لهم بشرة بيضاء فاتحة وعيونا زرقاء وشعورا صفراء بالإضافة الى لغتهم الخفيفة ذات الأصول الهندوأوروبية.
واعتبر بعض الفرنسيين أن البربر هم المتفتحون على الحضارة الأوربية، وهم الحلفاء الطبيعيون للفرنسيين، و العرب هم أهل عداوة ونفور لحضارة فرنسا، وأن البربر اعتنقوا الإسلام على إكراه، والدليل وجود بعض الكنائس فى دائرة القبائل .
و الملاحظ أن هناك علماء من أهل القبائل ومن العرب ،قد تصدوا لمثل هذه المخططات الميكيافلية وأفشلوها، ولم تجد فرنسا إلا أن غيرت

المنظور تعقد العلاقات بين أصول البربر مع الجنس الروماني[1].

3- الدكتور محمد بن أبي شنب: الـذي أبى إلا أنْ يتصدى لأعـداء الجزائر في حاضرهـا ومستقبلها، هو محمد اِبن العربي بن محمد بن أبي شنب، ولد يوم الثلاثاء20 رجب 1286 هـ 26الموافق لـ26 أكتوبر1869م بمكان (تاكبو) المدية .

نشأ في أسرة تعـود جذورها إلى مدينة "بروسة" التركية، فأخذ القرآن على شيخه أحمـد بارماق، ثم اِلتحق بالمدارس الابتدائية التي أنشأتها فرنسا وفق خطتها في نشر ثقافتها، ثم تعلـم الفرنسية وقرأ آدابها وتاريخها..وبعد نِّهاية تعليمـه الثانوي سافـر إلى العاصمة سنة1886م مدرسة المتعلمين، فتخرج وانسلك في سلك طلبةEcole Normaleأستاذاً مجـازاً في
في اللغة الفرنسية وآدابها في المدرسة الابتدائية [2]، ودرس علم البلاغة والمنطـق والتوحـيد على أستاذ الجماعة الشيخ عبد الحليم بن سماية.

وفي يوم 08 ماي 1898م عينته الأكاديمية أستاذا بالمدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة خلفاً عن شيخها العلامة الأستاذ عبد القادر المجاوي، ولم تنقطع أعماله العلمية حتى كلّل جهوده بنيل درجة الدكتوراه من القسـم الأدبي بكلية الآداب في الجزائـر بعد أنْ قدم رسالتين قدمهمـا بالفرنسيـة؛ الأولى عن حياة الشاعر العباسي أبي دلامة والثانية بعنـوان الألقاب الفارسيـة والتركية الباقية في لغة العامة بالجزائر.

نشاطه:

اقتصر نشاط محمد بن أبي شنب على الدِّارسـات الأدبيـة

نهجها وإستراتيجيتها ،فلا مشروع وارنيه ولا مشروع العقيد كاريت ولا مشروع ماسكري ،ولا مشروع لويس رين ..قد نجحوا فى أهدافهم بل، بالعكس زادت عزيمة تمسك الجزائريين بعضهم بعضا ،و عملوا على محاربة خطط إدارة فرنسا وحكومتها.

[1]. -MOHAMMADE BEN CHENEB .Revue africaine. Alger.1908. NUM52.P.257.258

[2]- عبد الرحمان، بن محمد الجيلالي، محمد بن أبى شنب: ط1،الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص14/ 15.

واللغويـة والتّاريخية وتحقيـق المخطوطات، حيث كان عالماً بالعربية متبـحراً في علومها وآدابها، يحفظ كثيرا من نصوصـهـا ومفرداتها، حتى وصف بأنّه "معجم يمشى على الأرض" لكثرة محفوظة من مفردات اللغة المدونة في المعاجم العربية، وأيضاً لابن شنب معرفة كاملة باللغات اللاتينـية و الانجليزية و الاسبانيـة والألمانية والفارسية والتركية، بالإضافة إلى الفرنسية التي كان يتقنها و يخطب ويكتب بها بعض بحوثه .

وأشهر مراسليه العلامـة أحمد تيمور بمصر،وأعضاء المجمـع العلمي العربي بدمشق ،ومنـهـم

الرئيس محمد كرد على، وعلامة تونس حسن حسني عبد الوهـاب، ومن المستشرقون كويدرة وميقويل اسين بلاسيوس وافيونوقريفي وكراتشوفسكي.

أثاره:

ألّف أكثر من خمسين كتاباً في سائر العلوم عند العرب والإفرنج،وترجم بالفرنسية رسالة للإمام lettre d'alghazzali sur l'éducation des enfants الغـزالي في رياضـة الأولاد وتربيتهم[1]... ونُشّرت في المجلة الإفريقية سنة 1901م. وترجم أيضا خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وما يليق ذلك، وحقق ونشر مقدمة ابن الآبار بمشاركة العـالم المستشرق "بيل" طبعت بالجزائـر 1918م، وأفاض البّحث في دراسة نقدية شاملة لتراجم الرجال المذكورين في إجازة الشيـخ عبد القادر الفاسي، وجاء كتابه في مجلـد

قدمه لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر1905م،ونشره في باريس باللغة الفرنسيـة سنة 1907م بعنوان:

[1] CHRONIQUE.MOHAMMADE BEN CHENEB .Revue africaine .Alger.1901.NUM45.P.101-

Etude sur les Personnage mentionnés, dans de cheikh Abdelkader fassi

أضحى ابن أبي شنب مشهورا في عالم الاستشراق فكان على صلة بالمستشـرقين الفرنسيين الذين احتضنوه وقام بنشر مجلاتهم ويحضر مؤتمرهم ويترجـم لهم الوثائق العـربية ويكتب على طريقتهم، فمن أكبر مؤيديه أستاذه رينيه باصيه وصديقه هنري باصه، وكلاهما أصبحا عضوان في المجمع العلمي العربي بدمشق وكذلك ألفريد بيل وليفي برفنسال.

وكان أول دخول لابن شنب في حقل الاستشراق هو مساهمته في مؤتمرهم الدولي الرابع عشر الذي انعقد بمدينة الجزائر سنة1905م، وكان أخر مؤتمر حضره هو المؤتمر السابع عشر الذي انعقد بمدينة أكسفورد سنة1928م؛ ولاحظه محمد علي كرد في هذا المؤتمر وكتب عنه فقال: "شهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين وهو في لباسه الوطني: عمامة صفـراء ضخمة وزنار عريض وسراويل مسترسلة، ومعطف من صنـع بلاده، فأخذت بسحر بيانـه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالماً من أكبر علمـاء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافـة إسلامية، أو عالماً من علماء السَّلف جمع الله له بلاغـة القلم وبلاغة اللسان، ووفر له قسطاً من العلـم والبصيرة، وقد فطر على ذكاء وفضـل غرام بالتحصيل وقيض له أنْ يجمع بين ثقافتين ينبـغ ويفصح في كل لغة بمعانيها"[1].

نشَّر ابن شنب مقالات La plantation a frais en droit malékite وبعض مفاهيم التربية الإسلامية[2] Des notion de pédagogie musulmane والنَّص العربي والترجمة بالفرنسية لرحلة الشيخ ابن مسايب من تلمسان إلى

---

[1]- مأمون،الجنان،مجلة التراث العربي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق العدد 104،2006.ويراجع الموقع التالي:www.awu-dam.org

[2]- CHRONIQUE.MOHAMMADE BEN CHENEB .Revue africaine. Alger. 1897. NUM41.P 267/268

مكـة المكـرمة[1] وفي سنة1906م نشر جورنال أسياتيك دراسات عن مخطوطات"طبقات افريقية" ونشر بعض النُّصوص العربية والأدبية والتاريخية التي أصدرتها كلية الآداب بالجزائر تحمل عنوان بيبلوتيكا. ونشَّر أربعة معاجم لسيرة العلماء والأولياء و"مشاركة في تاريخ صقلية" و"تاريخ ملوك المرنيين" ونشر كتاب حول الرقم 3 عند العرب[2] وألف كتابا شرح فيه الألفاظ التركية والفارسية الباقية Mots turques et persans في الدارجة الجزائرية. conservés dans

Le parle Algérien

وترجَم قصيدة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) تنسب لأم هانئ ؟ وفي المدِّيح النبوي[3] وألف كتاباً في غزو المسيحيين لاسبانيا[4].

كان محمد بن شنب صورة الأديب والعالم الروحي المسلم، الذي شارك الباحثين الفرنسيين في الإنتاج الأدبي والمعرفي دون أنْ يفقد شيئاً من صفاته وعاداته، فقد استفادت منه فرنسا أكثر مما استفادت منه بلاده فلم ينقطع عن التعليم والتأليف والتحقيق وإلقاء الندوات والمحاضـرات والمشاركة في المسابقـات والمؤتمرات حتى لقي ربَّه في شعبان 1341هـ الموافق ل1929م، ودُفن في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر.

رابعاً: أعمال المستشرقين الفرنسيين في الجزائر:

1) سلفستر دي UANTOINE ISAAC SILVESTRE DE SACY ساسي:

[1] - R.A .Alger. NUM44.1900.P.261

[2] - R.A Alger. NUM75.1926.P.74

[3] -Revue africaine .Alger. NUM54.1910.P.192

[4] - عبد الرحمان، بن محمد الجيلالي، محمد بن أبى شنب، ص134/ 135.

عُدَّ دي ساسي شيخ المستشرقين الفرنسيين، حيث قضـي حياتـه في خدمة الاستشـراق بالتعليم والتصنيف والترجمة والتحقيق والنشر، وأخذ عنه طلاب أوربا قاطبة في الاستشـراق. ولد دي ساسي في سبتمبر1758م بباريس، وأخذ في تعلم الألمانية والانجليزية والاسبانية والإيطالية.. ويذكر لنا- نجيب العقيقي- أنَّ دي ساسي تعرف على يهودي مقيـم في باريس فزاده معرفة باللغة العبرية والعربية، فأكب إليها إكباباً، ولم تكن في نيته معرفة العربية ولكـن حاجته إلى دراسة الكتاب المقدس وتاريخ الأديان، جعله يقتحم هذا الحقل اللغوي التي اعتبرها (العربية) لغة مساعدة للغة العبرية حيث قال: " فلما دُعيت إلى تدريس اللغة العربية في المدرسة الجديدة (يقصد:مدرسة اللغات الشرقية الحية) كان عليّ أنْ أكرس كل نفسي-بدافع الواجب- لِعلمٍ كُنت لذلك الوقت أشْدوه عن تذوق"[1]، وكان كلما التقي نابليون يسأله دائمـاً نفس السؤال وهو:" كيف حال العرب".

وقد منحه نابليون لقب البارون في مارس 1814م ،وفي سنة1822م ألّف بمساعدة راميزا وتلاميذه ومريديه الجمعية الأسيوية، وأنشأ مجلتها الشهيرة المجلة الأسيوية فأنتخب رئيساً لها وقام على رئاستها ست عشرة سنة، وعين مديراً لمدرسة ديوان فرنسا سنة1823م، ومديراً لمدرسة اللغات الشرقية 1833م[2]

إنَّ دي ساسي أحد أعمدة وأشهر المستشرقين الفرنسيين الذين أعادوا بنَّاء وصياغة النَّـص الاستشراقي لا في فرنسا فحسب، بل في أوربا قاطبة، لذا كان بمثابة كلية معتمدة روادها طلبة أوربا كلها.

---

[1] -عبد الرحمان، بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3 ، عمان، المؤسسة العربية والدارسات والنشر، 2003، ص335. ويراجع أيضا "مدخل إلى تاريخ تراث التراث العربي" محمود محمد الطناحي، فصل المستشرقون الفرنسيون ،ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1984م ص235.

[2] - نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج1، ط1، القاهرة، دار المعارف، ص163

ومن إنتاجه العلمي:

ثلاث مذكرات عن مصر منذ الفتح الإسلامي إلى الحملة الفرنسية، وله تلخيص كتاب الخطط للمقريزي، وله التُّحفة السنية في علم اللغة العربية، وله ترجمة تاريخ الساسانين عن الفارسية لميرخوند، وله كتاب الأنيس المستفيد للطالب المستفيد، وله كلامية العرب للطغرائي وأشعار المعري، وقصيدة ومقامات بديع الزمان الهمداني، وجزء من كتاب سلطان المغرب إلى ملك فرنسا، وله أصل الأدب الجاهلي عند العرب، وله الإفادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي متنا وترجمة، ونشر بمعاونة ديلابورت مباحث جغرافية عربية من إفريقيا، وله كليلة ودمنة ومقامات الحريري شرح ومقدمة عربية مع ترجمة الحريري عن اِبن خلكان، وله ألفية ابن مالك بشرح وتعليق، وله بيان الديانة الدرزية.

وأشرف مع كاترمير على طبع التوراة بالعربية، ونشر بمعاونة دي لاجرانج نشيد (تهاني) لميخائيل الصباغ متناً وترجمة، ومنتخبات من شعر ابن الفارض.

وله في المخطوطات: البرق اليماني في الفتح العثماني للشيخ المكي، ومطلع النيرين لفيروز، والكواكب السائرة للشيخ أبي السرور، وكتاب الجمان للمقري الفاسي، وبلوغ المرام للزبيدي وكتاب العلام للشيخ الحنفي، وكتاب المقنع لأبي عمرو الداني، وله في المجلة الأسيوية : حول النقود الإسلامية مخطوط حول كتب الدروز المقدسة في مكتبات أوربا، ومخطوطات البردي القديمة بحروف عربية، ودراسة الشعر العربي...[1]

---

[1]-- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج1، ص165/164.

لقد بقي دي ساسي نصف قرن في خدمة الاستشراق، وقام بترجمة نشرات الجيش وبيانات الجنرالات العسكريين، ولم يزر دي ساسي الجزائر، ولكن البَيان الموزع من قبل جنود الاحتلال بالعربية عشية الحملة، كان من إنشائه أو تحت إشرافه وتوقيعه، وظل مكانه شاغرا إلى أنْ ملأه أرنست رينان الذي أتمم ما بدأه دي ساسي، وطور نَّص الاستشراق إلى مستوى أرقي، وقد تخرج على يديه أو حضر دروسه مستشرقون كثيرون منهم: فليشر، فليقل، ريناند، كاترمير، بريزنيه، دي سلان، كورسغاتن سديليو فريتاج، دوتاسي، كازيمرسكي.

2)- البارون دوبواسوني Le général baron boissonnet

اِستاف لوبون ولد في باريس بتاريخ 19جوان 1811م، وتوفى سنة 22فيفري 1902م عن عمر يناهز 91سنة، إنَّه أخر من تبقى على قيد الحياة من الأعضاء المسؤولين في الجمعية -الجمعية التاريخية في الجزائر- الذي كان رئيساً شرفيا لها لمدة أعوام. كان يأتي كل شتاء ليباشر أعماله المهنية ليضيئها بنور معارفه الجمة وبذكائه الوقاد؛ وقد حافظ على نشاطه وحبه لعمله من بداية توليه في الجمعية التاريخية، وكان دائماً في خدمة المعرفة وتحقيق المنفعة.

كانت بدايته عام1845م، حيث شغل منصب ضابطاً في المدفعية، ثم مديراً للشؤون الأهلية (المكتب العربي) في قسنطينة، وقد وصفه لويس رين بأنَّه الأول في فرنسا الذي أظهر ملامح وخصائص البربر، وقد نشَّر في المجلة الأثرية بقسنطينة حروف الهجاء التي كان التوارق ينطقونها.

وفي1884م نشر بواسوني النَّص العربي لأشعار الأمير عبد القادر وكذلك تنظيماته العسكرية، ثم نشَّر النَّص العربي لتحفة العروس، وهكذا استطاع

الجنرال الشهير أنْ يُوظف كل مهاراتـه وخبراته العلمية والمهنية أينما حلّ وارتحل، وبقي ما فعله تّذكاراً طيباً وعميقاً لا يُنسي من جيل المستشرقين العسكريين، ثم أصبـح النائب الأول لرئيس المجلس العام في الجزائـر عام1858م والأعضاء لا يتم انتخابهم ولكن تختارهم الحكومة من بين النخب المختلفة الموجودة في العـالم، وفي آخرحياته – مرحلة التقاعد- ترخص بالإقامة في فيلا رائعـة بـ (لاطوس الأبيار)، حيث بقي فيها أعواما كثيرة، ونصبه جيرانه رئيس المجمع البلدي لعلو همته وعظم قدرته.

ولما حنت وفاته حضر كل زملائه لتوديعه، وبكل حزن وأسى تلقوا خبر وفاته،حيث شيَّعوا جنازته في كنيسة الأبيار بكل تقدير واحترام.

فلقد فقدت الجمعية التاريخية الجـزائرية أحد رؤسائـها - بواسونـي- وهو كان أحد أعمدتها، وأقل ما فـعلته (الجمعية) هو ترجمـة سيرتـه الذاتية في المجلـة الإفريقية وقامت بعمليـن:

1 - صفات ومآثر الرجل الحميدة (الوقع الطيب الذي تركه في إدارة الشؤون الأهلية لإقليـم قسنطينة 1844-1845م).

2 - جهوده وأعماله الاستشراقية العسكرية.

أكد لويس رين، أنَّ بواسوني كان ذا عقل راجح، وكانت له معرفـة تامة باللغة العربيـة وبالصوت العربي، فقد كلفه الحاكم دوق دومال في ديسمبر1847م بمرافقة الأمير عبد القادر إلى فرنسا وإلى المشرق، وفي هذا الظرف استسلم الأمير لقرارات الجنرال لامورسير (الذي كان ابنا للملك)، ووعّده بالحرية في أرض الإسلام خـارج الجزائـر (افريقية الشمالية)، وبعد ثورة فبراير1848م في فرنسا تّقلد لامورسير منصب وزير الحكومة، ولم يف بوعـوده حيث بقي الأمير سجين في قصر"بو" ثم في قصر "أمبواز".

ويؤكد المترجم- لويس رين- أنَّ الجنرال بواسوني كان قريب من شخص الأمير عبد القادر، وصبر معه في آلامه (في السجن وفي غربته بفرنسا) وفي آماله (في منفاه دار الإسلام– المشرق-) ونجح أيضاً في جعل الأمير يهتم بتاريخ فرنسا، وكانا يتناقشان بكل عمق وبكل صراحة عن حال الأوطان والرجال والأحداث، وفى الفترة النابولونية عقد نابليون الصلة بين الأمير عبد القادر وفرنسا، وأحسن إليه وأطلق سراحه بموجب قرار16 أكتوبر1852م، وقدَّم له دخل مالي مدي الحياة مقدر بـ 100,000 فرنك فرنسي مستحقة الدفع، وسمَح له بالذهاب إلى بلاد الشرق، وفي سنة 1860م أصلح الأمير بين خصام المسيحيين الذين رأوا فيه الصلاح والنبل والقدوة الحسنة[1]
فكلما ذُكر الأمير عبد القادر ذُكر معه مغامرات وذكريات بواسوني، حيث أكسب بهذا العمل شهرة عالمية أهلته أنْ يتّصف بالمستشرق والمترجم العسكري المحترف.

3)- المقدم العقيد لويس رين:Louis Rinn

في تاريخ 06 مارس 1905م توفى بالجزائر المستشرق لويس رين الذي خدم في الجيش الفرنسي، وكان من الرؤساء الأقدمين في المصلحة المركزية للشؤون الأهلية،ثم عضو مرشداً في الحكومة الفرنسية، ثم تولي رئاسة الجمعية التاريخية الجزائرية التي بقى بها سبع سنوات لمعرفة أحوال السكان وخدمة الإدارة الاستعمارية، وفى آخر أيامه أصبح رئيسا شرفياً لها .

---

[1] LOUIS RINN. Nécrologie.Général BARON BOISSONNET. R. A. Alger.1902.NUM46 p.133..136.

ولد لويس رين في باريس بتاريخ 28 مارس 1838م من عائلة مشهورة بالمعرفة وبالبحث العلمي الجامعي، مِثل عمه النَّحوي الشهير الذي تبوأ مكانة علمية عالية، حيث كان مديراً ثانوية، ثم عميد في أكاديمية سترانسبورغ (باريس)، ومِثل أخيه الذي توفي وهو يشغل معلماً في مدرسة رولين.

لقد درس في سان سير عام 1855م، ولما كان عمره 17 سنة أصبح ملازماً في كتيبة الحدود 83، وعندما اشتدت الثورات سنة 1861م أشير عليه الذهاب إلى إفريقيا (الجزائر) وتابع فيها عمله ووظيفته الموكلة له، وفي 13 سبتمبر 1861م انظم إلى مصلحة الشؤون العربية حيث قضي ردحاً من الزمن في سلك الخدمة العسكرية، وفى جوان 1880م أصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية، وبعد 5سنوات ألغيت هذه المصلحة ثم عُين مستشاراً للحكومة واعتزل رئاسة الكتيبة العسكرية.

ويذكر لنا- السيد كور-أنَّ لويس قدم أعمالاً جليلة، وعظيمة خلال وظيفته – مصلحة الشؤون الأهلية – وخلال هذه الفترة نشر عدداً كثيراً من التأليف الخاصة باللغات، والأخلاق والعادات والتقاليد..الخ والمتعلقة بحوائج الأهالي، وكان كل ما كتبه وما اُستشهد به يتعلق على نذكر منها مرابطون وإخوان وجه الخصوص بدِّراسات حول الإسلام الجزائري• وتاريخ ثورة 1871م في الجزائر.

أعمال لويس رين المؤلفة والمترجمة:

•يجب الذكر أن هذه المرحلة شهدت ظهور نوع من المستشرقين المحترفين الذين تكونوا من مدرسة الآداب بالجزائر، أو من أولئك الذين أنتجتهم مدرسة اللغات الشرقية بباريس .وعمل هؤلاء ككل مع فريق من الجزائريين في إنتاج مشاريع إبداعية تهتم بنظم الجزائريين وعاداتهم وأفكارهم وطقوسهم ..وهو ما سمي بالإسلام الجزائري كما عنونه لويس رين وغيره؛ فقد اعتبروا أن الإسلام الجزائري يختلف عن الإسلام في المشرق ،فهو يشوبه الجهل والتضليل ، تخترقه البدع والخرافات، ويعتريه التخلف العقلي وضيق في الأفق ..فهذه الممارسات اللادينية اهتم بها نفر من المستشرقين وألصقوها بالإسلام وبخاصة حقل الطرق الصوفية وعالم الأولياء الصالحين والدروشة.. فنجد ما ألفه الكسندر جولي حول المقدسات الإسلامية، وما ألفه أدريان ديلبيش حول زاوية سيدي على بن موسي، وما ألفه ديبون وكوبولاني في كتابيهما (الطرق الدينية الإسلامية). وما ألفه دوموتنلانسكي في كتابه مدونة ابن غانم في الفقه الاباضي...لخير دليل لما ذكرناه.

1- مدخل في الدِّراسات اللغوية والاثنولوجية عند الأهالي2- أول المماليك البربرية وحرب يوغرطة 3- حروف التوارق - أغنيتين حول ثورة القبائل 4- أصول البربر: الدراسات اللغوية والاثنولوجية (وثيقتين تتعلق بثورة الأهالي1871م) 5-أماكن معلنة - رواية ثانية سلمون- (جبل الأوراس) 6- ملاحظة حول الجنرال لاليماند 7- مملكة الجزائر تحت حكم الدايات. 8- ملاحظة حول الجنرال بواسوني 9– دروس في القراءة والكتابة الفرنسية المستعملة عند متعلمي أهالي الجزائر وحلقات السَّيد المترجم أحمد بن بريهمات 10- قانـون عقابي للأهالي

-لجان الضبط- ونجد أيضاً: نبـذة بيبلوغرافيا للسَّيد: دوقراموند النتشور مع السَّيد جاكيتون 1892م، وثلاث دروس ظهرت في نشرة الجمعية الجغرافية - الجزائر- وقد نشر أيضا ما يلي: أصول القوانين المستعملة في الصحراء - منطقة التل- و التحولات الكبرى لتاريخ الجزائر، وفي سنواته الأخيرة من حياتـه (العقيـد لويس رين) تفرغ لكتابـة موسوعة التاريخ الجزائري في إحدى عشر مجلداً[1].

4)- أدريان ديلبيش: ADRIEN DELPECH

في 05 ديسمبر1891م فقدت الجمعية التاريخية في الجزائر أحد أبرز أعضائها الناشطين- أدريان ديلبيش-وهو مُترجم قضائي في البليدة، ولد في بوفاريك في الفاتح من جانفي1848م دّرس اللغة العربية بالمدرسة الفرنسية الشرعية الكائنة بتلمسان التي كان يشرف عليها ب.بيلار.

N.lacroix. Nécrologie .lieutenant-colonel Rinn. Revue africaine .Alger .1905. p.130..132-[1]

أصبح أدريان مترجماً عسكرياً مِثل كثير من الشباب الفرنسيين،حيث وظف كـل معارفـه وسخرها بطريقـة موضوعيـة متناهيـة الكمال، ولقد كان ديلبيش يحضر دروس بريزنيه في العاصمة وهو في سن 17 من عمره، وبعد عامين من ذلك نجح في مسابقة الترجمة العسكريـة من الدرجة الثانية من مجموع 14 مترشحاً، وبهذه الطريقة استطاع أنْ يوظف كل كفاءاتـه كخَيَّال مُتمكن حيث ربط اتصالات بينه وبين الأهـالي، وبين الأهالي والقـواد الفرنسيين. وأثناء تدريبه عام1871م التحق بمعسكر الجنرال سيريز الذي أغلق منافذ بني منصور ومنفذ ذراع الميزان، وهو الذي كتب الإنذار الفرنسي الموجه إلى فج أولاد عزيز، وقام كذلك بمرافقة الفرقة العسكرية التي كانت تحمـل المؤونة الموجهـة إلى بوسعادة تحت إمرة العقيـد ترواميلي بالإضافة إلى هذا ،كان أدريان ذا طبيعة صارمة جريئة يتأقلم مع مختلف أحوال الحياة؛ وعُـرف عليه أيضاً جديـة تقريراته وتطبيقه الحـازم للقانون، فاستطـاع أنْ يُوفق بين هذه المِيزة وبين صراحته المتناهية في اِحترامه لمشاعر مسؤوليه الذين تعامل معهم باستمرار.

وفي سنة 1872م استقال من منصب الترجمة العسكرية ليشغل منصب الترجمة القضائية، التي يميل إليها، وتوظف أيضا في أماكن متعددة منها: تيزي وزو، مينيرفيل، سيدي بلعباس، والبليدة وأثناء ذلك حصل من مدرسة الآداب (الجزائر) على دبلوم اللغة العربية، وهي الفترة التي أنجـز فيها أعمالاً كثيرة موجودة في المجلة الإفريقية مثل:

1- ملخص تاريخي حول ثورة درقاوة في إقليم وهران من(1800الي1813م) وذكر أخبار مسلم ابن محمد 2- زاوية سيدي محمد بن موسي، أوعلي نفوناس 3- إجازة مقدم الطـريق الرحمانية 4- نشر تاريخ

الأمير عبد القادر عن طريق ابن عمه الحسين بن على بن أبى طالب. 5- خلاصة لكتاب البستان لابن مريم (ص380-399)[1].

في سنواته الأخيرة وجه مجهوداته لدراسة الفقه الإسلامي، وقد توفى قبل أنْ ينهي العمل الذي شرع فيه، وعهد إلى أحد أصدقائه بإخراج ما أنجزه وما حرره.

5)- شارل فيرو: LAURENT-CHARLES Féraud

رئيس الجمعية •توفى وهو يشغل منصب مفوض لدي الحكومة التاريخية في الجزائر

الفرنسية في طنجة بتاريخ 19 ديسمبر1988م؛ وقد أسهم في إصدار أعداد معتبرة في المجلة التاريخية التي تصدر بالجزائر وله الفضل السبق في ذلك، حيث حافظ على شهرته ومركزيته حتى بعد وفاته، فهو كاتب وإداري ودبلوماسي،كانت تربطه مع الجمعية التاريخية الجزائرية أواصر ووشائج قوية زادت من عزيمته وخاصة في عالم المترجمين العسكريين.

فقد ولد في نيس يوم 05 فيفري 1829م؛ وقدِم إلى الجزائر وهو صغير السن؛ وعمل في سن 16كاتباً بالإدارة المحلية (الحكومة العامة في الجزائر)، ولما بلغ 19 سنة أصبح مترجماً احتياطياً عسكرياً لدى المفوضية المدنية والتي تتصل مهامُها من قريب أو من بعيد بالسّهر على رعاية شؤون المستوطنين في الجزائر العاصمة وأنحائها، وفى السِّن العشرين من عمره عين الشاب - فيرو- مترجماً فورياً احتياطياً عسكرياً من الطبقة الثانية وهو الميدان الذي قضى فيه زهرة حياته، وهو الميدان الذي أحبه واعتز به.

---

[1]- ARNAUD. Nécrologie. ADRIEN DELPECH. Revue africaine .Alger.NUM.38.1894.P374

• يقول ل.باسه : قبل المؤتمر الذي نظمه النفوذ الفرنسي في المغرب كانت الحكومة حينها تعترضها مجموعة من بين الأشخاص المهتمين لديها، وقد شغل خلال مدة معتبرة من الزمن منصب رئاسة الجمعية التاريخية الجزائرية .

فمنذ ذلك الحين ولمدة عشرين سنة، وهو

يشارك في الحملات العسكـرية اتجاه إقليم الشرق (قسنطينة)، وفي ماي 1832م انضم إلى الحملة العسكرية التي وُجهت ضـد الشريف بوبغلة، وقد كلفته هذه المعركة الكثير من الجهد والعناء، وفي جويلية من نفس السنة عمل تحت إمـرة الجنرالين كامبو و بوسكي في واد (الساهل)، وفي جانفي 1852م التحق بالمعسكـر المعروف بكثرة الثلج مع الجنرال بوسكه في جبال بجاية وفي جوان 1853م شارك في حملة جبال البابور وفي نوفمبر من نفس السنة التحق بحملة ذراع الأربعاء (قويفسة) وعين هناك على رأس الخيالة لحراسة المنطقة.

وفي أفريل 1854م اندس ليلا في مجموعتين من خيالة جزائرية بمنطقة برباشة من أجل اختطاف مبعوث الشريف بوب غلة الذي أثار البلبلة بين الأهـالي بدعوي أنّ الجيش الفرنسي اتجه إلى الشرق بغية عزل السلطان العثماني. وخلال الأعوام الأخيرة

اِكتسب المترجم فيرو خبرة جيـدة في جميع المجلات، وفضل القواد العسكريون بالتتابـع إبقـاءه على إقليم قسنطينة: بوسكه، كامبو، مواسيكا، روندون، ماك ماهون، لوفابر، كاستو، ديفو بريقو، ولاكروا، وفي سنة 1871م أثبت رئيـس المترجمين-شارل فيرو- جدارته في هذا المنصب مما جعل الأميرال ديفيدون(الحاكم العام) في الحكم المدني الجديد يعينه ملحقا به بالحاكم العام في العاصمة، وبعـد مجيء الجنرال شانزي 1873م بقي فيرو في نفس المنصب وقد حاز نظراً لجهوده العلمية الدقيقة على شارة الضابط الشرفي، وممـا ساعده أيضاً سعة ثقافته التي وظفها في خدمة الإدارة الفرنسية، وقد اعتبر- فيرو- الترجمة من الحقول العلمية المعرفية التي استطاع بها أنْ يتبوأ مكانة محترفة في الصفوف العسكرية.

وبمجرد أنْ شغل منصب مترجم لدى السلطات العامة،لم ينس فيرو أبحاثه المفضلة؛ فقد كان في الجزائر العاصمة فرداً من بين الأفراد الرئيسة في الجمعية التاريخية الجزائريـة، حيث لم يلبث طويلا أنْ أصبح نائبا لرئيسها، وبعد ذلك تولي رئاستهـا عام 1876م. وجمع أعمالا كثيرة حول تاريخ الأقاليم وأهلها وأثارها، ووظّفها لصالح إدارة المحتـل، وكوّن علاقـة مع شيوخ القبائل وأعراشهم، ونشر بعض أعماله في الجمعية التاريخية في قسنطينة.

عُد شارل فيرو من أحسن الجنود الفرنسيين الذين اشتغلوا بنقل أخبار الحملات العسكريـة والثورات، واهتم بنقل المراسلات بين زعماء المقاومة والقادة الشعبية وبين الفرنسيين، وأهـم

المراسلين نذكر منهم :

1-مراسلات وكتابات الضابط الفرنسي سيروكا قائد العمليات العسكرية على بسكرة وواحة الزعاطشة في مرحلتها الأخيرة.

2- مراسلات وكتابات الجنرال هيربون حصار الزعاطشة الذي نشره بباريس سنة1863م. 3-كتابات الجنرال شارل بوشير حول حصار الزعاطشة والذي نشره في مرحلة متقدمة مـن عام1851م.

4-شهادات حضور عيان من العرب والجنود الفرنسيين الذين شاركوا- من قريب أو بعيد- في حصار وأعمال المجاهدين ودمار المنطقة من طـرف الفرنسين مغول القرنين التاسع عشـر العشريين بلا منازع[1].

عاش فيرو 59 سنة من النضال والعطاء، وفي آخر حياته أُصيب بمرض بالقلب مما أدى إلى وفاته في المغرب (طنجة) بتاريخ 19 ديسمبر1888م، وله تّمام الشرف أنَّه مات وهو يشْغل منصب مُترجم لدى السلطات الفرنسية في

[1]- محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، ص35

المغرب، وقد شُيعت جنازته الحكـومة الفرنسيـة بطنجة بكل حزن وأسي.

لقد كان فيرو رجلاً إدارياً وسياسياً ودبلوماسيا بقي اِسمه محفوراً في ذاكرة • المترجمين الناجحين

أعمال فيرو المؤلفة والمترجمة:

1- مترجموا الجيش الإفريقي (أرشيف الحملة ط1- 480 صفحة.الجزائر) 2- تاريخ المدن: بجاية، جيجل، سطيف، بون، كال، بوسعادة، برج بوعريريج، عين البيضاء، تيبازة، فيلبوفيل.
وهذه المدن وتاريخها هي عبارة مقالات مطولة تخص كل مدينة، ونشر هذا العمل فيما بعد في مجلدين (191 صفحة، و328 صفحة وقد طبعها مابين 1867و 1879م).
3- ترجمة الكتاب العدواني (تقاليد عربية في إقليم قسنطينة وتونس) 4- تاريخ القبائل المنفصلة في قسنطينة 5- التماثيل المسماة كلتر أو ميكالتيك في الجزائر 6- دراسات في النَّحو القبائلي والحوارات الفرنسية القبائلية 7- دراسة وافية عن قصور دايات قسنطينة 8- اكتشاف مخازن بيلاكس في نواحي قسنطينة (تقرير وزارة التعليم) 9- تجارة العبيد السود في الجزائر. 10- ملتقى حول اجتماع ضباط العاصمـة (عرض نتائج توصلوا إليها إلى غاية اليوم

• لقد كان لزاما علي الإدارة الفرنسية أن تجلب معها نفرا من المترجمين يتصلون بالسكان، ويربطون علاقات مع قادته، وذلك لدرس أوضاع المحاكم والأملاك و الأسواق وغيرها، ولقد استفادت فرنسا من حملتها على مصر كثيرا، حيث نقلت تجربتها ومترجميها إلي الجزائر لكي لا تفشل مخططات التأثير الفرنسي على السكان. فلد أحس القواد الفرنسيون أن نجاحهم في امتلاك الجزائر، هو نجاحهم في وجود مترجمين أكفاء، وهذا ما أشار إليه شارل فيرو الذي اعتبر المترجم عبارة عن رجل مخبري، ووظيفته هي أحسن الوظائف التي تدعوا إلي التخاطب والتواصل في جميع المناسبات، ومع جميع المستويات.

تتعلـق بدراسة الآثار الجزائرية) 11- لي حرار(الاحرار) سادة الحنانشة 12- عرض شخصية مـن الرواية العربية (ألف ليلة وليلة في بسكرة) 13- رزنامة السكرتار الرسمي أثناء حكم الأتراك في الجزائر 14- البنايات الدينية الإسلامية في قسنطينـة 15- ألبوم المتحف الأثـري لقسنطينة 16- الشـرفة في المغرب 17- ملاحظـات حول بني جلاب سلاطين توقرت (مقـالات متسلسلة ضمن أعمال ومقالات المجلة الإفريقية في ستة أعداد من 1878إلى غاية1887م)[1].

6)- المستشرق لويس ماسينيون:Louis Massignon

هُو مستشرق وباحث فرنسي فاق شيوخه وأقرانه، وامتاز عليهم جميعاً بنضرته الفاحصـة، وبعمقه في التحليل وقدرتـه في الطرح واستنباطه للأفكار والمذاهب المختلفة، فـلا يضارعـه المستشرق الألماني نيلدكه، ولا المستشرق الايطالي نلينو، و لا المستشرق الانجليزي جولدسيهر.

ولد ماسينيون في الخامس والعشرين من شهر يوليو 1883م بباريس، ونشأ نشأة عقلية فنية، لأن أبوه كان دارساً للفن، وهذا التذوق الفني جعل من لويس الاعتنـاء بالآثـار الإسلاميـة والروحية.

حصل على الباكلوريا سنة1900م من قسم الآداب والفلسفة، وقام برحلة إلى الجزائر سنة 1901م وبعدها عاد إلى باريس لمتابعة دراسته الجامعية، وكان من أساتذته في الأدب الفرنسي فريناند يرونو، وأيضا المستشرق الفرنسي هارتقج درانبور، ونـال من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ديبلوم اللغة العربية[2].

---

[1] L.PAYSANT .Nécrologie .Laurent .Charles. Féraud .Revue africaine .Alger.1911.P05...15.

[2] - عبد الرحمان، بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3: عمان، المؤسسة العربية والدارسات والنشر، 2003، ص529.

عاد إلى الجزائر، وشارك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر1905م ببحوثه وأرائه الفكرية المتنوعة، وهناك تعرف على جولدسيهر وآسين بلاثيوس، وسيلفن ليفي، وسنوك هرجرونجه.. نشر في الجزائر 305 مقال، و30 خريطة وجداول بأسماء القبائل العربية والبربرية، والنقود المحلية، ومن بين بحوثه الشَّهيرة بحثه عن الحلاج الذي به ذاع صيته، حيث نَشر سنة 1913م كتاب بعنوان "الطواسين" وبعدها واصل دراساته عن الحلاج، واستعرض نشأة التصوف الإسلامي منذ عهد الرسول (ص) حتى الحلاج، بجمع النصوص و يُحقيق الأخبار، ودرس كل ما يتصل بنشأة التصوف الإسلامي وعقائده،و اختار موضوع مذكرته للدكتوراه بعنوان " ألم الحلاج" قدَّمها سنة1922م فاقت ألف صفحة.

أثاره:

تجاوزت ستمائة وخمسون مؤلف، بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة ونقد وتقرير..نذكر من ذلك :

1-جغرافية المغرب 2- الحلاج والشيطان في نظر الزيدية 3- تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية 4- الكنيسة الكاثوليكية والإسلام 5- تاريخ العقائد الفلسفية العربية في جامعة القاهرة 6- العناصر العربية 7- أسرار الاستشراق 8- أساليب تطبيق الفنون لدي الشعوب العربية 9- تقويم العالم الإسلامي وهو إحصائي تاريخي اجتماعي واقتصادي 10- الفولكلور لدى المتصوفين المسلمين 11- ترجمة ابن سينا لابن سبعين12- حال الإسلام اليوم. 13- ديوان الحلاج 14 - المتنبي والعصر الاسماعيلي في الإسلام 15- التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي في العصر الوسيط 16- فكرة الروح في الإسلام 17- العربية لغة الصلاة في الإسلام 18- مكانة الثقافة

العربية في الحضارة العالمية 19- في تقدم الحضـارة العربية. 20- الإسلام وشهادة المؤمن 21- أهل الكهف في المسيحية والإسلام 22- تاريخ العلـم عند العرب 23- الحركة الفكرية المعاصرة في الشرق الأدنى. ولـه مباحث عن: القرامطـة النصيرية، والخطابيـة السلمانية، والزندقة والزهد، والزمـن في التفكير الإسلامي والكنـدي، والمحاسبي، والنوبختي، والششترى، والترمذي.. [1]

لقد وُفق لويس ماسينيون في أطروحاته الفكرية المتنوعة، ووفّقه ذكاءه وعلمـه ونشاطه في التعليم والتصنيف في الإسـلام أثاراً إسلامياً عربياً وأعجمياً، وأنظمة اجتماعية وأنتربولوجية .. وظل على هذه الحركة من النشاط والبحث حتى توفي في 31 أكتوبر 1962م.

7)- دومنيك لوسياني: J.D.LUCIANI.

لقد ترجم ادمون فانيان حياته في المجلة الإفريقية، وقال لابد من كلمة ثناء وعرفان للزميـل دومنيك لوسياني الذي قدم عملاً آخر يستحـق التقدير والاحتـرام، وهو اهتمامه بالتأليـف والترجمة ونشر النصوص العربية والدارسات الفقهية والإسلامية، رغْم انشغاله بالإدارة وتسير شؤون الأهالي؛ فقد أصدر كتاب سماه " الحوض" طُبعت كل فصوله مع نصه الأصلي (العربية) ونصه المترجم (الفرنسية)، ونشر أيضا " الرحبية " عند المسلمين، وهي ترجمة لكتاب أم البراهين أو العقيدة الصغرى لصاحبـها السنوسي (فانيان، الجزائر1896م) وهذان النصان المذكوران أنفاً كانا مُبرمجين في المقررات الدراسية الرسمية وفى الزوايا القرآنية...

لقد استدعت هذه الدراسات المؤلفة أو المترجمة تكوين طاقم عمل يتبناها،

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج1، ص236.

ويشرف عليـها، حيث أُسست لجنة مكلفة بترجمة الكتب العربية والإسلامية، ومهمتها نقل الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية، ولا سيما كتب المدرسة النظامية أو الكتب ذات الطابـع التعليمي مثل مدرسة الآداب أو المدارس الشرعية الفرنسية الثلاث، أو كتب الجوامع والكتاتيب..وغيـرها، وكانت تعقد لهم المسابقات وترصد لهم الجوائز، وهذه اللجنة متكونة من مترجمين وعسكريين، ومن أساتذة مدرسة الآداب ومن مدراء المدارس الثلاث؛ ويذكر فانيان أنَّ السيد دومنيك لوسـياني كان من المشّاركين في هذه الحركة والعاملين فيهـا بأبحاثه التي تعني بترجمة الكتب الكلاسيكية العربيـة سواء في الفقه، أوفي اللغة، أوفي التاريخ...أو سير الأعلام ومشاهير العرب مثـل: أبو بكر الرازي عبد الرحمان بن خلدون، والأمير عبد القادر الجزائري...الخ[1]

بعض آثاره المترجمة:

1- نشر الفوائد الشنشورية2- بغية الباحث عن جميل للسرجي متناً وترجمـة 3- توحيـد الباري لابن تومرت 4- كتاب الجوهرة في علم اللاهوت 5- كتاب الوصية وكتاب البيوع المنتخبين من صحيح البخاري 6- كتاب البيوع من الموطأ للإمام مـالك7- الإرشـاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لعبد الملك الجويني، ومن مقالاته: اضطرابات عـام 1879م، ووثيقة تركية عن الحرب 1925م.

8) – الكسندر جولي:JOLY-ELAXANDRE

الذي توفى في27 فيفري 1913م،ولد جولي في مونتاي(فرنسا)سنة30 أفريل 1870م ثم أصبح أستاذاً في مدرسـة الجزائر الشرعية 1896م، ثم

[1] - ARNAUD. Nécrologie. J.D.LUCIANI. Revue africaine. Alger.1897.NUM.41.P120.

انتقل سنة 1901م إلى مدرسة قسنطينة ليشغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية للفرنسيين.

قد عُرف جولي بثقافته المعمقة وبمعارفه اللّسانية التي حصّلها من مدرسة الآداب، وتحصل على دبلوم اللغة العربية، وعلى دبلوم الدراسات التاريخية التي اهتمت باكتشاف شمال إفريقيا، وقد شارك السيد فلاموند في مهمته الجديرة بالذكر سنة1899م؛ وقضى معظم وقته في التجوال من تونس إلى طنجة مدة سنتين (1904-1906م)، وخلال هذه الرحلات الاستطلاعية تحصل على معارف حول جيولوجيا وجغرافيا وتاريخ ونبات ولهجات الأهالي؛ وقال إنَّ الحياة البدوية هي واحدة (ديانة وعقلية ثابتة)، وإنّ هذه الحياة لا تفرض أي أدنى معجزة، وتحدث أيضاً عن الأحوال المعاصرة للأشخاص وأنشطتهم،وعن الأشخاص المعروفين بالدروشة والأولياء الصالحين، واختار منهم اثنين واحد يوجد في بني صاف؛ وهو محمد بن يوسف وكان مشلول الجزء السفلي من جسده، حيث وُضع في قبر تحت قبة (أصبح بعدئذ مشرباً روحياً).

والثاني هو سيدي محمد بن طيب من بني أولاد عباس، الذي عاش هناك مابين (1860-1870م) ودرس في مازونة، ثم انتقل إلى المدية أين اتصل بالقاضي سي بورحلة حيث أصبحت العلاقة بينهما فيما بعد علاقة أبوية، وخلال هذه المدة حاز على لقب عادل في المدية ثم على باشا عادل في البرواقية، ثم بعد ذلك قاضي المدية...ويؤكد جولي أنَّ سيدي محمد بن طيب اِنتسب إلى حياة التصوف والتقشف، وكتب عدة أعمال حول هذه المادة الصوفية الدقيقة، وحول معيشة الأهالي وأحوالهم؛ وسيدي محمد بن يوسف، وسيدي محمد بن طيب هما من غير منازع مراسلين قداس المسلمين

خلال قرن، وأصبح والين فيما بعد يكفي أنْ نسمع بأي عبارة كانت دعوتهما للأخوة الدينية.

أعمال جولي المؤلفة والمترجمة:

1- ملاحظات على الشعر العصري عند البدو الجزائريين (المجلة الافريقية1900-1904م) 2- سهل بني سليمان (وثيقة الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقيا1903م) 3- رزنامة الفلاحة المغربية 1906م، بالاشتراك مع مدام اكسيكلينا ول.مارسيه. 4- الصناعة في تتوان (أرشيف الجزائر). 5- دراسة التيطري (وثيقة الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقية 1906م) 6- ملاحظات جغرافية حول الجنوب التونسي (وثيقة الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقية 1908م) 7- الخراب والآثار القديمة في أنحاء الجزائر ووهران (المجلة الافريقية1910م) 8- المقدسات لإسلامية (مجموعة بدأت في المجلة الإفريقية سنة 1908م وهي في طور الإعلام) 9- أصيل على الميدالية الكولونية (صحراء). عمل السَّيد جولي ضابطاً في الأكاديمية و مراسل لدي وزارة التعليم منذ 23ديسمبر1904م ومارس نشاطات مع جمعيات عدة وتشرفت المجلة الإفريقية باحتضان ثمرة وجهد واحد من بين مجموعة من الأوفياء[1].

9)-المستشرق رينيه باصيه:Renie Basset

ولد في مدينة لونيفيل، حيث تلقى التعليم الابتدائي والثانوي بها، وتعلم مختلف العلوم والآداب الإنسانية، وعندما أنشأ المستشرق فاري مدرسة الآداب العالية بالجزائر، أُسند إليه كرسي اللغة العربية 1885م، ودرس فيها الحبشية

1 - Nécrologie .ELAXANDRE- JOLY. Revue africaine. Alger.NUM 57 .1913. P.06/05.

والتركية والبربرية وطـاف معظم مناطق العالم الإسلامي باحثاً عن الآثار الإسلامية ومعتقدات المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم.

عُد رينيه باصيه من بين المستشرقين الأوائل الذين كتبوا في المجلة الإفريقية الصادرة بالجزائـر، كما ساهم أيضا كعضو في تأسيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة1905م.

أهم أعماله:

ينقسم جهده العملي والفكري إلى ثلاثة أقسام: إنتاج عربي، وإنتاج بربري، وإنتاج حبشي، نذكر منها: الشِّعر العربي قبل الإسلام، بحث في تاريخ الحبشة، دراسات في اللهجات البربريـة وله ترجمة قصة الوزراء العشرة بشرح وتعليق 1883م، واشترك مع هوداس في كتاب رحلـة علمية إلى تونس، وله فهرس مكاتب الزوايا، وفهرس موجز لقبيلة الزواوي البربرية، وترجـم مجموعة الأقوال الهجوية لأحمد بن يوسف مع سيرة صاحبها، وله أيضا وثائق عربية في حصــار الجزائر 1906م، وله تاريخ ندرومة بعد خروج الموحدين، وهي دراسة نقدية عن مدينـة ندرومة وقبيلة التيراس تاريخاً ووصفاً وتعريفاً بسكانها وأثارها، وله أيضاً مباحث عن دين البربر والألفاظ العربية في لغة البربر،وله في المجلة الأسيوية: قصيدة دينية إسلامية نصاً وترجمة1879م وله أمثال الهجاء المنسوبة لسيدي أحمد بن يوسف، وله تاريخ غزوة الحبشة[1].

10)- إميل ماسكري: EMILE MASQRAY

[1]- مراد، يحي، معجم أسماء المستشرقين،ط1، لبنان، ،2004م،ص131، وينظرJournal Asiatique,1920,p.93/94

فقد رُزئت المجلة الإفريقية بفقدان رئيسها السيد ماسكري، الذي أصابه مـرض القلب فأدى فجأة بموته؛ إنَّها لخسارة جسيمة بالنسبة لمدرسة الآداب للدراسات الإفريقية عموماً. ولد ماسكري في روان عام 1843م، وبعد دراسات معمقة في ثانوية كورني أصبح سكرتير لدي فيكتولا كوزين، ثُم تخرج من المدرسة العليا العالمية 1866م، وكانت اهتماماته منصبـة بالتاريخ والجغرافيا، وخلال عطلتة قام برحلة إلى القاهرة والسويس، الرحلة التي من خلالها اِطلع لأول مرة على العالم الإسلامي، حيث عُين أستاذاً بثانوية باستيا عام1869م، وقام بدوره في المدرسة الشِّبه العيادية،ثم انتقل إلى جبل فاليريان كمسؤول،وبقي هناك حتى نهاية حصار باريس وفي شهرأكتوبر1872م التحق بثانوية الجزائر وأحب الجزائر والجزائريين، وأتمم فيها بقية عمره، وكان ثمرة ذلك أنْ سخّر نفسه لمِوطنه المُختار(الجزائر) ففهمه وأحبه، وبدأ أولاً بتعلُـم اللغة العربية وكان ذلك شاقاً بالنسبة إليه أنْ يتعّلمها ويُعلمها وهو في الثلاثين من عمره. لقد زار ماسكري بلاد القبائل للمرة الأولي سنة1873م، لتهدئة الأوضاع في إطار السياسة الفرنسية الجديدة؛ ثم عاد فجأة وأقام بها ثلاثة أشهر سنة 1882م،وقام بدراسات تمهيدية قصد إنشاء مدارس في بني يني وتيزي راشد وميرا جمعة الصهاريج، وفى عام 1875م كلّف بتوصية من السَّيد ليون رينيه، وهي مهمته في الأوراس، بدأ فيها باكتشاف الآثار القديمة لتيمقـاد التي تقع في المنحدر الشمالي للسلسلة الجبلية على بعد 10كيلومتر بضواحي لومباز، وقد قضى فيها أياماً شتوية قاسية دراساً آثار هذه المدينة الرومانية.

أقام ماسكري في الأوراس لمدة عامين لقد تعرف على كل أوديتها وجبالها وتعرف أيضا على منطقة الزعاطشة ومنطقة نيقرين،وخلال الصَّيف 1878م زار منطقة ميزاب وبقي فيها حوالي شهرين وتحصل على وثائق قيمة.

أعمال ماسكري المؤلفة والمترجمة :

1- القبائل البلدان البربرية (المجلـة السياسية والإفريقية 16/19 فيفري1877م، التقريـر الثاني للجنرال للسيد شانزي: سريانة، نقاوس، توبنا، تولقا 2- وثائـق تاريخية موجـودة في الأوراس 3- ساحة تيبرسيم النورمندي{خميسة}(مجموعة ملاحظات ومذكرات الجمعية الأثرية لقسنطينة) 4-جبال شرشال 5- الآثار القديمة لخنشلة (برزيانة) 6- تاريخ أبو زكريـاء نشر لأول مرة مترجم ومعلق عليه 7- تابـع (خراب الآثار القديمة لخنشلة بزريانة) 8- المدونـة الخاصة لأولاد داود جبل الأوراس 9- مقارنـة بين مفردات لهجة زناقة بالسنغال مـع مفردات مقابلة في لهجة الشاوية وبني ميزاب 10- بني ميزاب (وثيقة جمعية النورماند الجغرافية(ص65 -92) 11 -الصحراء الغربية خلال ثلاث زيارات لأدرار12- نظرة موجزة في تاريخ شمال إفريقيا 13-كتابات غير منشورة عن أوربا وتقرير سريع عن لابديا 14- تمثال ليبي (صومعا) 15- المربي لبني ولبان 16- نظرة موجزة لـ: امترشن ، هنشير ، تيبروري ، هتشيربلكان.. 17-تقرير أكاديمية العلوم في برلين حول الرحلة المنجزة خلال الشتاء 1882 -1883م في الجزائر، تونس، عن طريق جوهاني شميدي، دوهال، ترجمة إميل ماسكري. 18- الواد العبدي 19- أبحاث جديدة للسَّيـد شوارني وتسجيلات مكثفة لـ: شاري مع قولالا 2- بعض الكتابات لـ بليزما حول نقاوس، وتوبنا، ومدوكال 21- ألبرت ديمون- سيرة حياة - 22- تقرير نهائي عن موضوع لاتيني للسيد بلبشير

23-تقاليد الأوراس الشرقية 24- رسالة إلى السَّيد تيسون حول شرفة ولاد سلاما للسيد: شوازني فى تالتلتي 25- تكون الأحياء عند السكان المقيمة في الجزائر (قبائل جرجرة، شاوية والأوراس، وبني ميزاب)،موضوع مقدم في كلية الآداب- باريس 26- مقدمة كتاب السَّيد ليورل بعنوان:قبائل جرجرة(باريس، لاروس) 27- قاموس- فرنسي – تارقي 28- ذكريات و روئ إفريقية[1].

11)- المستشرق هنري ماسيه:Henri Masse

ولد بتَّاريخ 1886م، وتعلـم في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، وتحصـل على دبلوم في العربية والفارسية والتركية، وعُين أستاذا في جامعة الجزائـر (1916-1927م)، وقـام بتدريس اللغة العربية واللغة الفارسية، وكُلف بإلقاء محاضرات في علم الاجتـماع الإسلامي. يتراوح إنتاجه العلمي بين الدارسـات التراثية العربية، والدراسات الفارسية، ففي ميـدان الدراسات العربية اِهتم بكتب التاريخ، وحقق كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكيـم، ونشر الجزء الخاص بفتح الأندلس، وحقق كتاب تاريخ مصر لمحمد بن المبشر، وترجـم قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي، كما ترجم قصيدة اِبن هانـئ في فتح المعز لدين الله الفاطمي بمصر، وحقق كتاب الاكتفاء بما يتضمن من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومغازي الثلاثة من الخلفاء لأبي الربيع الكلاعي، وترجم كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني، لكنه توفى قبل أنْ ينشر هاتين الترجمتين، وله أيضا الدارسات العربية في الجزائر(1830-1930م).

[1] M.BERNARD. (AUG). Nécrologie. EMILE MASQRAY .R. africaine. Alger.1894.P.350…373.

أما الدارسـات الفارسية، فقد ترجـم غزو صلاح الدين سوريا وفلسطين لعمـاد الديـن الأصفهاني، وقد حققها شارل بيلا، ولـه قصص بالفارسية الشعبية مجُمعة ومُترجمة، ولـه الشيطان والجن في الاعتقادات الشعبية في إيران، ولـه رسالة لا اله إلا الله، ولـه الصورة الشعبية في إيران[1].

12)- ألفرد بيل : Alfred bel

ولد في سلانز (فرنسا)، بتاريخ 1873م، درس في المتوسطة الموجودة في قريته الصغيرة، ولما بلغ 17 سنة من عمره تحصل علي شهادة الباكلوريا، تخصص علـوم، ولكي لا يثقل ميزانية العائلة تقبل منصب مترجم في مدرسة أوقزايز أو أوقسار، وفي عام المجاعة التي أصابت فرنسـا، جاء إلي الجزائر ليوظف ضمن الأساتذة المهتمين بالترجمة، وعمل بالبليدة كمترجم، ثم انتقل إلى ثانوية وهران أين قضي خمس سنوات،وخلال هذه الفترة حصّل اللغة العربية من أستاذ اللغـة العربية المستشرق (رينيه باصيه)، الذي كان قد تحصـل علي الشهادة التكميلية وتنبأ لمستقبـل ألفرد بيل ذي الرابع والعشرين ربيعاً، بقدوراته التحصيلية التي مكنتـه بأنْ يكون مستعـرب المستقبل، والحامل لمشروع الاستشراق في الجزائر.

فخلال ثلاثين سنة كان رئيس مدرسة الجزائر وخلالها تعرف علي ديستان و تناول بالدرس والتحليل عملين: العمل الأول: دراسة اللهجات البربرية.

والعمل الثاني:سوسيولوجية شمال إفريقيا.

وبعد عامين من الجد، تحصل

ألفرد بيل علي دبلوم اللغة العربية، وأضاف إليه دبلوم الدراسات العليا في

[1]- مراد، يحي. معجم أسماء المستشرقين ،ص651.

الجغرافيا والتاريخ تحت إشراف أوغسطين بارنار[1]

كرَّس ألفرد بيل حياته لإنجاز دراسة وافية في (بحيرات، شطوط، سبخات الجزائر)، بينما فضل باصيه فكرة دراسة بنوغانيا ومقاومتهم ضد سلطـة الموحدين. وترجم ألفريد بيل في الجزائـر كتاب"تاريخ بني عبد الواد" لصاحبه أبي زكرياء يحي بن خلدون، وترجم القسم الثاني في تاريخ بني عبد الواد الذي يشمل عهد أبي حمو موسي الثاني، وذكر بن شنب أنَّ المستشرق ألفرد بيل

قد قدم لنا ثلاثة فهارس تحتوي على: الاسم الشخصي للمؤلف، والإصـدار، واسم المكـان،

والمدينة، والتاريخ، وذكر بعض القصائد الشعرية في مجلدين، ونصوص • عربية أخري

13)- موتيلانسكي :

لقد ذكر السيد رينيه باصيه حياة وأعمال موتيلانسكي والتي كانت تدور حول اللهجات البربرية في الصحراء (غدامس، الهقار، ميزاب)،كما اشتغل موتيلانسكي ايضاً مُترجماً عسكرياً وبعدها أستاذا للعربية بقسنطينة،ونشر أيضا المدونة البربرية لابن غانم- الكاتب الاباضي الشاب لقد كان لهذا العالم صورة وحيدة باقية من هذا المخطوط، التي وجدت عند السَّيد: الضابط روبيي،

[1] -GEORGES MARCAIS. Nécrologie. Alfred bel. R. A. Alger.NUM.89. 1945- P103...109.

ذكر ألفريد بيل بعض التأليف والدارسات من تاريخ تلمسان في العدد1914 ص 150..152.جاء فيه "1القوطية، اللحوتايا، كنيته شاعر جروال بن أوس– ديوان نشره المستشرق الانجليزي جولدزيهر.2 - القطفي- القطافا، لقب لجد الشعر،جرير، ابن خلكان، وفيات الأعيـان، لسان العرب، حرية الشعر والشعراء.3- مقلة الباسيت مقالة طبقا لنظام الصوت المحدد في اللسان . 3- صودا ، اسم الصديق ابن زهير أو صؤدا. 4- الحيفني طبقا لما تلفظ به أهـالي البـلاد. 5- المنوي تابع سيوطي، لب الألباب .6- جالينيوس والاسـم العـربي جالين، جالينيس، الفهرست 225/254، ابن أبو صيبي، عيون العنب، 1299، ابن سعيد، طبقات الأمم، بيروت.1912، المسعودي، التنبيه 1894. 7- الشلبي تابع ابن خلكان، ذكر السيد دولف. 8- طبلخان مشتقة من طبرخانات ذكره السيد كزيمرسكي في معجمه...

أما الصورة الأخرى فقد اختفت، وبعدها نشَّر المخطوط البربري لزواغة، وكان اهتمام دوموتيلانسكي منصباً على إخراج طبعة كاملة من كتاباته البربرية قبل أنْ تخترمه المنية، وبقـي هذا المشروع يحتاج إلى عالم يكمله وينشره.[1]

إنَّ موتيلانسكي خيرُ مؤهل لهذه المهمة التي تعني بمعرفة لغة القبائل ولهجاتهم وعقائدهـم.. وربط العلاقة مع رجال الدين والشيوخ، فهو بعث من طرف الحكومة العامة في الجزائر أي في مهمة ليَّدرُس واقع السكان لِيزود حكومته بتقارير حول لهجات الصحراء وعاداتهم وسلوكياتهم ومناهج تفكيرهم..

بعض آثاره:

1- مصنفـات ميزاب 2- دليل المسـافر بين طرابلس وبين مصـر 3- لهجم بربر رضام 4- الاباضية 5- رحلات في شمالي إفريقيا 6- تاريخ الأئمة الرستمية بتاهرت لابن الصغير.

14)- المستشرق أوكتاف بوستال:Octave Postale

يقول بوسكه: بكل حزن تلقيت نبأ موت أوكتـاف بوستال عن عمر يناهز الستين سنـة، وخلال هذا العمر أنتج أعمالاً جادة وحداثية لا تقدر بثمن، وقد اختص بالقانون الإسـلامي.

أوكتاف بوستال من أصل جزائري (؟)، عمل في الإدارة المركزية بالرباط، واشتغـل أستـاذاً جامعي في مدرسة العلوم العليا المغربية، وقد ترك أثارا مهمة في ميدان القانون الإسـلامي، أين نجد بعض أبحاثه ومقالاته مجموعة في ستة عشر كتاب كتبها بأسلوب سليم وبلغـة فصيحـة نشرت من1919م-

[1] Motylinski .Revue africaine. Alger .1908.P259/ Journal Asiatique, 1903, voulum02.p162.

1946م.كما اشتـرك مع الأستاذ أحمد التيجاني في ترجمة القرآن وفي كتابين أخريين، يحمل الأول عنوان "رؤيا جديدة حول الإسلام".

والثاني بعنوان" طـرق التسيير لفرنسا" وقد دارت مواضيع أوكتاف بوستال حول:

1- الكفالة 2- عقد الصفقة 3- الوصية 4- الهبة 5- الزواج 6- التحريم 7- العقد المؤقت 8- البيع 9- الحابوس 10- العـدالة الشرعية في المغـرب 11- القـرض 12– الدعاوي والإجراءات 13- النساء في القانون 14- الدين والأخلاق...[1]

لقد تناول أوكتاف بوستال مواضيع لها علاقة بالمذهب المالكـي، وما يتعلق من تشريـع وأحكام، وبهذه البُحوث القيمة استطاع استجلاء وإيضاح بعض الملاحظات التي تبقى خالدة في كتبه المتنوعة، لما لا وهو من الأساتذة الذين خدموا العلم،وأكسبا فرنسا والجزائر شرفاً وافتخاراً

15)- المستشرق وليام مارسيه: William Marcais

وليام مارسيه مستشرق فرنسي محترف، ذو ثقافة علمية واسعة، مال إلى الاهتمام بفقه اللغات السَّامية خصوصاً منها اللغة العربية، والبربرية واللهجة المغربية، عين في 1898م مديراً لمدرسة تلمسان وأستاذا فيها، واحتك بعلماء الشريعة والبلاغة والأدب ووقف على أساليبهم، وطريقة تدريسهم، واتصل بمكتباتهم وما جادت به من مخطوطات ونفائس بلاغية وعلمية متنـوع، ولم يتوقف عن هذا فقط، بل آثر إلى الاستزادة من تراث شمال إفريقيا، كالمغرب وتونس.وقـام في مطلع شبابه بترجمة ديوان أوس بن حجر التميمي إلى

---

[1]- G.H.BOUSQUET.. OCTAVE PESLE. Revue africaine. Alger. num91. 1947p158-159

الفرنسية،وله دراسات جمعت بعد وفاتـه مع مقدمة لأخيه جورج مارسيه في مجلد بعنوان Articles et conférences

عُد وليام مارسيه ضمن الطبقـة الأولى من المستشرقين الفرنسيين، حيث أتقن اللغة العربية كتابة وخطابة، وخبرة وإلقاءاً وبقي يتردد عليه الفرنسيون والعرب للتعلم والتزود من معارفـه المتنوعة.

أهم أعماله :

1- التقريب والتسيير للنووي متنا وترجمة وشرحا 2- أصول النثر الأدبي العربي3- الإسـلام والحياة المدنية 4- اللغة العربية 5- قرن من الأبحاث في ماضي الجزائر الإسلامية 6- سلفستر دي ساسي بوصفه مستشرقاً مختصاً في العربية 7- المرأة في ألف ليلة وليلة 8– مستشرق عظيم ديسلان.

اِشترك مع أخيه جورج ماسيه المتخصص بتاريخ العرب والعمارة والنصوص القديمة بتأليـف كتاب الأبنية العربية القديمة في تلمسان 1903م، وتعاون في الجزئيين الأولين مع المستشـرق الفرنسي هُوداس، وألف كتاب جامع الأحاديث للبُخاري، وتعاون مع المستـشرق ديسبارمت في تأليف مجموعة شمال إفريقيا، وبمعاونـة الأستاذ عبد البرحمان غيجا في تأليف نصوص عربية من تاكرونـة، ونشر بمعاونة دييل العالم الشرقي من 395إلى 1081م، وبمعاونة البرتيني وأيفز أنتج كتاب شمال إفريقيا الفرنسي في التاريخ . ولى ويليام مارسي تصحيحات على نص كتاب الحيوان للجاحظ، وله المعجم وهو قاموس كبير جمع فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها بطريقة دلت على

خبرته وعلمه في التصنيف والتدريس، ونشر أيضا بمعاونة جلولي فارس : نصوص الحمى..[1]

16)- المستشرق جورج مارسيه:Marcais Georges

هو أخ وليام مارسيه، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة، فهو فنان وعالم من أعلام الحضـارة الإسلامية، جاء إلى الجزائر وعين بكلية الآداب أستاذا للآثار الإسلامية، ثم أصبح مديرا المعهد للدراسات الشرقية في الجزائر1931م

نال مارسيه لقب دكتور في الأدب لجهوده المتعددة، وكان قد صنف مع أخيه وليام كتاب تحت عنوان الأبنية العربية القديمة في تلمسان، وله تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابـع عشر (قسنطينة 1913م)، وله قبة جـامع القيروان الكبير وسقوفة.

واشترك مع المستشرق بوانو وألف الأعلاق القيراونية، ولـه الفن الإسلامي والعمارة، ولـه في المجلة الإفريقية: الفن الإسلامي في بلاد البربر، وكتابه قبر عالم تلمساني، وله الخزف في فآس وله منبر جامع الجزائـر والفن الإسلامي في القرن الخامس عشر في تونس، وشـارك مع لامار في تأليف كتاب حول التنقيب عن الآثار الإسلامية ، وله نبذة عن الرباط في بلاد البربر، وله الفن الإسلامي في الجزائر، ومسألة التصوف في الفن الإسلامي وبمعاونـة المستشرق ليفى بروفنسال كتب تعليـق على الزجاج من القرن الثامن، وله كيف استعرب شمال إفريقيا وله فن الجمـال الاسلامي ومنبر جامع ندرومة وسد من الرخام قلعة بني حماد، وضريح سيدي عقبة، والكنيسة وجامع تلمسان، والفن المسيحي في إفريقيا و في البربر، والحفصيون في كتاب حديث، ومـدن الساحل الجزائري والقرصنة في العصر الوسيط، والعمـارة الإسلاميـة

[1]- عبد الرحمان، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص547.

في مصر على العهد الإخشيديين والفاطميين، والحياة وفن الجزائر في العهد التركي، وله أيضا كتاب السلسبيل[1].

17)- دي سلان البارون: Baron de Guekin Mac Slane

ولد في اِرلندا سنة 1801م، وتوفى سنة 1878م، فرنسي الجنسية تكون على يّد العالم والمستشرق الفرنسي الشّهير دي ساسي، وعُين مترجماً في وزارة الحربية انذاك وقام بعدة مهمات قادته في الدخول إلى علم الاستشراق من بابه الواسّع.

أنتج أعمالاً في أغلبها تاريخية وأدبية، وقد اشترك في كثير منها مع مستشرقين أخريين نذكر منهم جوزيف رينو، وجوزيف ديرنبورج حيث اِشترك مع جوزيف رينو في تأليف ديوان امرؤ القيس متناً وترجمةً، وترجم كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان إلى الفرنسية، وصنّف كتاباً في تاريخ البربر والأسّر الإسلامية، ونشّر المسالك والممالك للبكري، وترجم الجزء الأول من كشف الممالك لعبد الله القرطبي وترجم مقدمة ابن خلدون...

وله في المجلة الأسيوية: المجاز في بعض مفردات الشّعر العربي، وترجمة تاريخ إيالة إفريقيا والمغرب للنويري، وحول ترجمة جوبير لجغرافية الإدريسي، وترجمة ووصف إفريقيا لابن حوقل وسيرة اِبن خلدون وله أولى غزوات الإسلام لموريتانيا، وله وصف شمالي افريقيا للبكري..[2]

18)- المستشرق هوداس: Houdas, o

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج1، ص253.
[2]- المرجع السابق، ص352.

هوداس فرنسي الأصل تلقي تعلمه الأول بوطنه الأصلي (باريس)، وواصل تعليمه ونشاطـه حتى صار أستاذاً مكلف بإلقاء الدروس، وبعدها عُين في الجزائر أستاذاً للغة العربية ثم مُفتشاً عاماً للتعليم، وقد صنَّف عدة كتب في التدريس والتعليم و انصرف إلى دراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب واستُدعى أستاذا للعامية من مدرسة اللغات الرقية بباريس.

كتب مدرسية لتعليم العربية، وترجم الأربع وستين سورة أخيرة من القرآن الكريم، ومختارات ألف ليلة ليلة، وبمعاونة رينيه باصيه اِشترك في تأليف رحـلة علمية إلى تونس، وله رسـالة في تيسير طباعة النصوص العربية، وموجز من كتـاب ترجمات المغرب لأبي القاسم الزياني متنـاً وترجمةً فرنسية، وترجمة قصيدة القيصر عند شلومبرجر، وترجمة افتتاح الأندلس لابن القوطيـة وبمعاونة دلفين: مجموعة رسائل خطية، وله ترجمة لكتاب سيرة السلطان جـلال الدين منكوتي للنسوي، وشارك مع بنوا في تاريخ السودان لعبد الرحمان التومبكتي، وبمعاونـة صهره موريس دلافوس ألّف تاريخ الفناس في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمود كعت وذيله لبعض حفدته، وعاون وليم مارسيه بترجمة جزء من صحيح البخاري. وله

في المجلة الأسيوية مباحث عن كتاب فرنسي عـربي للشؤون الإدارية والقضائية وميـزان القانون للشعراني الذي نقله الدكتور بيرون، وترجم أيضاً المستظرف للأبشيهي[1]

[1]- المرجع السابق، ص200.

19)- دلفين ،ج: Delphin,G

استمرت مدرسة اللغات الشرقية بباريس ترسل أساتذتها ومعلميها إلى البلدان المستعمرة ومنهم الأستاذ دلفين الذي انتدبته حكومته مديراً لمدرسة وهران حيث درس مبادئ اللغة العربية كما تعلم مختلف لهجات الجزائر.

أهم أعماله:

قصة ما جري لعربين من طلاب العلم في قرية العبيد قرب وهران 1887م، وله تاريخ الباشوات العثمانين في الجزائر من سنة1515إلى1745م متناً وترجمة وتعليق،وله تيسير العربية على الفرنسيين 1891م، وله كتاب العقيدة الصغرى المشتمل على أراء الشيخ السنوسي، ونشر بمعاونة هوداس مجموعة رسائل خطية، وبمعاونة فوربيجه مقامات العوالي متناً وترجمة...وغيره من المؤلفات التي لا تعد ولا تحصى[1]

20)- ادمون فانيان: Edmond –FAGNAN

هو مستشرق فرنسي محترف ولد في ليبيج (بلجيكا) من أبوين فرنسيين بتاريخ 05 ديسمبر 1846م، وانتقل إلى باريس لحضور دروس في اللغات الشرقية بمدرسة اللغات الشرقية الحية حيث تعلم العربية والفارسية والتركية والعبرية... وفي سنة 1873م ألحق بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس واشترك في تحقيق النصوص العربية الخاصة بالحروب الصليبية والتي نشرت وترجمت إلى الفرنسية في " مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية"؛ وفي01 أفريل 1884م كُلف بإلقاء محاضرتين باللغتين العربية والفارسية بمدرسة الآداب العليا (كلية

[1]- مراد، يحي، معجم أسماء المستشرقين، ص334.

الآداب فيما بعد-الجزائر-) واستمر يعمل فيها حتى تقاعده في أول نوفمبر 1919م. أهم
أعماله تكمن في ترجمته لكتب عربية مهمة تتناول الفقه المالكي وفي تاريخ المغرب نجد منها: ترجمته لرسالة لبي زيد القيرواني1912م، وقد ترجم الفهرس الموجز لمختصر سيدي خليل 1819م، وترجم الأحكام السلطانية للماوردي وترجم قسم افريقية الشمالية في كتاب الاستبصار سنة1900م، وترجم تاريخ الموحدين والحفصيين، وترجم كتاب تاريخ الموحدين لعبد الرحمان بن على التميمي 1893، وجمع وترجم نصوصاً تاريخية جديدة تختص بشمال إفريقيا وصقلية 1910.كما صنف فهرساً عاماً لمخطوطات المكتبة العامة في فرنسا(الجزائر 1893م وقد توفى في الجزائر في 28 فيفري 1931م)[1].

21)- شارل بيلا: Charles pellaT

ولد في سوق اهراس (الجزائر) بتاريخ 28 سبتمبر 1914م،تلقي دروسه الثانوية في ليسيه ليوتي بالدار البيضاء وحصل على الباكلوريا الجزء الأول سنة1931م، وعلى الثاني رياضيات 1932م، ثم على ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو وشهادة العربية من معهد الدارسات المغربية العليا من الرباط، وله شهادة لغة البربر من كلية الآداب بجامعة الجزائر 1938م.
وعين أستاذاً في معهد مراكش 1934-1935م، وأستاذاً في ليسه لوى لى – جران 1947م -1951م، وعين أيضاً مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس وعمل مديرا لدائرة المعارف الإسلامية في نشرتها الفرنسية؛

[1]- عبد الرحمان، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص387، وانظر: المجلة الإفريقية، عدد 1931، ص139..142.

وقد انتدب لبعثات علمية وإلقاء الدروس ومحاضرات في السنغال وموريتانيا والمغرب وتونس وليبيا ولبنان وسوريا والأردن والعراق والعربية السعودية والهند ولباكستان..[1] أثاره:

أربت على مائة وثلاثون عنواناً تناولت في معظمها حياة الجاحظ وسلوكه ودراسات في اللغة العربية والأدب العربي، ولد دراسات حول تاريخ الشعوب والأديان نذكر بذاك رسالته المقدمة للحصول على الدكتوراه المعنونة بـ" الوسط العلمي في البصرة وتنشئة الجاحظ"... وغيره من المؤلفات المختلفة.

22)- المستشرق أوقست أودولين: Auguste Audollent

السَّيد أوقست عضو في أكاديمية الآداب، وعميد شرفي لكلية الآداب لكليمون فران، وكان أيضا عضو شرفي في المجتمع التاريخي الجزائري، وشارك في أعمال الملتقى السادس العالمي للعلوم الأثرية في الجزائر العاصمة سنة 1930م، وجل أعماله تناولت بحوث حول شمال إفريقيا، التي ابتدئها منذ أربعين سنة،أي في سنة 1889م، كان أصغر عضو في مدرسة روما، وبدأ بتدشين التقاليد الإفريقية لهذه المدرسة، ثم أتى إلى الجزائر لكي تبدأ أول أعماله في علم الآثار،ولم ينقطع عن أبحاثه الأثرية في الجزائر من تاريخ أكتوبر 1889م حتى 1890م

عمل أوقست مع لوتاي، وتمكنا من اكتشاف معارف جديدة حول نوميديا وموريطانيا، ونقل بعض المعلومات من أماكن أثرية مثل " المنسا الرومانية " وأيضا مخطوطات نادرة وغنية لا تقدر بثمن ، وتم نشر هذه الاكتشافات

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ص353.

المهمة في الميلانج الأثري والتـاريخي لمدرسـة رومـا 1890م، وفي ملانج ج.ب. في روسيا 1892م ...هذه الاكتشافات حول إفريقيـا مدونة في كتاب" قرطاج الرومانية " 1901م، وهو كتاب مهم يحمل في طياته العلـوم الأثريـة[1].

جل أعماله انصبت في معرفة الآثار الأولى للشعوب، وخاصة البلاد الإفريقية ومعرفة تاريخ المسيحية بها، وكان أيضا قبـلة الطلاب والبـاحثين ليستفيـدوا من أبحاثـه ومخطوطاتـه.

إن هؤلاء المستشرقين ما هم إلا قلة من كثرة وما ألفوه وتركوه من معارف وكتب لا تعدوا ولا تحصى، ومن واجبنا كطلبة وباحثين أن نستجليَّ آثارهم وأخبارهم وأن نعود إلى المصـادر الأولى التي كتبوها لكي نعرف ماضينا ونثبت في حاضرنا، فأم المشكلات في حياتنا الفكرية عدم الحصول على هذه المراجع العمدة التي ضاعت وأتلفت لأسباب عديدة لا يسمح المقام لتعدادها، فبمعرفة تراث الماضي وثقافة الحاضر نستطيع أن نساير الـركب الحضاري ونجاري من فاتنا في العلم والمعرفة.

[1] - LESCHI-Nécrologie. AUGUSTE AUDOLLENT .Revue africaine. Alger .1943.P267/268

الفصل الثالث: تقويم الاستشراق الفرنسي في الجزائر ويحتوي هذا البحث على:

1- تعريف المستشرق ريجيس بلاشير.
2- بعض أخطاء ترجمة القرآن لريجيس بلاشير.
3 - مؤتمر المستشرقين 05 أفريل 1905م.
أ-الهند وإيران.
ب- مصر، اللغات الإفريقية مدغشقر.
ج- دراسات اللغات الإفريقية البربرية.
د- الشرق الأقصى.
ه- اليونان والشرق.
و- أثار إفريقيا والفن الإسلامي.
ز- الجمل في البلاد الإفريقية.
ح- الفن الإسلامي.
ط- مؤتمر التعاونية الاستعمارية:الجزائر، تونس 1905م.
ي- مؤتمر المجتمعات المعرفية.
4- مصير الاستشراق أمام الدراسات الجزائرية.
5 - دور جمعية العلماء المسلمين.
أ- الشيخ عبد الحميد بن باديس.
ب- الشيخ البشير الإبراهيمي.
ج- المفكر الجزائري مالك بن نبي.

أولاً: تعريف المستشرق رجيس بلاشير:

أصبح بلاشير من أشهر مُستشرقي فرنسا في القرن العشرين، بل عُد قُطب من أقطاب المستشرقين الأوروبيين .

وُلد في 30 يونيو 1900م في ضاحية مونروج (باريس)، سافر مع أبويه إلي المغرب سنة 1915م، وقضي مرحلته الثانوية في مدرسة فرنسية بالدار البيضاء، وعُين ملاحظاً في مدرسة مولاي يوسف في الرباط، وبعد حصوله على الباكلوريا اِلتحق بالجامعة، وحصل من كلية الآداب بالجزائر علي الليسانس سنة1922م، ثم أمضي السنة التَّالية فيها حيث استمع لدروس وليم مارسيه، وقد اِنتدب مديراً

لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، وهذا بفضل ليفي بروفنسال سنة1924-1925م، وعين أستاذاً محاضراً في السوربون سنة 1938م، ثم مديراً لمدرسة الدراسات العليا والعلمية سنة 1942م.
أعماله:

ترك لنا أعمالا لا تُعدو ولا تُحصى في جميع التخصصات والمستويات، في الأدب وفي اللغة وفي الجغرافيا وفي التاريخ..وكتب أغلبُها باللغة الفرنسية، وترجم بعضها إلى العربية، ولقد اعتني عناية كبيرة بشاعر العرب " المتنبي"، حيث فقد قدم سنة 1936م رسالة دكتورة بعنوان"شاعر عربي من القرن الرابع الهجري: أبو الطيب المتنبي"،وله تعليق على ديوان المتنبي وله أيضاً "مصدر لتاريخ العلوم عند العرب" وترجم "طبقات الأمم لصاعد الأندلسي" و"الأمير الأموي الوليد الثاني" و "مجمل شاعرية العرب" وله أيضا "ابن القارح" و"رسالة الغفران للمعري" وله "نبذة عن النفس في القران" و"دراسة أدب الأمثال عند العرب" و"خطبة حجة الوداع" و" ترجمة ليفي بروفنسال".

وبالاشتراك مع جودفروا ديمومبين ألّف "قواعد العربية الفصحى"، وبمعاونة سوفاجه ألف "قواعد نشر وترجمة النصوص العربية"، ومع ماري سيكالدي ادريان ألّف"مختارات من العربية الفصحى"، وبمعاونة درامون نشر"الجغرافيون العرب في العصر الوسيط"، وله أيضا: "أوزان الشعر و العروض في ضوء الكتب الحديثة" و"مشكلة في تاريخ الأدب" و"حركة الأدب المعاصر في بغداد"[1]

توفى بلاشير في 17 أوت 1973م،
وترك لنا أعمالاً جليلة، لا زالت تُثار في كل آن وأوان ومن أعماله الباقية الدالة على أنَّه مستشرق لا يُشق له غُبار تأليفه الأول لتاريخ الآداب العربي منذ بدايته إلي نهاية القرن الخامس عشر سنة 1952م، وتأليفه الثَّاني ترجمة القرآن إلي اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء مع مُقدمة طويلة وتفاسير لغوية، وقد رتّب القرآن في هذه الترجمة وفقاً لما ظنه أنَّه ترتيب سليم للسور والآيات، وظهر الجزء الأول منه سنة1949م، ثم نشر الترجمة وحدها سنة1957م.
بعض آراءه:

ما وُصِف به بلاشير أنَّه استثمر الدارسات السَّابقة التي قام بها المستشرقون قبله (أي إنَّه أتمم ما قاموا به الأولون)؛وبسط رأيه في كل موضوع، وفق نظرته وخبرته اللامتناهية، فإذا عرّفنا كتابه المشهور تاريخ

---

[1]- نجيب، العقيقي، المستشرقون، ج1، ص310.

الأدب العربي فنجده يقع على بابين وعدة فصول، نجده يبحث في الشعر العربي، وعوامل ونشؤه وبيئته، وروايته وكتابته، ودرس تاريخ العرب وآدابهم ومذاهبهم حيث قال: "إنَّ العربية لهجة محدودة جداً، بل لُغة قبيلة صغيرة، بفضل ظُروف محلية إلى درجة من الكمال، .ووصلت في وقت من الأوقات خارقة للعادة، فهي مدِيْنة لانتشارها للإسلام"[1] ولا يشَّايع بلاشير أكثرية المستشرقين، وخاصة المتعصبين منهم كمرجيليوث وغيره الذين يُنكرون وجود الشعر الجاهلي، بل يؤكد إنَّه كان هناك شعر ونثر ولم يتصلا بمؤثر أجنبياً، "وفي الحقيقة فإنَّ نزول القرآن، والتغيرات التي على العالم العربي، لم تُؤثر تأثُيراً واقعياً أو ظاهرياً على النِّتاج الأدبي إلاَّ بعد عشرين سنة من وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أي بصورة مُجملة حوالي سنة50هـ-700م، فالأوفق إذاً اِعتماد هذا التَّاريخ في تعيين الزمن الذي نما فيه النثر والشِّعر في المحيط العربي بأقل تأثير أجنبي ممكن"[2]، وهكذا نجد بلاشير يُلمح إلى أنَّ الشِّعر الجاهلي فيه كثير من الاضطرابات، حين يُحاول نسبة قصيدة إلى شاعرها أوحين يعرف أنَّه كان هناك اختلاف حول التّسمية يقول: "فما أكثر الشكوك التي تحيط بنا عندما يكون الغرض

قصائد أو مقطوعات من القرنيين السادس والسابع، وضع الرواة الكبار وعلماء العراق أسماء قائليها بعد مُضّي قرن على تأليفها"[3]

[1]- بلاشير، ريجيس، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ص86.
[2]- المرجع السابق، ص92.
[3]- بلاشير، ريجيس، تاريخ الأدب العربي، ص 165.

ثانياً: بعض أخطاء ترجمة رجيس بلاشير:Régis blachere

نماذج من ترجمة المستشرق رجيس بلاشير من خلال (Le coran) كتابه:Traduction selon un essai de reclassement des sourates.

تمت ترجمة القرآن الكريم من قِبل المستشرق بلاشير سنة1949م، وتمت الطباعة في باريس سنة 1951م، وفي هذا البحث نتطرق لبعض الترجمات التي لم تُؤدى معناها التّام حيثُ اِعتمد في بحثه المحُترم ترتيباً مغايراً لسُور المصحف، وكان كُلما يذْكر اِسم السُّورة يذْكُر تمهيداً يشرح فيه مصدر اِسمها وما يتعلق بنزولها في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ويستعرضُ آراء المفسرين فيها وقد يُرجِّحُ آراء بعض المستشرقين الذين تناولوا كتاب الله

اعتمد في ترجمته للقرآن الكريم ترقمين؛ رقماً •بالترجمة والتحليل. ورقم وضعه المستشرق الألماني فلوجيل ونولدكه اجتهد في وضعه (بلاشير)، وكان في أوائل بعض السّور يقدم اقتراحين وترجمتين لِاسم السورة، بالإضافة إلى تقديم الآيات أو تأخرها عن مواضِعها[1].

لقد تَعرف كثير من المستشرقين الغربيين الأوائل على كتاب من خلال ترجمات المستشرقين أنْفسهم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية المختلفة، والجدير بالذكر أنَّه من تناول النَّص القرآني من المستشرقين والعلماء الغربيين بلغته الأصلية (العربي)، نجده أكثر من تناول النص القرآني مترجماً من قبل مستشرقين أو مترجمين، فالأول حافظ على لغته وإعجازه وبيانه وبلاغته، والثاني فقد نصيباً مما ذكرناه أو فقدها كلها "إنَّ ترجمات القرآن التي يعتمد عليها الإفرنج في فهم القرآن، كُلها قاصرة عن أداء معانيها التي تؤديها عباراته العليا، وأسلوبه المعجز للبشر، وهي إنَّما

• فلوجيل مستشرق ألماني معروف حضر دروس اللغتين العربية والفارسية في الكوليج دي فرانس وتكون أيضا في مدرسة اللغات الشرقية حيث درس علي المستشرق الفرنسي الكبير سلفستر دي ساسي واكب على المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس وإنتاجه العلمي غزير جدا نذكر تأليفه "النص العربي للقران"سنة1834م حيث عدت هذه الطبعة هي المعتمدة في ترقيم آيات القران لدي اغلب المستشرقين ونذكره بتأليفه فهرس القران العربي سنة1842م الذي خدم خدمة جليلة لأصحاب هذا الحقل المعرفي ألقراني

[1]- لقد عمد ريجيس بلاشير إلى ترتيب سور القرآن الكريم حسب رأيته وفكره، ونذكرها على التوالي:العلق، المدثر، قريش، الضحى، الشرح، العصر، الشمس، الماعون، التين، الزلزلة، القارعة، العاديات، الليل، الانفطار، الأعلى، عبس، التكوير، الانشقاق، النازعات، الغاشية، الطور، الواقعة، الحاقة، المرسلات، النبأ، القيامة، الرحمان، القدر، النجم، التكاثر، العلق، المعراج، المزمل، الإنسان، المطففين، المدثر، المسد، الكوثر، الهمزة، البلد، الفيل، الفجر، البروج، الإخلاص، الكافرون، الفاتحة، الفلق، الناس، الذاريات، القمر، نون و القلم، الصافات، نوح، الدخان، ق، طه، الشعراء، الحجر، مريم، ص، يس، الزخرف، الجن، الملك، المؤمنون، الأنبياء، الفرقان، النمل، الكهف، السجدة، فصلت، الجاثية، الإسراء، النحل، الروم،هود، إبراهيم، يوسف، غافر، القصص، الزمر، العنكبوت، لقمان، الشورى، يونس، سبأ، فاطر، الأعراف، الأحقاف، الأنعام، الرعد، البقرة، البينة، التغابن، الجمعة، الأنفال، محمد، آل عمران، الصف، الحديد، النساء، الطلاق، الحجر، الأحزاب، المنافقون، النور، المجادلة، الحج، الفتح، الممتحنة، النصر، الحجرات، التوبة، المائدة.

تُؤدي بعض ما يفهمُه المترجم له منهم، إنْ كان يريد بيان ما يفهمه، وإنَّه لمن الثَّابت عندنا أنَّ بعضهم تعمدوا تحريف كلمة عن مواضعه على أنَّه قلما يكون فهمـم تامـاً صحيحاً، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمناً، بل يجتمع لكل منهم القصور أنَّ كلاهما : قصور فهمه، وقصور لغته"[1]، وقد فنّد هذا الرأي محمد حسين أبي العلا في كتـابه القرآن وأوهام مستشرق بالقول إنَّ ترجمة معاني القرآن الكريم يجب أنْ تكون مهمة إسـلامية وليست مهمة استشراقية "فمن حق المسلمين، بل من واجبهم القيـام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات غيـر العربية لأنهم هم الأقدر على فكر القرآن ومراميه ذلك فضلا عن ما لديهم من حسـن وذوق عربي، فكل ترجمة صادرة عن غير المؤسسات الإسلامية ومن غير العقل الإسلامي، تعد أعمال هواة مغرضين...ومن هنا؛ أنظر إلى عمل جاك بيرك وإلى كل الأعمال الاستشراقية التي ظهرت وتظهر حول النَّص القرآني وحول الفكر الإسـلامي بشكل عام فأتحفظ عليها لأنَّها أعمال صدرت من غير متخصصين بل غير مؤمنين"[2].

ويُؤكد بعض المفكرين أنَّ السَّيد ريجيس بلاشير نموذج للمستشرق العلمـاني الذي يريـد الابتّعاد عما يسميه التعصب الديني الصليبي الغربي، ولكنَّه يقع في حرج أسوأ منه عندما يتعامل مع الله ظناً منه أنَّه يتعامل مع كلام بشري.

[1] - محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ط6، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، 1956، ص24/ ويراجع:الإستشراق والإعجاز في القرآن بقلم الأستاذ علي بن إبراهيم النملة الكريم على الموقع التالي:**TODAY.NETWWW.ISLAM**

[2] - محمد حسين أبو العلا، القران وأوهام مستشرق،المكتب العربي للمعارف،ص67، ويراجع كتاب " دائرة المعارف الإسلامية أضاليـل وأباطيل "للد.إبراهيم عوض، حيث تـناول هذا الكتـاب انحراف بعض المستشرقين والمبشرين عن منهج البحث العلـمي، وأبطـل الزعـم الشائـع بان اللـغة العربية استعارة من اللـغات السامـية الأخرى، والقي الضـوء على الأخطاء والتناقضات الخطيرة التي ألحقت بالقرآن وبالسنة النبوية ..وفي أخر الكتاب نجده يبرز ترجمات بعض النصوص القرآنية الخاطئة من لدن بعض المستشرقين، ويحدد خطئها بدقـة متناهية ابتداً من صفحة213 إلى 270.

السور	ترجمة بلاشير	الترجمة الصحيحة[1]
الفاتحة	**La liminaire**	**Ouverture**
الأنعام	**Les troupeaux**	**Bestiaux**
التوبة	**Revenir Immunité (de L'erreur)**	**Le Repentir**
الشورى	**La délibération**	**La concertation**
الفتح	**Le Succès**	**Tout s'ouvre**
الرحمان	**Le Bienfaiteur**	**Le Compatissant**
القلم	**Le calame ou nun**	**Le calame**
الحاقة	**Celle qui doit (venir)**	**L'inéluctable**
المعارج	**Les degrés**	**Les Paliers**
المزمل	**Celui qui s'est enveloppe**	**L'emmitouflé**
التكوير	**L'obscurcissement**	**Le Reploiement**
الانشقاق	**La déchirure**	**Le fissuration**
التين	**Le (mont des) figuier**	**La figue**
العصر	**Le destin**	**L'epoque**
الكافرون	**Les infidèles**	**Les dénégateurs**

قوله تعالى	ترجمة بلاشير	الترجمة الأقرب إلى الصواب

[1]- اعتمدت في هذه الترجمات على بعض المعاجم الهامة في حقل الترجمة، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الزملاء الأساتذة المشتغلين بهذا الحقل المعرفي.

البقرة 184.	jeuner est un **bien** pour vous. (p.779).	فقد ترجم "خيرٌ" بـ"حسن" وهذا خطأ والصواب : mieux :il vaut vous de pour jeuner
الرعد 43.	**N'es –tu pas un envo yé ?** (p.718).	فقد جعلها جملة استفهامية، وهذا خطأ،Tu nés والصواب : Pas un envoyé
الفرقان26.	**Le Royaume**, ce jour- là, (et) la vérité appartiennent bienfaiteur. au (p.307)	فقد ترجـ "المُلك"بـ "الممْلكةْ"وهذا خطأ والصواب: Ce Jour –Là la vraie Le Royauté appartient- au bienfaiteur
البقرة 49	**Et couvraient de honte vos femmes !** (p.740)	فقد ترجم هذه الآية:"يغطون بالحياء نِساءكُم". وهذا خطأ، والصواب: Laissaient vivan- tes vos femmes.

فقد ترجمهابـ:"يمشي اللهُ معكُم جميعاً" وهذا خطأ، والصواب Dieu vous ramènera tous	Qu' que vous soyez all- ah **marchera avec vou**s ensemble. (p.770).	البقرة148
فقد ترجم لفظة الجار بـ الزّبُون وترجم لفظة الجار بالاختلاط والصواب Voisin proche par parenté et Voisin lointain.	**Au client** par parenté au **client par promis cuité** (p.936).	[1] النساء36.
فقد ترجم لفظة "جباراً" بلفظة "شديدا" وهذا خطأ والصواب: (Orgueilleux).	Il ne m'a fait ni voilent ni **malheureux.** (p.230).	مريم32.

[1]- قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم:الجـار ذي القربى هو الجـار القريب النسب، والجـار ذي الجنب هو الجـار الأجنبي الذي لا قرابة بينك وبينه.راجـع المحرر الـوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمـد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحـق عبد الشافي محمد، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص216.

الزمر30.	**Te voilà mort les voilà morts.** (p.516).	فقد ترجمها بـ"ها أنت ميِّتُ وها هُم ميِّتُون". وهذا خطأ، والصواب: Toi ,tu mourras et ils mourront eux aussi..
الفتح 11.	**Pardonne –** nous ! (p.1051).	فقد ترجم لفظة "استغْفِر"بلفظة "اغْفِر" أي إنَّه حذف السين وهذا خطأ، والصواب: Implore pour nous le pardon.
آل عمران 73.	…Vous en ce qui **touche** votre seigneur (p.875)	فقد ترجم لفظة "يحاجوكم" بلفظة "الدِّي يّمُس ربّكُم" وهذا خطأ والصواب: Auprès de votre seigneur.
• المجادلة11.	Quand il vous est dit « **prenez place** à l'aise dans l'assemblée »	فقد ترجم لفظة "تَفسحُوا" بلفظ "اجلّسُوا" وأضاف prenez Place وصارت العبارة: "اجلسوا كما

	prenez place. (p.1026).	يطيب لكم في المجلس فاجلسوا". وهذا خطـأ.
المائدة120	A Allah la **royauté** des cieux et de la terre. (p1146).	فقد ترجم لفظة "مُلكُ" "مِلكِية".وهذا خطأ، فهناك فرق بين المُلكُ والمِلكِية.
النبأ 08.	Nous vous avons créés **(par) groups**. (p.67)	فقد ترجم لفظة "أزْواجاً" بلفظة فئات. وهذا خطأ.
آل عمران197.	**Chétive** jouissance puis, pour **refuge,** **géhenne.** (p.907).	فقد ترجم "قليل" بمعنى ضعيف وترجم "مأواهُم" بمعني للمّأوي جهنم وهذا خطأ، والصواب: Puis leur refuge sera géhenne

النّساء.6	Ceux qui obéissent à Allah et à l'apôtre, ceux là sont avec les prophètes, les justes (Siddiq), les **témoins**).	فقد ترجم لفظة "الشُّهداء" "شُهُودُ". وهذا خطأ، والصواب: Martyres
الاحزاب40	Mahomet n'est le père de nul de vos males, mais il est l'apôtre d'Allah et le **sceau…** (p.992)	فقد ترجم لفظة" خاتِم" بلفظة والتي تعني sceau " الخَتْم" الذي تختم به الأوراق وهذا خطأ والصواب: L'ultime prophète **ou**, le dernier des prophètes
العصر01	**Par le destin** ! (p.17)	فقد ترجم لفظة "العصر" بلفظة"القدر"والصواب: (Par le temps).
الحجر78.	Les hommes du fourré furent certes **insolents**.	فقد ترجم لفظة "ظالمِين" بـ "وقِحٌ" وهذا خطأ والصواب لفظة: (Injustes)

	p222	
البقرة138.	**Onction** (?)d’Allah ! qui donc est meilleur qu’ Allah en (son) onction ? (p.767).	فقد ترجم لفظة "صِبغة" بلفظ غير مقبولة إطلاقاً، التي تعني الدّهْن والطّلاء. والمعنى المقصود "هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي الإسلام.
الروم03	Les "Romains " ont été vaincus au confin de **notre terre**. (p.420).	فقد أعطي ترجمتين لهذه الآية، بالإضافة إلى إنه ترجم " في أدْنى الأرْض" بـ " أرضِّنا". (De la terre)
النحل08.	Il a créé le **cheval**, **le mulet**, **l’âne**… (p.398).	فقد جعل هذه الألفاظ مفردة مع أنها جاءت بصيغة الجمعet les والصواب: chevaux, les mulettes, les’ ânes.
العلق01.	Prêche au nom de ton seigneur	فقد ترجم لفظة "اِقْرأ" بلفظة"عِظْ"وهذا خطأ، والصواب:

	qui créa !(p09)	(Lis)
القمر46	**L'heure** est ce qui leur est promis, or L'heure est très cruelle et très amère. (p.115).	فقد دل على لفظة "السّاعةُ " المقصودة بيوم القيامة بـ الساعة المعروفة التي تدل على التوقيت الزمني كما والصواب: أضافPlus très cruelle et plus amère.
[1] النساء72.	…Je n'ai pas été **témoin** avec eux (p.944)	لقد دلت لفظة "شهيْداً" معنى "أدى شهادة" وهذا خطأPrésent والصواب: موجود.
النحل05.	**Les chameaux**, ont par lui, été créés pour vous. (p.397)	فقد ترجم لفظة "الأنْعام" بـ "الجِّمال"وهذا خطأ، والصواب: Les bestiau

1-إذ لم أحضر معهم وقعة القتال بعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إنْ قتل..راجع: تفسير ابن كثير ج2،ص210.

البقرة 130 .	Il sera certes parmi **les saints** (p.765).	فقد ترجم لفظة "الصالحين"بلفظة "القدسين"Vertueux والصواب:
المزمل05	Nous allons te communiquer une parole **grave** (p.97)	فقد ترجم " ثَقِيلاً" بـ"خطِيراً" وهذا خطأ والصواب:Lourde
التين01.	Par le (mont des) figuier (s) et des Oliviers (p.22).	فقد أضاف كلمة "جبل" كما أضاف "كلمة أشجار"par La والصواب: figue et L'olive
الشمس: 13	La chamelle d'Allah, (mi a) **son lait !** (p.18).	فقد ترجم لفظة "سُقْياها" بلفظة "لبنُها"،والصواب: Laissez la chamelle de dieu boire
القمر44.	**Ou bien direz-vous** (p.145).	فقد ترجم لفظة "يقُولُون" بـ "تقُولُون"وأضاف سين التسويف، والصواب:(Disent-ils).

☎يوسف31.	**Entre** auprès d'elles (p.468)	فقد ترجمها "ادخل عليهن" وهذا خطأ، والصواب: Sors devant elles
آل عمران 145	Nous lui en donnerons **une part.** (p.893).	une part فقد أضاف لفظة (قسماً، نصيباً) وأصبحت "نؤته منه نصيباً" وهذا خطأ.
مريم27.	"O Marie!" dirent-ils tu as accompli une chose **monstrueuse !** (p.299).	فقد ترجم لفظة فرياً بـ "الشيء البشع الغريب والمسّخquelque والصواب: chose d'ahurissant
الحج 78	La religion milla de votre père, Abraham .il vous a nommés les **soumis,**p 1048	فقد ترجم لفظة مسلمين بـ"المطعين أوالخاضعين "بدل اللفظة الصحيحةLes Musulmans والتي أشار إليها في ا المتن.
الفاتحة 02.	**Bienfaiteur** miséricordieux (p.127).	فقد ترجم لفظة الرحمان بلفظة المحسن إليه والصواب Le. compatissant.

طه 07	il sait le secret même bien caché.p180	فقد ترجمها بـ"أنّه تعالى يَّعلمُ السِّر مهما يخف

ثالثاً: مؤتمر المستشرقين 05 أفريل 1905م :

هذا المُؤتمر يُمثل الانطلاقة الفكرية والاستشراقية والاستراتيجية لفرنسا،ولِلنُخبة الفرنسية في الجزائر، حيث عملت على إنجاحه باختيار مواضيعه وفصوله، واختيار مقرريه ومنشطيه. فلقد كان المكان الجزائر، *والزمان 1905م، والرُّواد هم أساتذة وباحثين من مختلف المعاهد . والجامعات

حضَر المؤتمر أكثر من500 شخصية (أساتذة وباحثين ومؤرخين..) وتناولت مواضيع مختلفة في السياسة والاستعمار، وفي الآثار والمناظر، و الانتروبولوجيا والتاريخوغيره، وما يمكِنُنا تأكيده من خلال تصفُح ما جاء في المجلة الإفريقية حول هذا المؤتمر، نجد فيه نظرة سوداء للشعوب، وخاصة عندما نتكلم عن الاستعمار والسياسة واللغة والتاريخ..وهذا لا يعنى تجاهل مضامينه بل بالعكس إنَّ دراسة تقاريره وتفاصيله لشيء بالغ الأهمية، بحيث لا يزال ينتظر الطرق والبحث بطرق مختلفة، ليطفو على السطح بأفكار ومعطيات يستفيد منْها الجميع، وخاصة باحث الاستشراق. وقد تنوعت مواضيع هذا المؤتمر وأغلب ما دار فيه ما يلي: الفن، الآثار الرومانية، اللغة العربية والبربرية، أحوال الشَّرق(الأقصى الأدنى) اليونان، الاستعمار الفرنسي، النحت، حضارة الهند، اللغة السريانية ...

أما المحاور التي تطرق لها المؤتمر جاءت على النحو التالي:

الوحدة الأولى: الهند وإيران - تقديم الأستاذ لويس من جامعة الهند. الوحدة الثانية: اللغات السامية - تقديم الأستاذ ا

* استعان المستشرقون بأهل اللسان العربي في تحرير النصوص والمقالات وفي إصدار التقارير والأحكام، ويذكر الدكتور محمود محمد الطناحي أن الاستشراق استفاد استفادة بليغة من أفداد العلماء الغرب أمثال " أحمد تيمور،أحمد زكي باشا، محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي بمصر، والشيخ طاهر الجزائري في دمشق، وحسن حسني عبد الوهاب في تونس،وابن شنب في الجزائر..راجع مدخل إلي تاريخ نشر التراث العربي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي،1984، ص224.

س. ورروليفي أستاذ محاضر بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.
الوحدة الثالثة: اللغات
الإسلامية - تقديم الأستاذ الجزائري محمد بن شنب. الوحدة الرابعة: مصر، اللغات الإفريقية مدغشقر - تقديم الأستاذ ا. ليفيبر أستاذ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر.
الوحدة الخامسة : الشرق الأقصى- تقديم الأستاذ ا د. شافاناس عضو جامعي وأستاذ بمدرسة فرنسا.
الوحدة السادسة: اليونان والشرق – تقديم الأستاذ
أل.فاسليف أستاذ بجامعة جوليف (دوربان) الوحدة السابعة : الآثار الإفريقية والفن الإسلامي – تقديم الأستاذ ويليام مارسيه. مدير بمدرسة الجزائر.
*
مجموعة أبحاث مدرسة اللغات الشرقية – تقديم الأستاذ ف. ماكلير.عضو بالمكتبة الوطنية. * مجموعة أبحاث مدرسة الآداب بالجزائر – تقديم الأستاذ ق.دموبينس سكرتار بمدرسة اللغات الشرقية.
* مؤتمر المجتمعات المعرفية -
تقديم الأستاذ بول. المحرر الرئيسي للحكومة العامة بالجزائر. * مؤتمر التعاونية الاستعمارية تقديم الأستاذ ل. مورارد محرر الحكومة العامة بالجزائر والأمين العام لمؤتمر التعاونية الاستعمارية .
* معرض الفن الإسلامي - تقديم الأستاذ ق. مارسيه.
* معرض وثائقي بالصور والرسومات- تقديم الأستاذ بول ديلوم . المحرر الرئيسي للحكومة العامة بالجزائر.
* معرض الفن ما قبل التاريخ - تقديم
*التعليم العالي في •الأستاذ ل. باسه . محافظ شرفي.
الجزائر- تقديم الأستاذ لويس باولي

أ- محاضرة بعنوان: الهند وإيران للباحث لويس بوسين.

أنا متأكد من أنَّه لا أحد من الهنديين المشّاركين في مؤتمر الجزائر العاصمة يتأسف على تصدي تلك العاصفة (؟) وكما لاحظ السَّيد "بيلي" بأنَّ

• لمزيد من التفصيل و الإيضاح لما جاء في هذا المؤتمر، يراجع المجلة الإفريقية، عدد 1905م رقم 49. كما أني قمت بترجمة بعض المحاضرات والندوات معتقد أنني جانبت الصواب ونفضت الغبار على بعض ما جاء فيها.

اجتماعاتنا هذه دليل على حُبنا لِعملنا وعلاقاتنا، فامتلاك المدينة والمناظر والنباتات، ليس بالشَّيء السّهل بالنسبة للانجلوهنديين. * المؤتمرات ليست مُحكمة التنظيم للعمل فيها،خاصة الهند الذي يحوي عدداً كبيراً من الأنظمة التي تهدف إلى توضيح كل الاتصالات والعلاقات بيننا، والأبحاث التقنية تقتضي قراءة جيدة وكتباً مرجعية، والأسئلة محددة بنّظام لكل متحدث من المتحدثين،إذْ أعطى المؤتمر شيئاً من وجهة نظري عملاً يجب اعتباره ثروة جيدة، ولكن قبل كل شيء علينا التّوقُف عند كل ما هو مُهم، المُهم هو المقابلة التي جرت في ظروف سعيدة، حيثُ كان اللّقاء خمُاسياً وجِّدُ فكري لِرجال كانت آرائهم على نقاط مختلفة؛ ولكنهم مُنشغِلون بالقضية نفسها، قضية حضارة الهند. لقد وضَّح السيد م.أ. ويندیش في خطاب لاقى اِستحسان الجمهور وهو التضامن المطلوب والسَّهل للعمال الذين يمشون على أثار أسلافهم: تضامن يتحول إلى أُخوة، ومن المتعة اكتشافُ ذكاء الرجال ذوي المؤلفات المتنوعة، فالذِّين لا يريدون تضييع وقتهم استطاعوا تعلم الكثير من الأشياء في الباخرة أو في الحافلة، بيد أنَّ لقاء الجزائر العاصمة لاقى اهتمام الأوفياء للدراسات الإسلامية والممثلين للدراسات الهندية.والآن نُوْرد بعض الأسماء التي شاركت في هذا المؤتمر:

من إيطاليا M.PULLéومن أمريكا M.BLOOMFILELD

PISCHEL, BARTHOLOMAE, ومن فرنسا M.E.SENART

ومن ألمانيا والنمساKUHN, MMKICLHOM, KIRSTE

LEFMANN, SCHERMAN, ومن روسيا,DIN ,

ومن CAINOY, MM.COLINETوانجلترا

بلجيكاMM.ARAKELIAN,

MM.FLEET, SIR RAYMOND WEST, SIR CHARLESLYALL

MACAULIFFE, ومن الدانماركM.CHISTENSEN.

F.W.THOMAS,

وتناولت هذه الوحدات معلومات هامة وبحوث قيمة زاد من تعميقها السَّادة م.رابون م. لويس قراي، م. قسارسيكو[1].

ب- محاضرة بعنوان: مصر، اللغات الإفريقية مدغشقر للأستاذ أ.لوفيبير.

لقد جمعت المجموعة الرابعة لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر 1905م عدداً معيناً من الأعمال التي شكلت موضوعات هامة، في حين أنّ

1- Louis poussin. Congres internationale des orientale –inde -Iran .R.A Alger.1905.p303..308

الهدف الأساس الذي كان ينبغي أنْ يصلوا إليه، هو الإجابة عن بعض المطالب المتمثلة في: مصر، اللغات الإفريقية ، مدغشقر. * مداخلة السَّيد الدكتور شارل وسلي الذي عرض وسيلـة تطبيقية مُتمثلة في معاني الأسمـاء المحلية والتي نجدها في نصوص العهد اليوناني، وقام أيضا بجمع هاتـه الأسمـاء التي تشير إليهـا النُّصوص من لغـات مختلفـة على أساس إنها متقـاربة في المعنى (ملاحظة ممنهجة لدراسـة الطبوغرافيا المصرية في العهد اليوناني). من جانب آخر قام السَّيد والدمارشميد بسَّرد الأماكن المختلفة خارج مصر، أين وجد شواهد مصرية غالبا من العصر..... (؟) والتي يجب المحافظة عليها حتى لا تختلط مع شبيهاتها الفينيقية وتفتقر الجزائر إلى الشَّواهد المصرية وهي تمتلك أيضـا جزء من التمثال الملكي من الغرانيت (صخر) أسود موجود بشرشال يعود لحقبة زمنية مهمة، ويمكن أنْ نجَّد هنـاك تمثالا يعود إلى "ابيدوس" حسب بعض النُقوش الحجرية التي تعود لهذا الملِكُ، ولقد كتب عن ذلـك "جاك دورجي" (الأشياء الآتية من مصر)، وكتب والدمار عن مختلف الأشكـال المصريـة لمختلف الإمبراطورية الفرعونية.

وتحدث السَّيد جورجيو عن أقدم المعالم، وعن الأحجار المهمة الموجودة بأوربا منذ وقت طويل لكن لم تُدْرس إلا حديثاً. ولم تُعطى أهمية كبيرة للغة المصرية حيث تعرض السَّيـد دروفت من جهته إلى تقديم حلول للمشاكل التي يتعرض لها المصري، وذلك عن طريـق دراسـة مختلف مسائل القواعد والمصطلحات اللغوية، وقد سَّاهم السَّيد لوفيير في شرح بعض الأسماء الجغرافية. ولقد تَّم التَّحدث عن علاقة مصر مع الشعوب الأخرى، وتحـدث السَّيد ويدمان عن معيشـة الحيوانات المحبوبة في مصر[1].

ج- محاضرة ثانية للأستاذ أ.لوفيبير: بعنوان دراسات اللغات الإفريقية البربرية. أعتبرت هذه الدِّراسة لها أهمية بالغة لا تّقل عن موضوع الآثار المصريـة، حيث تناول السَّيد جورجيو موضوع الكلمات المركبة التي تحتوي على اِسم ومُتمِم والتي توجد في اللغة الفرنسية وفي لغات

E. lefébure .Egypte. Langues africaines. Madagascar. R. africaine .Alger.1905.p.330...333-[1]

أخرى غير اللغة العربية.
نّجِد بعض الكلمات التي لها نفس النهاية تتحدث عن نفس المجال مثال ذلك: Logie وتعني العلم، فكل كلمة تنتهي بـ هي "علم".

Ecologie وتعني علوم الأرض.

وفيما يخص البربرية قدّم المشاركون بعض الدراسات اللسانية ذات الأهمية الكبرى، الأول حول اللهجة البربرية التي يتحدث بها بني سنوس والثاني حـول اللهجة الشاويـة في الأوراس
وتحدث السَّيد ديستانق عن اللهجة البربرية لبني سنوس، والتي اعتبرها وسيـط بين لهجـات الشّمال المنتشرة، ولـهجات الجنوب الضعيفة،كما أحصى الكلمات الضائعة هناك والتي تشكـل أصل هذه اللهجة.
ولقد تناولوا موضوع:
أسماء الأشجار بالشاوية (الأوراسية)، وبعض المصطلحات التي يجب مقاربتها بالتَّسميات القديمة التي نقلها إلينا الرومان، وهي وسائل مؤشرة لإعادة بناء اللغة الليبية القديمة، وفي هذه اللهجة هناك تسمياتُ بربرية تُطلق على النباتات البرية، وفي المقابـل تُؤخـذ أسماء النباتات الموجودة من لغات أخرى خاصـة العربية. وتحدث السَّيد قودروفوي عن المستندات التي تحصل عليها الدكتور"ديكورس" في مهمته سنـة (1903-1904) حول اللهجة العربية في الشـارع الجزائري، أين اِكتشف لهجات غربية وأخرى شرقية؛ بمعنى (المغاربية والمصرية) ودرس الدَّكتور ديكوري أيضـا اللهجات المحلية، أيـن وجد 35 مصطلح دخيل، وأشار إلى 16 لهجة موجودة وغير معروفة كثيراً.
وقام السَّيد كالاستي بالتعرض لمخطوط عربي بربري أكتشف سنة 1895م من قبل"ربيمي" ونُسب إلى الإقامة العامة بتونس، وهو مُسند مُهم لِدراسة اللُغة القانونية والدينية في العصـور الوسطي عند البربر، ويحتوي المخطوط على أجوبة لأسئلة مختلفة عن التطبيقـات المتكـررة: الزواج، الطلاق، الهجرة، العطاء...الخ
وتحدث السَّيد روبيى عن صور التقطها السيد "وكلاسنتيو" الذي اقترح دراسة النَّص بطريقـة مفصلة، وأشَّار إلى مصطلحات بربرية قام بتحديد دلالاتها وهي(مخطوط عربي- بربري بزواغة) وقام كل من السَّيدان ماقادور وجونستونر معاً بعرض شّعر مشهور"سيدي حمو" (وهو مُهم في جبال الأطلس الكبير) مثل (معلم الأغنية) و(معلم القصص الأخلاقية).وأيضاً شّعر "فاطمة تاقرانت" أي (فاطمة القديسة).

وأخيراً، قام السَّيد ديستان رئيس قِسم المستّعمرات، باقتراح لدراسة مُشكل – أصل الشعوب– وربط ذلك بمجال اللسانيات والانثروبولوجيا، وأشَّار إلى أنَّ هؤلاء السُّكان يمثلن بنية من غيرهم في نفس المنطقة التي يعشون بها، وأشَّار أيضاً إلى مختلف المؤلفين الذين تناولوا موضوع عرب اليمن القادمين من مصر إبان غزو الرعاة(؟).

وقام السَّيد شُوتر بأبحاثٍ أنتروبولوجية حديثة في مصر وقارنها بقبيلة "البجاهيين" والبربر كحرمان"(ربما هي قبيلة)؟. والواضح أنّ هذه الأبحاث العميقة هي الوحيدة التي كانت ستسمح بإعطاء نقطة الانطلاق لمِعرفة هجرة هذا الشَّعب ذو البنية الفيزيائية المميزة[1].

د - محاضرة بعنوان: الشرق الأقصى للأستاذ ا.د شافاناس.

لجنة الشَّرق الأقصى لم تكن مؤلفة إلا من ثمانية أعضاء المجلس، استمعت إلى المداخلات التالية: السَّيد م.هـ.كوردي قدم بعض النماذج من الكتب التي طبعت قديما في الصين وذلك في " كوتشيو" بواسطة الطبع على الخشب، وقد أستعملت هذه الطريقة في عدة كتب باللغة اللاتينية خاصة بالقواعد والنحو. في أيامنا هذه استبدلت طريقة الطباعة القديمة للألواح بطريقة جديدة تستعمل فيها الحروف المتحركة لطباعة الكتب الأجنبية بالصين، لكن كان من الضروري التحدث ووصف المحاولات الأولى للمطبعة السينو-أوربية، وقد ظهر عمل م.هـ.كورديني فى مجلة جويلية سنة 1905م ب"نيونغ باو".

مداخلة السَّيد: م.ب.بيليو تحدث عن الكتب الإسلامية الصينية، بعد أنْ دَّكر بالمعلومات السَّابقة التي يمكن إيجادها عند المُؤلِفين: "بالاديوس"،" ويلي" "دايريدي تييرسان" " ديفيريه" . وتحدث عن "تشيغ كياوتشان تسيوان" الصادر عن الكاتب"وانغ تايو" سنة 1642م. وقال هو من بين كتاب مسلمي الصين القدماء الذي وُجد لحِد الآن، هو أكبر الكتاب المسلمين الصينيين

عاش "ليوتش" في القرن الثامن عشر وكان يعرف جيداً الأدب الكونفوشي، ودّرس لسنوات كل من "الطواسم"و"البودية"، وكذا الكتب الأوربية التي أصدرها الرحالة والمنطق العربي الذي عمقه من الأصل، واستطاع أنْ يشرحه لمواطنيه المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون إلا الصينية.

[1] - E. lefébure .Egypte. Langues africaines. Madagascar. R. A .Alger.1905.p.331....332

واستطـاع كليمون هورات أنْ يتعرف على68 عنواناً، وذلك بعد استعـانته بالترجمـات الصينية وتعرف على قائمة المكتبة العربية والفارسية عند المسلم الصيني.

وتمكن م. ف. وك مولر أن يفهـم أجزاء من المؤلف السورياني الـذي اكتشف من لـدُن رحلة "غرونويدل" في منطقـة "تورفان" واستطـاع أنْ يكتب من جديد الحروف المؤلفة لِلُغات "البيهليقية" و" البورية"، وبرهن على وجـود الأدب "المانيشي" الذي كان يُعتقد أنّهُ قد ضـاع. واستطاع السيد م.موراكاة الاهتمام بحملة "خوبيلاي خان" ضد اليابان، واهتم بالتطور الهائل للعلوم التاريخية في اليابان، وقدّم بعض المؤلفات الحديثة التي تبين هذا التطور.

وقدم السَّيدتان شاي فوا قـراءة أجزاء من أثار الصين "تشان تينغ" الذّي ألّـف كتاب حوالي سنة 1667م يصف فيه مراسيم زفافه من اِبنة أحد رؤساء القبائل "الابورجان"، وتكمن أهمية هذا الحادث، في أنَّها تبين لنا وتعطي لنا معلومات دقيقة حول عادات شعب ينتمي إلى"التاي" ووصف السيد م.هـ. شوقاليه دِراسة طريقة بِناء ضريح ملك كوريا "هيان تسونغ "1849م ولاحظ التشابـه بين هذا الضريـح، وبقـايا الإمبراطوريات الصينية التي تنتمي إلى العائلـة المالكة"ميغ".

واستطاع السيد شاقاناس أن يضع بين أيدي لجنة الشَّرق الأقصى، بعض النتائج التي توصل إليها في دراسـة الراويـَّات الهندية القديمة، والتي أدت به في الأخير للقيام بتشبيه بينهـا وبين بعـض القصص لـ "جوندولافونتين" الفرنسي، وهي حكايـات تستعمل الرموز، وتحكي في أغـلب الأحيان "حياة البشر"، وترمز لها بلسان مختلـف الحيوانات، وهذا النوع من الروايات قديم جداً قدم التاريخ البشري.

وأخير، تحصلت هذه اللجنة على ثلاثة مخططات لم تُقرأ بعد، تتناول قصة "المغول" والشعوب الأوربية "الماووس"[1]

هـ - محاضرة بعنوان: اليونان والشرق.

قدّم السّيد ويسلي مُحاضرة يستعرض فيها الآثار الإغريقيـة، التي تم العثور عليهـا، وهي كتابات لأسماء نباتات إغريقية بالخط العربي في مخطوط قديم لـ"ديوسكوريد" من تاريخ512م وقّدم السّيد فركُون عدّة معلومات عن الجغرافية التّاريخية لآسيا الصغرى في محاضرة جِدُ مُهمة في التقويم

[1] - ED.CHAVANNES.EXTRèMe-Orient. Revue africaine .Alger.1905.p.334..336

السِّرياني لـ"لجوزوويه لوستيليت"، واستعرض وصفاً لِدمار مدينة نيكوبوليس سنة 499م التي يُعتقد إنّها مدينة فلسطينية وذلك حسب دراسة شاملة للمصادر التاريخية السريانية الإغريقية...

وتُوجد مخطوطات أخرى من كتاب "محبوب اغابيوس" في القدس وأكسفورد، وتعْرِض هذه المخطوطات قصة بيزنطة والخليفة وخاصةً في فترة انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسين ويّنوي السّيد فازيليف نشر هذا النص وترجمته إلى الفرنسية.

وعرض السّيد "توتان" نتائج أبحاثه حول عبادة الإلهة المصرية في "ديلوس" بعد سلسلة طويلة من الكتابات المنشورة تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وقدّم السّيد كرتشمور محاضرةً مفصلة حول تشكّل اللغة العامية في عهد الدراسات الإغريقية ، وعرض بذلك أمثلة جديدة ترتكز عليها نظريته،وأكّد إنّ هذه اللغة ليست لاتينية بل تأثرت وبشّدة باللهجات الإغريقية الأخرى. وحاضر السّيد كرومباشير في موضوع مهم تناول الشرق والحضارة البيزنطية، وعبّر بأنّه منذ أقدم الأزمنة لعِب المشرق دوراً هاماً في تاريخ اليونان، وبخاصة بعد احتلال الكسندر الكبير. فهذه الحضارة الاغريقوشرقية حضيت بمكانة متفوقة في إمبراطورية بيزنطة، بينما تحولت أثينا إلى مدينة إقليمية ، وأصبحت القسطنطينية مركز للحياة الثقافية ، ومن هنا انتشرت بعض العناصر الشرقية في أوريا لمدة ثمانية قرون الأولى بعد الميلاد، لقد كان أغلب الكُتاب الاغريقين من مصر، وسوريا، وآسيا الصغرى، إذْ يمكن لنا ملاحظة هذه الكتابات المشرقية في الحضارة البيزنطية، وتلك التأثيرات المتفوقة للحضارة الشرقية[1].

و- محاضرة بعنوان: أثار إفريقيا والفن الإسلامي للأستاذ ويليام مارسيه.

انعقدت الجلسة في إحدى قاعات معرض الآثار الجزائرية القديمة، والتي وضعت تحت تصرف مسؤولية المؤتمرين، وتّم انتخاب الرئيس ماكس فان برشام رئيسا لها. قدم الرائد كود شوفت من خلال الندوة جملة من المقارنات بين الاستعمار الروماني والاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث صرّح بأنّ الرّومان كانوا يعاملون الأفارقة والإفريقيين على أساس أنّهم عبيد الإمبراطورية، وبعدما احتلت وأصبحت ملكاً وثروة للحكام

[1] -AL.VASILIEV. Grèce et orient .R.A. NUMERO.49.Alger.1905.P.337..339.

والأباطرة الروم، كان لِزاما عليها أنْ تُزّود روما بالقمح والماشية ومختلف المنتوجات.   ولكن بمقابل هذا، يمكننا التسائل هل كانت روما كانت تمنح الأمن والاطمئنان للسكان الأصليين؟ فالجواب لا، لأنَّ ثورات الشعوب الأصلية، وضعف السلطة المركزية لرُوما، وكذا الثورات الدينية، هزت إفريقيا باستمرار، أضِف إلى أنَّ إفريقيا كانت عرضة للغزو الجرماني والبربري، كما إنَّ هذا الاستعمار الذي نحنُ مُعجبون به خاصة بحصونه القديمة اِستغرق أكثر من أربعة قُرون لامتلاك إفريقيا وشَّعبها داخل حصونه ومدنه المتخندقة،ومن السَّهل علينا نحن الفرنسيون مقارنته بما أنجزناه في ظرف 75سنة فقط، حيث لا يمكننا المقارنة بين ما فعلته روما وبين ما تفعله فرنسا. وإن فرنسا لا تتجاهل الأرض المأخوذة من أصحابها ، كما فعلت روما ، ولا نحُدد وحدة الجنس الأصلي ، ولا نرفض العرب ولا الأمازيغ ، ولا نُريد إقصاءهم عن أوطانهم بل نحن نعترف بهم وبحقوقهم وليسُوا عبيداً عندنا [1].

ز - محاضرة ثانية للأستاذ ويليام مارسيه بعنوان: الجمل في البلاد الإفريقية.

هذه الحجة اللسانية مُثبتة في التّاريخ، حيث إنّه خلال الحملات العسكرية الرُّومانية على بلاد إفريقيا لم يُشاهدوا أي أثر لهذا الحيوان، لقد رأوه فقط في آسيا الصغرى خلال حروبهم بها ضد الفرس ، وعليه فإنّ ذِّكر هذا الحيوان عند الكتاب الرُّومان القدماء قد وُجِد في بعض النقوش الأثرية في إفريقيا، ولم تكن إلا حدثاً استثنائياً ؛ أي إنّ هذا الحيوان لم يظهر إلا في مناسبات قليلة جداً ،"هذه النّماذج القليلة مِن الجمال لم تكن تُري إلاّ مرة في القرن، كانت تأتي من المشرق وحافظت على تسميتها السامية في اللغة الرومانية "

ولم يُلاحظ البربر(الأمازيغ) هذا الحيوان بكثرة إلاّ عند فتح الغرب ، والذي كان يمثل بالنسبة لهم شيئاً مألوفاً جذبهم بمعطياته الفيزيائية الغريبة عنهم.

وبعد هذه المحادثة قام السيد فلاموند بمجموعة من الملاحظات تخص بعض الصور للجمل (أحادي السام) كراكبة، وحامل الأثقال مأخوذة من بعض الصخور في جنوب وهران، والصحراء ، كما فسّر مذكرة تحت عنوان "الكتابات والنقوش الأثرية البربرية في إفريقيا الشمالية" ، وأعطي ملاحظات جديدة حول العمر النِّسبي لهذه الآثار، وكذا مُميزات الكتابة والعلامات التي أخذت من الكتابات الأثرية ، حيث أثبتت الاكتشافات بأنّ هذه البحوث والكتابات على الصخر ترتبطُ بعصور مختلفة، وأنّ بعضاً منها يمكن تشبيهه

[1] -WILLIAM MARCAIS. africaine et art musulman. R. A. .Alger.1905.p.340..343 -

بتلك التي في جزر الكناري (اسباني) والتي تعود إلى الرحلات القرطاجية (حوالي القرن الخامس قبل عصرنـا).

وحسب ذات الشخص فإن للاستعمار حقاً في استغلال الأراضي ولكن" الأرض الإفريقية ليست أبدا إقطاعا ولا نسعى لخلق إقطاعيين".

واِستأنف حديثه بالكلام عن الجزائر وتونس وقال: إنّ استعمار الجزائر وتونس الحاليتين يختلف عن ما كان في العهد الروماني، مبرراً في الأخير أهمية الاعتراف بما قدمه الاستعمـار الفرنسي رغم بعض الأخطاء البسيطة وكذا مسيرة الاستعمار الفرنسي أو بالأحـرى – حسب زعمه-الحضارة الفرنسية التي لها مستقبلٌ واعدٌ.

كما تميزت الجلسة بمداخلة ج.ب.م. فلامون و ليبوفر اللذّين عرضا مُذكرة حول دخـول الجمل إلى إفريقيا الشمالية (مصر)، و كانت خُلاصة هذه المذكرة إنّه لم يتم إدخال هذا الحيوان إلا عن طريق الاستعمار الأجنبي وبصفة منتظمة ابتداءاً من غزوة الأشوريين في القرن السابـع قبل الميلاد ، ولقد كان يُمثل الجمل عند المصريين القدماء وكذا اليهود حيواناً ماسخاً(غير نقي) .... لقد كان من دون شك راكبة أعدائهم العرب .

ومن جهة أخرى قدّم رئيسه مذكرة تحدث فيها عن الجمل عند الأمازيغ حيث خلُـص في الأخير إلى أنهم لم يعرفُوا هذا الحيوان إلاّ من خلال العرب، أما تسميتهم له في الأمازيغية فهـي مُقترضة من العربية ،"نعم"وهو ما يُفسر عدم معرفة هذا الحيوان وعدم وجود كلمة أصلية له[1].

ح -محاضرة ثالثة للأستاذ ويليام مارسيه بعنوان: الفن الإسلامي.

قد استمع الحضور لعدة مُداخلات حول الفن الإسلامي اِستهلها المستشرق جورج مارسيه الذي قرأ مُذكرة بعنوان الأشكال الزخرفية لمسجد قرطبة وأكبر مساجد المسلمين في اسبانيا، حيث بد مِثْل ورشة خرجت منها عدة أشكـال زخرفيه أسست فيما بعد الفن الزخـرفي في المورسكو.. وقد تنحدر هذه الأشكال من الأشكال البيزنطية التي بدورها جُلبت من الفـن المسيحي،فيها أعمدة مُتوجة تحمل ركائز المسجد،وطريقةُ زخْرفتِها شكلت تطوراً منطقيـاً للأعمدة المورسيكية .

كما عرض الدّكتور **سار** الأستاذ في برلين مُداخلة حول الفن المعماري الإسلامي ببلاد فارس، وخلال كلمة افتتاحية أقر بأنّ

---

[1] **WILLIAM MARCAIS. Archéologie africaine et art musulman. R. A .Alger.1905.p.341**

الدِّراسات تتركز حول عدة رحلات قام بها في بـلاد الإسـلام وبالأخص في بلاد فارس (إيران).

وأكّد إنّه استكشف المعالم الأثرية الإسلامية من دون أنْ يستثني بقايا معابد الفارسية القديمة، أي النحوت الصخرية الموجودة على جدران القصور الساسنية والفارسية القديمة. كما فسّر **سار** كيف أثرت الهندسات والفنون القديمة على الفن الإسلامي الفارسي، خاصـة الساسانيون، وقد ظهر ذلك في تهيئة وتكوين المساجد والمـدارس (أبوابها، أقفالها وقبابهـا). فإذا كان هذا يُمثل المادة الأساسية للبناء في بلاد فارس، فإن الزخرفة تمثل عاملاً مهماً فيها أيضا ، حيث كانت الألواح المبرنقة والألوان المختلفة أحد مزياها .

ووصف سار التطور الملحوظ للزخرفة والهندسة التي عايشت العصر الوسيط، واستمـرت إلى يومنا هذا وتغيرت من زمن إلى آخر، وشمل هذا التغير نواحى تقنية وفنية (الإحساس الفني). وقد ظهرت فُنون مُرتبطة بالزخرفة والبناء حيث تمكنت من تلبيس (البرنيق) الألواح ذات اللون المعدني والفسيفسائي (الفاخورة) ، وكانت الزخرفة الفارسية بذلك في غاية الروعة ممّـا جعلها تكتسح جميع أقطار الأمة الإسلامية، بل وصلت إلى آسيا الصغرى والهند . وليضفي على دراسته (ستار) وضوحاً أكثر استدل بـ (استيديوتيق) معنوية التي تعني أثـار الهندسة الفارسية. والتي تُبين الألواح المُلونة والمنقوشة.

وفى آخر الجلسة قُدمت الكلمة للبروفيسور بوسين بيراين الذي أثبت إنه طور فلسفة الفن الإسلامي الزخرفي (الأرابيسك)، وقال إنَّها لا تنقل الطبيعة، إنَّها هندسية ولكنّها بعيدة كـلّ البُعد على أنْ تدل على مجرد قواعد رياضية، بل هي بالعكس انعكاس نفسيٌّ خاص بالعـرب الأوائل انساق وراء التجريد ووراء الروحانية الدينية (الصوفية) والفنية من أجل تأمل الصحاري الواسعة والعارية، أين كانوا يعيشون، وقد يوحي فن الأرابيسك بفكرة الامتداد والرجـوع إلى مالا نهاية، حيث إنّه تظهر من التوحيد وتتفرع إلى نواحٍ عديدة، ولكنّه يعود إلى نقطة البدايـة مُمثلاً بذلك، الارتياح الصوفي، وعليه فإنَّ الأرابيسك يُمثِل تفسيرً عينياً لِعلم النّفس السامي[1].

---

[1] **WILLIAM MARCAIS. Archéologie africaine et art musulman. R. A .Alger.1905.p342/343**

ط- مؤتمر التعاونية الاستعمارية: الجزائر- تونس 1905م بقلم الأستاذ ل.موراردِ

حضرت المؤتمر كوكبة من الرجال ذوي القلوب غير القابلة لتوجه الحركات السياسية والأحزاب السياسية، إذْ أنَّهم يُتابعون دون انقطاع أو عجز الأعمال العظيمة التي تحدد المجتمع العصري، وذلك عن طريق الإلمام بكل النوايا الطيبة التي تدعو إلي العدل والإصلاح فهم يُضيفون إلى حُبهم الكبير للإنسانية علماً مُعمّقا للعقليات والطموحات المتحررة المناهضة، ويعتقدون أنَّ الاتحاد يعتبر أقوى مصدر للقوة الاجتماعية، وأنَّه يزول عندما يكون في مصلحة الواحد أو البعض، ويكون مجسداً إذا اِكتساه التضامن والفضيلة في إيجاد حلول كبرى للمشاكل الإنسانية التي تتزايد عددا وصعوبة يوميا.

"الجميع للجميع، والفرد للجميع"، كان ذلك الشّعار الشريف الذي ردده كل اللورتيين والكافين والمابيلور والبرابرة، ففي كل مكان حر (البلاد النائية- الجزائر-) تكون في يد فرنسا وتحت حمايتها، والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل هذا يعني أنَّ التعاونية كانت غير موجودة في المستعمرات ومن بينها الجزائر؟ ما من شيء يثبت عكس ذلك، ربما تقدُم طرق متعددة في شكل جمعيات متضامنة أو في شكل تنظيمات التعاون في النظام السياسي، دون أنْ ننسى التعاون الراسخ في أخلاق الشعوب الإسلامية، وهذا قبل الاستعمار.

ألا يمكن اعتبار القرى القبائلية مظهراً شاهداً من مظاهر الترابط بين الأفراد،ونضرب مثالا على ذلك قبيلة "التاوسة" التي تُقدم مِقداراً مالياً للمحتاجين، ومصدر المصاريف يُتحصل عليها من أي مناسبة - حدث عائلي- (ختان، رفاف، جنازة..). ألا نجد هذا في مجموعة من مجتمعاتنا التعاونية الأكثر كمالا ؟ ومن جهة أخرى فإننا نعرف مجتمعات الأهالي الرائعة بخصال السَّلف، والقرض التعاوني، حيث جُمعت في أقل من عشر سنوات مبلغا يقدر بـ مليون ومئتي ألف فرنك بدون فائدة وبدون رباً.

يسمح فائض هذا الكسب المُخزن في صناديق الدولة، بتصور المستقبل بأمان، حيث يتزودون بالغذاء والدواء خشية الفقر والمجاعات المدمرة التي عاشتها القبائل المختلفة والمتلاحقة

ويسمح هذا الصندوق المالي بمنح قروض في عدة أماكن وهذا حسب الطلب،كما يسمح بتقديم المعونات للفلاحين لشراء العتاد، وكي يضمنوا زيادة إنتاج الأرض ومردوديتها وبهذا يحققوا الاكتفاء الذاتي وتتحسن المعيشة.

وفي الأخير ما من أحد يجهل وجود مؤسسات تعاونية عديدة، مُسرح لها، حُرة، ومُستقلة في المستعمرة، وبالأخص في المدن سواء كانت جمعوية أو ودية همُّها مواساة البؤس الإنساني بالود والتضامن. وترجع أسباب ضعف إمكانيات العمل في التعاونية إلي فقدان دورها بصفة كاملة وإلى تبعثر جهودها وذاتية قرارها وأحادية العمل فيها.

لقد تابع محبو البشَّر البارعين (فرنسا) هذه المبادرة لتحقيق هدفٍ مزدوجٍ من خلال حثّهم على عقد مؤتمر للتعاونية الاستعمارية والغرض منه:

1- دراسة مختلف الاحتياجات الاجتماعية لمختلف العوامل العرقية للأملاك فرنسا. 2 - دراسة الطرق والوسائل لتوفيرها..الخ أظهرت التقارير والمراسلات المقدمة للسلطات المستعمرة، أنَّ المؤسسة التعاونية تعمل على جعل كل "قلب فرنسي" حساساً واعياً بهذه المسؤولية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، ثار جدلاً كبيراً في جلسة المؤتمر حِين أضاءت بنور ساطع القضايا الاستعمارية والاستعمار وقضية الأهالي، وفي الحقيقة اِنصب الاهتمام على القضايا الإسلامية، وعلى السبب الذي منع المستعمرات الآسيوية والأمريكية من إرسال نواب إلى المؤتمر.

وجوهر الكلام هو إنَّه طاب للمؤتمر- وأنى له أن يكون غير ذلك - أنْ ينصح بتطبيق واسع لمبادئ التعاونية، بِغرض تحسين الأوضاع وعلاقات الأفراد، مِن مختلف الأجناس الموجودين في إتصال دائم على أرضية مستعمراتنا.

كما أثار موضوع آخر انتباه الحاضرين بالمؤتمر، وهو التعاونية العسكرية، إذْ أننا نعلم أنَّ كلا من وزارة الداخلية، ووزارة الحرب اتفقتا على خلق مؤسسة نجدة تعاونية (كتيبة)، والتي من خلالها تتغلغل الفكرة التعاونية إلى قلب الوطن، وبالتَّالي يتم صُنع آخر حلقة من السلسلة التعاونية؛ أي قبل ميلاد الطفل يتم وضعه تحت حماية التعاونية بواسطة "التعاونية الأمومية" وبالتَّالي سيترعرع في وسط إجتماعي درامي (الأطفال الكافين)، وبعدما يصبح رجلا ويدخل المجتمع الكتيبي لكي يلتحق بعدها في مجتمع الكبار، أين يوظف حتى التقاعد ويصبح تابعاً لهم مؤتمراً بأمرهم ومنتهياً بِنهيهم.

فلنلتزم بالتَّذكير أنَّ نجاح هذه الجلسات الأولى يرجع بنسبة هامة إلى الرّئيس المميز للمؤتمر السَّيد: أليزار- الرئيس المُخلص للجنة التنظيم

الجزائرية- والسَّيد النشيط دوبون وهو الآخر مُعرب مُتميز نائباً لـ:موليون ، فكان رُوح المؤتمر وقارئ "المجلة الإفريقية" المعروف بأنَّه مُؤلف لكتاب مميز حول "الأخويات الإسلامية"[1]

ي- محاضرة بعنوان: مؤتمر المجتمعات المعرفية:

سوف نُلخِص قبل كل شيء المداخلات التي تتعلق بعلم البليثنولوجيا ونُدرجُها ضمن جدول الجغرافيا التاريخية والجغرافيا الوصفية.

عرض الأستاذ أ. فلاموند

نتائج أبحاثه متعلقة بنقوش صخرية مكتشفة حديثاً في مواقع صخري (كتابات ورسوم (Libyco-berbères).

والنقطة الثانية التي تطرق إليها أ. فلاموند بالتّعاون مع أ.العقيد لاكير حول مُلخص أبحاثهم في الصحراء ما قبل التَّاريخ، وأوصى الحاضرين بزيارة مجموعة أثار العصور الحجرية القديمة والآثار النيوليثية الغنية التي جُمعت من قبل هذان العالمِان في متحف الآثار الجزائري. ويُّؤكدون أنَّهم وضعوا حتى الآن المسلمة التالية "كلّما تقدمنا في الجنوب كلّما كانت الأشكال أكثر وضوحاً. إنّ الأشكال الأكثر خشونة تبقي خصوصية البلاد العُليا".

لقد أعطت محاضرتهما نقاشاً ذا أهمية كبيرة خاصة فيما يخص أثار الحدود الشّمالية والجنوبية للصحراء، فكان فلاموند واحداً من المسَّاعدين الرئِيسين في الأعمال المُقدمة والتي رعتْها الحكومة العامة، حيث لخّص كتاب تحت عنوان "بلاد الكبش" وقد أعطى بعض التوضيحات المتعلقة بمعالم أرامية على شكل رأس بُومة صماء آتية من أقصى الجنوب الجزائري.

وقدم أيضاً الأستاذ دوبروج من مؤسسة الآثار بقسنطينة بحثا ًطويلاً يتعلق بالمرحلة الانتقالية من الحجارة إلى الحديد في إفريقيا الشمالية، وعرض أثار التنقيب التي قاما بها في محطة صيد واقعةٌ على بعد بضعة كيلومترات من مدينة عنابة في طريق المنارة الكبرى المتركزة على جبال العليا لغورايا .

وقدَّم السَّيد أ.روبير من مؤسسة قسنطينة للآثار دراسة بليثنولوجية متعلقة بالبلديات المختلطة التي كان يديرها، وقدَّم نظرة موجزة عن طبوغرافية المنطقة ومفاهيم عامة عن فترة ما قبل التاريخ، وتطرق إلى ثلاثين مرحلة منها أين اكتشف بجانب هذا قطع صوان مقطعة، أسلحة، وأدوات جيرية تحمل بعضها رسوماً رُسمت بيد الإنسان، والتي وجد فيها أشكال صيادين وحيوانات. وقد وجد في محطة علاول في دوار سيدي مبارك ثمان أحجار منقوشة.

---

[1] -L. MORARD. Congrès la mutualité coloniale. Revue africaine .Alger.1905.p.376...379 -

لقد قدمت هذه المحاضرات ودارت مواضيعها حول دراسات المجتمع التاريخي متعلقة بإفريقيا الشَّمالية مع فصل في علم البليثنولوجيا، والمعالم التاريخية الأثرية المختلفة واستفاد الحضور من مضامينها ومحتواها البليغ[1].

رابعاً: مصير الاستشراق أمام الدارسات الجزائرية :

إنَّ جُلّْ الدِّارسات الاستشراقية المتعلقة بالجزائر، كانت تهدف إلى تسويغ الوجود، وهي تُؤكدُ دائماً بأنَّ الاستعمار الفرنسي مرسومُ تنفيذي ضروري الاستّعماري•جداً يحكم

على أنّ المسلمين غير مُؤهلين سلفاً لاستغلال خيرات بُلدانهم، وأنَّ الوصاية عليهم وحدها كفيلة بالنهوض بهم، فقد قال الكاتب جيراردي برنيس "إنّ دور الاستعمار يصُبح جليلاً شريفاً إذا كان غرضهُ تنمية الإمكانات الاقتصادية، والخيرات التي وفرتها طبيعة هذا البلد، ولم يتمكن العرب من إدْراك أهمِيتها ولا من إحكام استغلالها، وذلك لأنّ الإنسان المسلم كلّما اعترضه مُشكل من مشاكل الحياة، أوْجد نفسه أمام عقبة من عقبات الدّهر، تراه يتخاذل أمامها، فلا يتصدى لها بالعزيمة الضرورية الكافية، لأنَّه يرى في مشيئة الله، فيسلم الأمر إلى الظروف، ويستسلم لأمر الله، وبما أنَّ الأسبقية المطلقة لا يمكن أنْ تكون إلاّ لمشيئة الله على مشيئة العبد، فإنّ الذي لا يستسلم قد يتعارض مع الإرادة الإلهية.. "[2]

والجدير بالذكر، أنَّ المُستعمر أحلّ مُؤسساته الثقافية محل المؤسسات الثقافية الوطنية، فنجد المدرسة الفرنسية مكان المدرسة الجزائرية، ونجد الكنيسة مكان الزّاوية القرآنية، ونجد اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، ونجد وسائل الإعلام (الصحافة، الإذاعة، التلفزيون..) الفرنسية محل قنوات الاتصال الجزائرية؛ كما أدخل المسرح والسِّينما والنّوادي الثقافية محل دور العلم والحلقات الإصلاحية وتلاوات الذكر والصلاة..•

---

[1] Paul Delorme. Le congrès des sociétés. R. africaine SAVANTES .Alger.1905.p.352.354-

• وفي هذا الصدد يشير الدكتور مازن صلاح مطبقاني مدير مركز الدراسات الإسلامية الاستشراقية، بأن دارسي الاستشراق يؤكدون على أن الاستشراق الفرنسي الكاثوليكي هو أشد المدارس الاستشراقية قسوة وتطرفاً وعنفاً في الهجوم على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ولو رجعنا إلى المواجهات بين العلماء المسلمين والمستشرقين الكاثوليك في الدول التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي لأدركنا حجم الخبث الكاثوليكي الاستشراقي في هجمته على الإسلام، ويكفي مراجعة صحف ومجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر..لمعرفه معلومات عن هذا الموضوع راجع الموقع الالكتروني التالي :www.mazen.8m.com

[2]- مناهج المستشرقين، 1985، ص157.

• لقد ورثت الجزائر من فرنسا عدداً من المكتبات، منها المكتبة الوطنية التي تأسست سنة1835م، وكذلك مكتبة جامعة الجزائر سنة 1909م. وكانت أغلب هذه المكتبات متمركزة في الأماكن التي يكثر فيها الأوربيون، وغداة انتهاء الاحتلال لم تسلم هذه المكتبات من الحرق والتدمير والتخريب، حيث قامت منظمة فرنسية بإحراق المكتبة المركزية لجامعة الجزائر، أما المكتبة الوطنية فقد ضاعت اغلب كتبها بسبب السرقة والنهب..والمعضلة الكبرى هي قيام فرنسا بنقل الإنتاج العلمي والمعرفي من كتب ومجلدات ومخطوطات وحتى الأرشيف الجزائري أصبح في يد فرنسا وتحت مسؤوليتها(؟)

والملاحظ أيضاً أنَّ الإدارة الفرنسية لم تَكُن توظف من الجزائريين غير أولئك الذين تكونـوا على أيديهم وتحت إشرافهم، فكانوا مثلاً يضعون الحواجز أمام المتخرجين من المراكز العربيـة والإسلامية، ويُجبرون الشيوخ والعلماء والمدّرسِين على ترك تعليم اللغـة والأدب والبلاغـة وعلوم الشَّرع وتحفيظ القرآن.. وفَرضت عقوبة السِّجن على من يـخالف هذه الفـروض. فقد كانت الثقافة الفرنسية مفروضة على المواطنين في كل مكان؛ في الإدارة التي يتعامل معها كل فرد من المجتمع، وفي المدرسة التي يذهب إليها أبناء الجزائريين كـل يـوم، وفي الجرائـد والمجلات المنشورة، وحتى الشَّارع لم يسلم من انتشار عقلية فرنسا، واللّسان الفرنسي، ونجدها في عـادات وتقاليـد الفرنسيين بسبب كثرة المعمرين والضُّباط والجنود والإداريين، وفي نفس الوقت أضحت الثقافة العربية مُكبلة بالقيود، وصارت غريبة بين أبـناءها، أجنبية في وطنهـا، مُنتحلة أمام مثقفيها..

غير أنَّ بعض الكُتاب والدّارسين الجزائريين حـاول التعبير والاعتدال عن موقفـه من إدارة الاستعمار بالعمل على التأليف ودفع حركة الكتابة الوطنية أمثال ابن أبي شنب "وأسهم آخرون في الصحافة الوطنية وحتى الرسمية مثل الحفناوي بن الشيخ ومحمود بن دالي، ودعـا آخرون إلى اليقظة العلمية مثل ابن الموهوب والمجاوي، وانتقد آخرون التّدخل في شُؤون القضاء الإسلامي، مثل المكي بن باديس، بل إنّ ابن سماية مثلاً وقف باسم الدِّين ضِد تجنيد الجزائريين إجبارياً في الجيش الفرنسي"[1]

تنتهي القراءة الاستشراقية المعاصرة لتاريخ الجزائر، وبِنياتِهِ الاجتماعية ومُكوناته الثّقافيـة إلى النتيجة نفسها، وإنْ اختلفت طرقُ البحث ومناهجِهِ، وإنْ تباينت المسالك التي ينْفذُ منهـا بحثه وفكره، تلك النتيجة تحددها عبارة : إنَّ الجزائريين عرب وبربر، ومنْ هنَا فهمُ لسان العـرب، ولسان البربر يُسّهل اِحتوائهم والسّيطرة عليهم. فلقد كان منْ صميم الأعمال الاستشراقية، القضاءُ على اللغة العربية الفصحى، وذلك بمحاولة تفكيكها إلى عدة لهجات مختلفة، إمَّا بتشجيـع اللّهجات القديمـة كالبربرية في شمال شـرقي الجزائر، وإمَّا البحث في لهجة الطـوارق بالجنوب، زيادة على نشر الأمية بين الأهالي..ولجـأ الاستعمار أيضا "للترسيخ المدرسة التي هي في الحقيقة سلاح ضِّد كل ما تبقي من النظام التربوي والديني القديم، ويستخدمها كثيراً كتبرير إغلاق الزوايا"[2]

قلنا: إنَّ حالة اللغة العربية الفصحى أثناء وبعد الاحتلال كانت ضعيفـة واهية،لم

---

[1]- سعد الله، أفكار جامحة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988 ص 31.
[2]- جلول، عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث ، ط3، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1983،ص80.

تـرقى إلى المستوى المطلوب لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، ويُؤكد هذا واحد من الفرنسيين زار الجزائر وقال: **"**لقد رأينا رأي العين كيف أنَّ مليونيين من أبناء المسلمين لا يتلقون أي تعليـم على أي مقعد مدرسي، وذلك بعد أنْ بسط عليهم النِّظام الاستعماري رحمته طوال 125 عاماً، رأينا المسلمين لا يُشاركون في التعليم إلا على 10 بالمائة،وليس لهم في التعليم العالي إلاّ نحو3000 طالب، رأينا الأبواب العلمية كلُّها موصدة في وجـه المسلمين، وخرجنا من كل ذلك بنتيجة عظيمة : إذا كنّا في فرنسا نجهل معنى العنصرية ، فإنّ العُنصرية في القطر الجزائري هي القانون الرسمي المعمول بـه، لقد خرجنا بحقيقة لا غُبار عليها، ألا وهي أنَّ الدولة تعمـل على قتل اللغة العربية وعلى تحطيم الدين الإسلامي وعلى تجهيل الأمة**"**[1]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ضُعف الثقافة الجزائرية في أوائل القرن الماضي، لم تُساعـد الجزائريين الدفاع والتّصدي لمزاعم الاستشراق، علماً ومنهجاً، أو الرّد عليه بتصحيح وتصويب أخطائـه،
بل كان عالموا ذلك العصر من ذوي العلوم •. ولابد مِن الاعتراف أيضاً بأنّ الشرعيـة النقلية
الاستشراق كان هادفاً إلى تنظير الاستعمار، حيث وقف أمام حقيقة تاريخية مُتمثلة في وجـود مُعارضة نخبوية ومُقاومة شعبية خاضها الشعب الجزائري دامت قرناً وربعاً من الكفاح، كمـا عمِل الاستشراق الفرنسي على تفعيل الثُّنائيات التي سعى إلى أنْ يُصيّرها أضداداً وقنابل قابلـةً للإنفجار، وتَّم لهُ ما يُريد من التّفرقة وبثِّ الخلاف، وله في هذا الصّدد تجربة مع بلاد الشَّرق، حيث تعددت الأثنيات والأديان، وفي الجزائر أدت هذه السِّياسة إلى إحداث ثنائية: مسلـم/ مسيحي، عربي /قبائلي، لغة عربية /لغة فرنسية، متجنس/ اندماجي..

فواجب على الجزائريين أنْ يقوموا بدِّراسات متخصصة تتّصل اتصالاً مباشراً بالأمم الأوربية وتقابلُ عقلية الاستشراق، وتُجابةً دُروبه حتى يتمكنوا من معرفة كل أسرار خصومهم وطـرق تفكيرهم، وأهم أعمالهم المؤلفة، والمترجمة والمحققة..   ومن الأمور التي تُساعد على مُواجهة الحركة الاستشراقية هي الإكثار من التأليف المُوجه

---

[1]- **عبد الرحمان، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص.380**

• فاللغة العربية بمثابة وعاء للثقافة والتاريـخ ، وهي أداة رئيسية في عمليــة التطبيع ، إلا أن مجـال الثقافة يمـثل أهم ركيـزة ينفذ منها الاستعمار، ونجد أن الشعوب المستعمرة بعدما تتحرر من استعمارها أنها عادة ما تحـاول التحرر من التبعية الثقافية، بالإضافة إلى ذلك لا نستطيع إنكار دور الإرساليات التبشيرية في تحقيق أهداف فرنسا في المنـاطق العربيــة التي خضعت- للدولة العثمانية- تحت غطـاء ديني وتحت غطاء المؤسسات التعليمية الفرنسيــة، حيث عمـد المستشرقون والمبشرون إلى نشـر الثقافـة و الفكـر والعـادات الفرنسيـة، أو ما يسمي بالمنظمة الفرونكوفونية

والفرونكوفونية تطلـق على الشـعوب التي تتحدث باللسان الفرنسي وتقرأ الأدب الفرنسي وتعرف تاريـخ فرنسا وأعلامها وتترجـم أعمـال أشهر الكتاب الروائيين والمفكرين الفرنسيين إلى لغات مختلفة..

إلى الشُّعوب الأوربية للتعريف بالإسلام الصحيح، وبحضارته المشرقة، ويُصورها تصويراً يختلف عن ما آثره المستشرقون والمفكرون الغربيون.

ومن أبرز ما يُعبر به الجزائريون عن تاريخهم وتراثهم وطموحهم هي التعابير اللغوية وتتحدد قيمة اللغة بقيمة الأدب، حيث اِستطاع الأدب أنْ يُفقِه ذِهن القارئ العربي ويربطه من خلال كتاباتهم وقصصهم وقصائدهم بين نضال الثورة الجزائرية خاصة ونضال الأمة العربية عامة، يقول عبد المكنون "إنَّ دور الأدب في قضية الوحدة العربية دورٌ عظيمٌ، فهو الذي يُوحِد مشاعر العرب ويربط بين قلوبهم برباط التعاطف، ويوجههم إلى الوجهة الكفيلة بتحقيق مطامحهم وبلوغ أمالهم في السيادة والحياة الكريمة، وقد كان الأدباء العرب منذ فجر النهضة الأثر المحمود في إذكاء روح الحمية، والحفاظ لدى شعوبهم والتنديد بالاستعمار والتدخل الأجنبي حتى انتهي الأمر بتحرير البلاد العربية من السيطرة الأجنبية، وما يزال الأدب العربي يواصل عمله في معركة البناء"[1].

قدم الأدب تعريفاً للجزائر بلغتين مختلفين العربية والفرنسية، ولكنَّ هذا الإنتاج الأدبي كان قليلا مُقارنة بما قدّمه المستشرقون الفرنسيون طِّيلة عصر الاحتلال؛ فالإنتاج الأدبي باللغة الفرنسية كان أكثر من الإنتاج الأدبي بالعربية، ولقد انتشرت اللغة الفرنسية بالجزائر، ونشأ جيل من الكتاب الجزائريين يجدون صعوبة في الكتابة باللغة العربية، ولا يمكنهم التعبير عن مشاعرهم وأرائهم، إلاَّ عن طريق لغة المحتل، ومنهُم كاتب ياسين، مولود معمري، مولود فرعون، محمد ديب، مالك حداد، مالك بن نبي..

• وقال أحد المتفرنسين إنَّه ليس من العار أنْ يكتُب الكاتب باللغة الفرنسة أو غيرها مادام يُحسنها ويُسخِرها طيعة أمينة يقول مالك حداد "نحنُ نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية"[2]

فالأديب النَّاطق بالفرنسية يعتبر أنَّ المقياس للجنسية الأدبية هو التعبير عن الذات الحقيقة بصرف النَّظر عن جنسية الأديب لقد كان اهتمام أدباء المشرق بكتابات الجزائريين واضحة خلال نهاية الاحتلال الفرنسي على الجزائر، وخاصة منه المكتوب باللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية، فقد ترجموا عدة كتب إلى العربية أهمها؛ كتب محمد ديب، وكتب مالك حداد، وكتب كاتب ياسين، وكتابات المفكر مالك بن نبي التي تُرجمت إلى عدة لغات مختلفة،

---

[1]- محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص381.

• نذكر في هذا المقام رواية للكاتب مولود معمري بعنوان الربوة المنسية ورواية الكاتب محمد ديب بعنوان البيت الكبير وقد حلل الروايتين وأظهر من خلالها المعارضة السياسية للاستعمار.

[2]- المرجع السابق، ص380.

وتظهر هذه الترجمات في ترجمة محمد إبراهيم الكيالي وترجمة سامي، وعبد الصبور شاهين..

ويؤكد البَّاحث أبو القاسم سعد الله أنَّ أدب المغرب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، أقوى وأثرى صلـة بالآداب العالمية من غيره المكتوب باللغة العربية، وأنَّ أهل الشَّرق يتصِّلون اتصالاً أدبياً بالإنتاج الأجنبي، ومعظم كُتاب أهل المغرب العربي باللغة العربية يأخذون من أدب المشرق لأنَّـه يستقي من الآداب العالمية بطريقة غير مباشرة، فسامي الدروبي الكاتب السوري مُترجم قصـة محمد ديب (الدار الكبيرة) إلى اللغة العربية، يجيبنا فيقول "إنَّني لا أُريد إلى الأثر شيئا مما كـان يمكن له صدى لو كتب بالعربية، وإنَّما هو يفقد مزيته من ذلك الرواء، فالأثر قد ضاع منـه مرتين مرة حين يكتب بالفرنسية، ومرة ترجم عن الفرنسية"[1]

أما النَّاطقون باللغة العربية أمثال محمد آل خليفة، ومحمد رضا حوحو،وعثمان سعدي، وأبي العيد دودو، يعتبرون الأدب النّاطق بالفرنسية دخيلاً، لأنَّه نبت في ظروف تاريخية غير شرعيـة ويؤكد البشير الإبراهيمي أنَّ الأدب الجزائري كان دائماً عربياً "ويجب أنْ يضلَ أدبُنا عربيـاً يستمد شخصيته وأهدافه من حاجتنـا الواقعية لا المفتعلة ولا المزيفة"[2]

نذكر أنَّه في هذه المرحلة سيْطر الشعر على الإنتاج الأدبي الجزائري، وبدأت بذور الروايـة والقصة القصيرة في الظهور شيئاً فشيئاً، وكان الطابع لهذه العروض طابع وطني قومي نضـالي تحرري. أمَّا الرِّواية الفرنسية فقد بدأت في فاتح الخمسينات، بصدور رواية محمد ديب (الدار الكبيرة)، وبصـدور رواية مولود معمري (الرواية المنسية)، وبصدور رواية مولود فرعـون الأرض والدم)، والكُتاب في وقتها كانوا يُعبرون عن تجاربهم الشَّخصية التي عاشوها تحت نير الاحتلال والاضطهاد البغيض.

قُلنا، عبَّر أصحاب هذا الرأي إلى أنَّ الأدب لا بد من أنْ ينقطع من أصوله و مصيرهُ الزَّوال بزوال الأسباب التي أنتجته، ويمكننا اعتباره إلاَّ صورة لمرحلة تاريخية مملوءة بالأحزان والأقراح. يقول محمد طمار **"**فالأدب الجزائري قبل هذه المرحلة كان أدباً عربياً فلا بد أنْ يبقي عربيـاً، وهم يريدون وصل الحاضر بالماضي وأمالهم هي أمال ابن باديس، وجمعية العلماء في خلق أدبٍ كامل لا يقتصر على التعبير عن الذات القومية بل يتجاوز النطاق الفني الخالص إلى اتخاذ

[1]- **محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص383.**
[2]-**المرجع السابق، ص360.**

إطـار عربي تتجلى فيه الذات وتمارس قدراتها الفنية الجمالية "[1]

عانت الثقافة الجزائرية ويلات عديدة، فنجد عملية فرنسة الجزائر من خلال محاربة الثقافـة واللغة العربية وذلك بتقليص مدارسها ومعاهدها وتحويل أكثرها إلى مدارس للتعليـم الفرنسي الخالص، بالإضافة على الاستحواذ العديد من المخطوطات والكتب العربية والتراثـية المتوفـرة وأخذها إلى مكتبات فرنسية.

وبالمناسبة، فالعربية حافظت على وجودها خلال قرن وربع من الاحتلال بفضل رجالاتها ومدارسها القرآنية وجمعياتها المختلفة..إلا أنَّه بعد خروج الاحتلال اصطدمت الجزائر بإشكالية ازدواجية اللغة، إمَّا اعتماد اللغة العربية رسمياً أو الإبقاء على اللغة الفرنسية المكتسبة، وإِنْقسـم هؤلاء إلى فريقين:

ذهب الفريق الأول إلى اعتماد التعريب، لأنَّ التعريب يحافظ على اللغـة العربية ويستعيـد مقومات الشَّخصية الوطنية، وبذلك نتحرر من رواسب الاستعمار الثـقافية. وذهب الفريـق الثاني إلى اعتماد اللغة الفرنسية لأنَّهم يرون في العربية قصوراً ولأنها غير مواكبة للمسار العلمي والتقني ولا تصلح أنْ تكون لغة التعليم في الـمدارس والجامعـات ولا حـتى في لغة الإدارة والمؤسسات الاقتصادية، وذلك لافتقارها للمصطلحات العلمية والإدارية بالإضـافة إلى نقـص الإطارات التعليمية المعنية بتدريس اللغة العربية...

وفي النِّهاية لقد عمل أبناء الجزائر المستقلة على نَشْر الفرنسية في أقل من ثلث قرن، ومالم تقم به فرنسا خلال احتلالها قد تّم، وتَّمت معه أهداف الفرنكوفونية في نَشْر الثقافـة الفرنسية وإنْ تخلت فرنسا عن الأرض، فلن تتحلى عن المجال الثقافي في نشْر أفكارها وثقافتهـا وسياستهـا وخاصـة في الجزائر.

خامساً: دور جمعية العلماء المسلمين.

ما إنْ حلّت الذكري المئوية لاحتلال الجزائـر، حتى أعلنت جمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين رفضـها المطلق للاستعمار البغيض، ولِكُتابه المستأجرين، ولوسائله الإعلامية المسمُوعة والمقروءة المضللة للرأي العام الداخلي والخارجي..

فخلال ربع قرن (1931-1956م)، تركت جمعية العلماء المسلمين بصماتها

[1] - محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص381.

على الحياة الجزائرية ، وأثرت على عقلية أهلها ،ووجهت خطابها واهتمامها بالإنسان ككل،خاطبت عقله بالعلم والرشّاد والصلاح، وخاطبت قلبه بالموعظة والخطابة والواقعية، وخاطبت عاطفته بالحقِّ وترك الزّيغ والضلال، وأنشأت لذلك جمهرة من الدعاة والخطباء والباحثين والصحفيين والكتاب والشعراء والمدرسين، ووفرت لهم أماكن العمل والتوظيف تمثلت في المسّاجد ودُور العلم والمدارس وفي الصحف والمقلات..

إنَّ خطاب جمعية العلماء المسلمين، خِطابُ عقلي وروحي، يتدرج في مناحي الحياة (فيه التاريخ وفيه التعليم، فيه اللغة العربية وفيه العقيدة..)، ومُوجه إلى مختلف طبقات المجتمع مدينة وريف، إداريين وفلاحين، مثقفين ونجاريين، كتاب و حدادين..الخ .

فلقد تحدى عُلماء الجمعية السُّلطات الفرنسية، وقاومُوا كل حركاتها الهدامة، وأرائها المُضلِلة، وعلى رأسها المُبشرون والمستشرقون والمؤرخون، ومما دعت إليه الجمعية الرجوع إلى نقاط أساسية:

1- فهمُ الكتاب السَّماوي، والسُّنة النبوية المطهرة، والعمل بهما، والدفاع عنهما بأي ثمن، وخاصة من قبل المؤرخين والمستشرقين الفرنسيين، فقد زعم ريمون شارل أنّ الفِقه والشَّريعة الإسلامية هي أساس تأخر العرب وقال **"**بأنَّ التَّعاليم والمقاييس الفقهية تحاصر الإنسان من كل ناحية، فتنسج حوله شُباكاً تمنعه من كل تحرك خارج تلك التعليمات وتلك الأطر، فيفقد الإنسان إنسانيته، ويتحول إلى آلة ميكانيكية تخضع لتوجيهات الفقهاء، وإلى هذه الفقهية يُرجع الكُتاب عدم قدرة المسلمين المزعومة على التقدم والتطور، والاختراع والابتكار، لأنَّ الفقه بمثابة العقبة أمام الفكر الحر الخلاق وأمام إمكانية تقبل المجتمع للتغير والبِّدع والاكتشافات**"**[1]**.**

2- محُاربة البِّدع والخُرافات والفهم السّيئ للإسلام، كما اهتمت بشَّن حرب ضد المتصوفين والزَّاهدين الذين ابتعدُوا عن النهج العام للإسلام، حيث استَّغل الكثير من شُيوخ الزَّوايا جهل العامة بأمور القراءة الكتابة، وروجوا افتراءاتهم الزائغة، وبدأوا في امتصاص أموال المسلمين، وبعضهم وضع يّده في يّد إدارة المحتل، وقدمُوا لهم الأموال وقربوهم إليهم وأعلُو من شأنهم بالمنّاصب حيث أقنع بعضُ رؤساء المتصوفة أتباعهم بأنَّ الاستعمار الفرنسي قدرُ محتمُ من الله ولا يجوزُ بأي حال من الأحوال ردُ قضاءِ الله وقدره.

3- إصلاحُ التعليم الذي أفسدته إدارة المحتل، والرجوع إلى أصيل التراث العربي الإسلامي، ودعوا إلى تعميم تعليم اللغة العربية وتدريسها في جميع أطوار التعليم، كما طالبوا السُّلطات الفرنسية بالسَّماح لمعلمي القرآن واللغة

[1]- مناهج المستشرقين، ص**144.**

العربية بممارسة أعمالهم بحرية تامة. يقول مالك بن نبي **"**إنّ الغّرب يحاول دائماً القضاء على أصالتنا وتلويث صفائنا، فهناك أقلام وهناك أسطوانات وهناك مجلات خلاعية، وهنّاك كتب التربية الجنسية..وهذه كلُها ليست إلاّ مظاهر منظورة أو غير منظورة لوحش متعدد الأطراف، واسعُ المدى قدّرُ تسّمم أنفاسه الملوثة مناخاً تولد فيه القيم الثقافية الأصيلة، وتمتد أطرافه تتلوى كالأفعى..لِتُحكِم الخناق، وتخمد في أعماقنا وفى عبقريتنا وفي روحنا تلك الثروة الأساسية التي هي المنطلق في تحديد (منهج الثقافة)**"**[1].

وقد عملت الجمعية على تصفية العُجمة من اللغة العربية التي انتشرت خلال العهد الاستعماري على يد المستشرقين الفرنسيين والمترجمين العسكريين والأدباء المزدوجين، الذين غلبت عليهم اللغة الفرنسية بحكم توظيفها في جميع مناحي الحياة، وركز اهتمامها أيضا على إعطاء المرونة الحيوية من جديد للغة العربية بالتخلص من المحسنات البديعية التي تشبث بها كتاب ذلك العصر، فقد طوروا الأسلوب واهتموا بالفكرة، وخدموا اللفظ السّهل المعبر عن المعني الصحيح في وضوح وجلاءّ .

وقد اعتمدت الجمعية أيضاً على الصحافة في نشر مبادئها ومراميها وأهدافها، حيث أصدرت جريدة البصائر سنة1935م، ونشَّر ابن باديس أفكاره في مجلة الإقدام، ثم بعدها أسَّس جريدة المنتقد والشهاب، وتولى العقبي جريدة القِبلة في الحجاز، ثم ساهم في جريدة المنتقد، وفي جريدة صدى الصحراء، وسّاهم الإبراهيمي في نشر جريدة الشّهاب، وانفرد لوحده بجريدة البَّصائر.

هَمُ (الجزائر) خصوصاً وهَمُ (العرب) عموماً وهَمُ (المسلمين) بِشكل أعم كان محط اهتمام جمعية العلماء المسلمين، وكان ميدانها القلم الذي كان أشَّد فتكاً من طلقة رصاص، فالقلم كان الكتيبة الواعدة وكان صورة من صور الجهاد الحي الصادق.

1- الشيخ عبد الحميد بن باديس:

خدم وطنه ودينه ولغته، وقاطع فكرة التّغريب والفرنسة والإدماج، ولد عام 1889م، بمدينة قسنطينة، منشأه علمي محض، اِلتحق بجامع الزيتونة في تونس، وقصد بلاد المشرق ونهل من علومها وتراثها، اِلتقي مع خيرة العلماء والمفكرين المنادين بإحياء الدّين والنهضة الفكرية، وإصلاح الشعوب الإسلامية أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد العزيز جاويش، وعبد الرحمان الكواكبي.. اهتم ابن باديس بالصّحافة والإعلام وبالخطب المنبرية، وبالدروس والمحاضرات

[1]- مالك، بن نبي، مشكلة الثقافة، الجزائر، دار الفكر، ص137.

حوله كوكبة من الكتاب والخطباء والمثقفين، أمثال الشيخ •الفقهية، وجمع البشير الإبراهيمي، وتوفيق المدني والشيخ التبسي. وإليهم يرجع الفضل في والشيخ الميلي • تكوين جمعية العلماء المسلمين.

أهم ما قاله الشيخ عبد الحميد ابن باديس " أُخدموا العلم بتّعلُمه، وانشروه، وتحملوا كلّ بلاءٍ ومشقة في سبيله، وليهُن عليكم كل عزيز، ولتهُن عليكم أرواحكم من أجله..إنَّ هذه الأمـة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا يمكن أنْ تكون فرنسا، ولا تريـد أنْ تصير فرنسا، ولا تستطيـع أنْ تصير فرنسا لو أرادت، بل هي أمـةٌ بعيدة عن فرنسا كل البُعد في لغتـها، وفي أخلاقها وفي عُنصرها، وفي دِينـها، لا تريـد أنْ تندمـج، ولها وطن محدد معين هو الوطـن الجزائري"[1]

والقرآن الكريم هو الذي صاغ نفس الإمام عبد الحميد وهز كيانه، واستولى على قلبه وعقله حيث استنبط منهجه وفكره منه، ووظفها في سبيل الفكرة الإسلامية الصحيحة ورسم خُطاها وكون لها دعاتها أكثر من نصف قرن من الزمن حرصاً منه لبناء جيل متصل بمنبع الهدايـة الأخلاقية والإرشادية ـ القرآن-

2- الشيخ البشير الإبراهيمي:

اِستعمل لِسانه وقلمه في خدمة الإسلام، دافع عن اللغة العربية وحاور المفكرين والعلمـاء المسلمين والغربيين، راسل عدة دول عرض فيها أقواله الفكرية وأرائه التحررية، وانتقد عـدة باحثين ومستشرقين فرنسيين عاشوا في الجزائر. ولد بسطيف عام 1889م، وتتلمذ على يّدِ علمـاء بلده، وحج إلى بيت الله، ونّهـل من علمائها علوم الشريعة، والبلاغة، والنحو العربي.. وتأثر بأفكار المدرسة الإصلاحية التي تزعمها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده..

أهم أقواله: العدلُ هو الذي أخضع والبربر العرب، ولكنَّه خضوع الأخوة لا خضوع القوة، وتسليم الاحترام، لا تسليم الاختـرام، والعلم هو الذي طوع البربرية للعربيـة، ولكنه تطويـع البهرج للجيدة، لا طاعة الأمة للسيدة لتلك الروحانية في الإسلام، ولذلك الجمـال في اللغـة العربية.

مدحه الشّاعر مُحمد العيد آل خليفة فقال فيه[2]:

• نشأ هو أيضا في تونس، وجمع بين الثقافة العربية، وبين الثقافة الفرنسية، وانخرط في جمعية العلماء المسلمين، ودافـع عن العروبـة وعن اللغة العربية باستماتة.

• عرف بكتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" وهو أحسن إنتاج جزائري محض، صور فيه حقائق تاريخية دقيقة، ودحض به شبهات بعض المستشرقين.

[1]- محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص358.

[2] - محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 362.

قُلْ للبشّير رَفَعْتَ هَامـة أُمَـة دُلَت وَشَعبُ كان قبلَك خَامِـلاً
مَازِلتَ تَكشّفُ عن خَفي نُبوغه حتى تَبين للنَّواظِـر مَاثِـــلاً
أخْجَلتَ أقْطَابَ البَّيَانِ فَمَنْ يَكُن سُحبـان أوقسا يُلاقِك بَاقـلاً
أدْركْت في الفُصحى مَدارِكُ لم يَكُن في العصْـر ذو أَدَبِ إليـهَا وَاصِلاً
نَاهِيكَ بالخُطب الفِصَّاح شَواهداً انْدهَشَت إشْهـاداً بها ومحافِـلاً
مَهْمَا خَطَبت أصبْت لفظَكَ لهجةً أصَبتَ في المعْني كِلـى ومَفَاصِـلاً
تَالله لاَ أُوفِيـكَ حَقَك كُلُـه مَهْمـا نَسَجْت لَك المَديح غَلاَئـِلا[1]

3- المفكر الجزائري مالك بن نبي:

مالك بن نبي من الأعلام التي أنجبتها الجزائر فهو مفكر، وأديب، ومفكر،واقتصادي، ومؤرخ ترك، لنا زخماً معرفياً هاماً، فقد كتب في القرآن الكريم، وفي الثقافة، وفي الفكر، وفي الاقتصاد.

من أهم أعماله: شروط النهضة، الظاهرة القرآنية، فكرة الإفريقية الأسيوية، العـالم الإسلامي، مشكله الثقافة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، في مهب المعركة، تأملات في المجتمـع العربي، ميلاد مجتمع، المسلم في عالم الاقتصاد، مشكلة الإنسان، مذكرات شاهد القرن...الخ

فقد ولد بقسنطينة في الفاتح من جانفي 1905م، دّرس القضاء في المعهد الإسلامي، ثم المعهـد العالي للهندسة بباريس، وتخرج منها مهندساً في الميكانيك الكهربائية، قام برحـلات عديدة في أنحاء العالم الإسلامي والأوربي، والتقى بأهل العلـم والفكر والاستشراق، وتناولـوا أموراً في السياسة والفكر والاقتصاد..

أتاحت له هذه السفرية في العالم الغربي والعالم الإسلامي، إِزدواجية ثقافية بين فكـر العرب المتأصل في القرآن الكريم والسنة النبوية وحضارة المسلمين، وبين فكـر الغـرب المتأصـل في المسيحية وتراث اليونان والرومان.

فقد تعرف مالك بن نبي على الفكر العربي الإسلامي عن طريق الاستشراق نفسّه، واهتـم أيضاً بالصراع

الفكري في العالم الإسلامي المعاصر، و حضارة الغرب، وقام بجدلية فكرية حوارية خلُصت إلى نظريات متعددة أصبحت مرجعُ الطلاب والباحثين والمؤرخين في العالمين على حد سواء "إنَّ أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها، فكانت في مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الأكويني تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل إثـراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات المرفقة التي هدتها إلى حركـة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر. وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكـر الإسلامي مـرة أخري، لا من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي، لِوضع خططها السياسيـة مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية"[1].

فكان مالك بن نبي أول باحث يحـاول أنْ يُحدد المشكلة ويوصف حلولاً للعلاج، وكـان كذلك أول من وضع منهجاً محدداً بسيطاً في بحث مشكلة العالم الإسلامي على مبادئ علـم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ ...وقد أظهر أمراض الأمة الإسلامية مع إظهار أسباب نهضتها، ووضع الاستعمار الأجنبي تحت المجهـر، وحلّـل شخصيتُه ونفسيتُه ورصد أساليبـهُ ومناهجهُ...ويؤكد مالك بن نبي أنَّ عائق الشباب المسلم يكمن في عدم تعامله مع الحضـارة الغربية تعاملاً علمياً ونقدياً "والواضح أنَّ المشكلة التي تطرح نفسها لا تتعلق بطبيعـة الثقافـة الغربية بل بالطبيعة خاصة بعلاقتنا بها، فالطالب المُسلم الذي يلتحق بمدرستها هو بين نموذجين: الطالب المجد، والطالب السائح، وكِلا الطالبين (المجد والسائح) لا يذهبان إلى منابع الحضـارة، بل إلى حيث تتفطر فيها أو تلقى فيها نفاياتها"[2]

ويُؤول مالك بن نبي مشكلـة الشعوب في جوهرها إلى مشكلة حضارية، وبالتالي مالم تُفهم وتُحدد الأفكار لا تقوم أي حضارة فيها وعناصـر تشكلها في نظره تحدد بثـلاثة عناصـر: 1- عنصر الإنسان2- عنصر التراب 3- عنصر الوقت[3]

والحضـارة لا يمكن استيرادها من بلد إلى آخر رغم استيراد كل منتجاتها ومصنوعاتها، لأنَّ الحضارة ة إبداع وليست تقليداً واستسلاماً وتبعية كما يضنُ الذين يكتفون باستيراد الأشياء التي أنتجتها حضارات أخرى، فبعض القيم لا تُباع ولا تُشترى ولا تكون في حوزة يتمتع بـها كثمرة جهد متواصل أو هبة

[1]- مالك، بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، الجزائر، دار الفكر، 1991،ص 198.
[2]- مالك، بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص151.
[3]-مالك، بن نبي، تأملات، ص168.

تهبُها السَّماء كما يهب الخلد للأرواح الطـاهرة ويضـع الخير في قلوب الأبرار[1].

وقد ذكرنا في الفصل الأول كيف قسَّم مالك بن نبي طبقات المستشرقين، بين المعتدلين،وبين المتَّشدقين، وبين القدماء وبين المحدثين، حيث صَّرح أنَّه من الجيل المسلم الذي يُدين إلى المستشرق الغربي بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص، الذي اعتري الضمير الإسلامي أمام المد الحضاري الغربي، ويّري إنّ المجتمع الإسلامي ليس مصاباً بالفرقة والجهل ولا من قسوة الاحتلال، بلْ مُصابهُ العليل كامن في الذات الإسلامية "وهذا المرض ليس إلاّ القابلية الاستعمارية، وهذه القابلية أسبابُـها الجوهرية اقتصادية واجتماعية. فما دام المسلـم متخلفـاً اقتصادياً وإجتماعياً فالقابليةٌ الاستعمارية لا تُفارِقهُ "[2].

وبالتّالي يتبين لنا أنَّ "الإنتاج الاستشراقي بِكّلا نوعيه كان شراً على المجتمع، لأنَّه ركَّب في تطوره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء، التي حولت تأملاتنا عن واقعنـا في الحاضر، وأغْمستنا في النعيم الوهمي، الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقـلال من شأننا... بينما منْ واجبنا أنّ نقف منه عن بصيرة، طبعاً، ولكن دون هوادة لا نُراعي في كل ذلك سوي مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المُستسلمة لأي ظرف في التاريخ "[3].

وعيٌ مالك بن نبي جعله يربط علاقة بين الفهم القرآني والمد الحضاري والثقافي الذي ينشُدُه، بالإضافة إلى المنهج الفريد الذي يتبعه في عرض قضايـا القـرآن وربطـه بالواقـع المعـاش.

واستنتج أخيراً، أنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الديني الوحيد الذي يتمتع بامتياز الصحـة والقَبول لأنه كتاب سماوي رباني.

كما حضي الإعجاز القرآني لديه حيزاً كبيراً، ومؤلفاته دالة على ذلك"لقد قام إعجاز القرآن حتى الآن على الظاهر على سمو كلام الله فوق كلام البشر"[4] ويعلل بن نبي بالقَول أنَّ هـناك آية قرآنية دالة على سمو الأسلوب القرآني، ودالة على عجز العبقرية الأدبيـة في عصره، وهي الآية 23من سورة البقرة: حيث يقول الله تعالى فيها و"لم يذكر التَّاريخ أنَّ أحداً قد أجاب على هذا التَّحدي، وبهذا يمكن أن نستخلص أنَّه قد ظل
دون تعقيب، وإنَّ إعجازه الأدبي قد أقحم فعلاً عبقرية ذلك العصر"[5]

---

[1]- مالك، بن نبي، شروط النهضة، ص51.
[2]- محمد، طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص383.
[3]- مالك، بن نبي، القضايا الكبرى،ص 181.
[4]- مالك، بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، لبنان، دار الفكر العربي، 1987، ص57.
[5]- المرجع السابق، ص189.

واصل مالك بن نبي، عاملاً فِكره، وشاهراً قلمه في سبيل الفكرة الإسلامية، حتى وفته المنية يوم الأربعاء 31 أكتوبر1973م.

الخـــاتمــــة

الخـاتمـة:

ممَّا لاشك فيه أنَّ الفكر الاستشراقي بدأ يبحث عن نَفسِه نتيجة تلاقي حضارتين، كُتِب لهما
أنْ تَنْشأ وتزْدهرا في رقعة جغرافية مُتقاربة، كُلُ منها اعْتنقت ديانتين سماويتين مختلفتين (الإسلام والمسيحية)، وكلُ منها اِنتهت بدِّراسات تتصلُ بالإنسان، وبالحضارة الفكرية العربية أو الغربية، القديمة أو الحديثة..
ولقد أخَذ الاستشراق بُعده العلمي الحضاري الصِّرف، ولكنَّه أخذ منذ سقوط الأندلس بعداً استعمارياً إلى جانب بُعدَه ُالعِلمي، فَأنشئت مَدارس لتعليم اللغات الشرقية خصوصاً في فرنسا، ودَخلت العربية إلى هذا المعهد اِبتداءاً من مُنتصف القرن السادس عشر، وكـان في مُقدمـة المستشرقين الذين أدخلوا اللغة العربية إلى الكوليج دي فرانس، الأُستاذ كيوم بوستيل[1] الـدِّي يُعد أولُ المستشرقين الفرنسيين فيها، وأدت هذه المدرسة دورها في إعداد أجْيال متوالية مـن المترجمين لسَّد حاجيات الوظائف العامـة والخاصة التي تتطلبها حاجة فرنسا، خاصة في الميدان السِّياسي والاقتصادي والتِّجاري والمجال العسكري والاستعماري.
ومع فرنسا تَكونت الدِّراسات الاستشراقية، وكان خِريجُو هذه المدارس يَعملون في سفارات فرنسا وقنصلياتها في البلدان العربية، كسفراء أو مترجمين أو مستشـارين أو مُلحقين ثقافيين؛ ويُمكن أنْ نشير إلى أنَّ جُهود هؤلاء اِتجهت إلى خدمة المصالح الفرنسية، وخاصة عند احتلال الجزائر سنة 1830م، وقبل ذلك، حملة نابوليون على مصر؛ واِنطلاقاً من الجزائر ضُمت تونس
لإمبراطورية فرنسا 1880م،وضُمت المغرب الأقصى سنة 1912م، واِنصب الاهتمامُ علـى دِراسة لُغات وتاريخ وعادات وتُراث شعوبها.
وما من شَّك في أنَّ أول اِهتمام كان مُنصباً على اللهجات البربرية، حيث كان لهُ بُعدٌ عِلميٌّ وجُغرافيٌ وبُعدٌ استعماريٌ، فتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا كانت كل واحدةٍ منها تَتَكون من وحدة شعبية إسلامية فَصيلتُها اللغوية العربية والأمازيغية هذا من جانب، ومن جانب آخر اِتجه المستشرقون بعد ذلك إلى جمع عدد هائل من المخطوطات، وقام بذلك سُفراء ومبشـرون وتجار وجواسيس وسُّواح ومستعربون اِنتقلوا خصيصاً لهذا الغرض، وكانت

---

[1] أدخل بوستيل كيومGuillam Postel (1505-1581)العربية إلى معهد الكوليج دي فرانس1514م، وفي هذا المعهد تكون أغلب المستشرقين الفرنسيين، ودرسوا علوم العرب وآدابهم، وكان من نتاج هذه المدرسة بروز مستشرقين لامعين مثل جاك بيرك Jaques Berque وأندريه ميكيلAndr Miguel.

هذه الكُتب مصدراً مهماً لدراسة الإسلام والحضارة العربية، ثم وضّع المستشرقون لها فهارس علمية، تعتبر مَرجعاً مُهماً لا يمكن الاستغناء عنه، ثم قاموا بدراسات بعضِها وترجمة بعضها الأخر، أو ترجمة مقتطفات منها، حتى اِنتهى بهم الأمر أخيراً إلى تصويرها خوفاً من الاندثار والضاع.
والاعتراف بهذه الخدمات لا يَعني أبداً إغفال الهفوات والعيوب، التي وقع فيها المستشرقون نتيجة عدم التَّعمق في فَهم اللُغة العَربية وأسرارها؛ ونتيجة عدم فهم عَقلية الجزائريين ونظامهم، ونتيجة تغليب الذاتية، وانعدام الموضوعية.

فمن الصَّعب جداً أنْ نجد تطابقاً بين ما يَكْتُبُه المستشرقون والبَاحثون الغربيون عن العرب والمسلمين، وعن حقيقة الإسلام والعقيدة واللغة العربية، وبين الواقع الذي تحياه يومياً هذه الأمة، ومن هذا المنْظُور؛ كلُ ما يُقال وما يكتب عن هذه الأمة، يَهمُنا بالدرجة الأولى سواءٌ أكان حقيقياً أم مفتعلاً، وكثيرُ من الدِّراسات كانت بِدافع التَّحامل على الإسلام، أو الانحياز لمواقف مذهبية أو سياسية معينة، أو التَّركيز على المسائل الخلافية وتعميقها، أو الاعتماد على مصادر ضعيفة واهية، مِمَّا تَفضي هذه الدراسات إلى قلب الحقائق وتَغَلْغُلها في الذهن واِعتبارها هي المرجع المقتدى؛ فمن تحريف إلى تشويه، ومن تشويه إلى تَغيير، وبذلك تُصبح الصورة المتداولة عن حضارتنا هجينة كاريكاتورية.
فكَوْنُ المستشرق موضوعياً، إذا كان جُهده الحق البَّحث عن الحقيقة انطلاقاً من دلائل واضحة مُمَنهَجة، يَجمعها ويحللها باتصال فِكري مُعتمداً أساساً على المنطق الواعي وعلى أداة العقل. ويكون المستشرق ذاتياً إذا وَجَّه بحثُه لتحقيق مَرامي مَقْصودة، ظناً منه أنها الحقيقة، ويكون حافزه نوازع إيديولوجية، أو استعمارية أو سلطوية.. وهذه المفارقة نجدها أيضاً عند السَّامع أو المشاهد (المتلقي)، حيث يجب أنْ يكون حُكمه مُتطَّلعاً إلى تحقيق الموضوعية، مُنصرفاً عن الأهواء الشَّخصية والتوجهات الفاعلة الصرفة، مثل التَّوجه الديني والتوجه التاريخي والتوجه الاقتصادي.

نتائج هذا البحث:

1- لا ينبغي الحطً من قيمة الجهود الفكرية والعلمية للمستشرقين الفرنسيين بتأثير الفكرة الداعيـة إلى أنَّ المستشرقين كانوا جميعاً في خدمة المستعمر، بل يجب علينا تثمين هذه الأفكار
و إعادة طبع التراث الذي نشروه، ثم ترجمته الى اللغة العربية.

2- يجب تَكْوِين خلية من الباحثين والدارسين يُتابعون أعمال المستشرقين، والدِّراسات التي أنجزوها في مختلف محاور المعرفة وخاصة في الجزائر.

3 – يجب تكوين لجنة تضُم بين أعضائها مختصين في العلوم الشرعية، وفي فنون الترجمة يقومون بتصويب الترجمات القرآنية المختلفة معتمدين على ترجمة معاني القرآن، وتأسيس مَعهد يهتـم بالدرس الاستشراقي في الجزائر؛ وبذلك نحذو حذوا معـهد المملكة العربية السعودية وغيرها، في إنشاء معاهد للدراسات الاستشراقية، مُحاولة مِنهم دَفع شُبُهات التغريب، وكَشف حقائق التراث العربي الإسلامي. ونذكر في هذا الصدد دورات المؤتمر الدولي للاستشراق والدارسات الإسلامية الذي رعته المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وشعبة الدارسات الإسلامية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك السعدي بالمغرب- المنعقدة بتاريخ 28/26 نوفمبر 1995م وحثوا فيه على تطبيق نتائج هذا المؤتمر وتوصياته.

4- فتح أبواب الحوار مع المجتمع الاستشراقي الفرنسي، ومُراجعة بعض الحقائق المغلوطة بمنهج علمي واضح، وبإستراتيجية نقدية موضوعية.

وأخيراً، أعتقد جازماً أن هذا البحث المتواضع يشمل على جوانب قصور متعددة أطمع في

أنْ يتكرم أساتذتي الأفاضل بتقويمها وإستدراك الأخطـاء التي وقعت فيها، ولكم مني جزيـل

الشكر والاحترام.

فهرس المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

المصادر والمراجع:

1- بدوي، عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، ط4، المؤسسة العربية للدراسات والنـشر 2003.

2- بن إبراهيم، الطيب، الاستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الجزائـر، دار المنابع، 2004.

3- بركات، يونس، الاستشراق والتربية، ط1، دار الفكر، 2003.

4- بلغيث، محمد الأمين، ط1، بيروت، دار البلاغ، دار ابن كثير،2001.

5- البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القران الكريم، دار الأفاق،1980 .

6- التميمي، عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ديوان المطبوعات الجامعيـة، ط.1985،2

7- جبل، محمد حسن، الرَّد على جولدتسيهر في مطاعنه على الـقراءات القرآنيـة، ط2، القاهرة، 2002.

8- الجندي، أنور، الإسلام والثقافة الغربية، مطبعة الرسالة.

9- سموم الاستشراق والمستشرقون في الدراسات الإسلامية،دار الشهاب، 1957.

10- الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية .1982

11- الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية وأثـرها في الدارسات الإسلامية ،ج1،ج2، طرابلس 1997.

12- أبو خليل، شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، الجزائر، دار الفكر، 1992.

13- دراجي، محمد، الاستشراق والدراسات القرآنية ، الجزائر، دار البلاغ.

14- درويش، أحمد، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار الغريب، 2004.

15- زقزوق، محمد حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصـراع الحضـاري، القاهرة، دار المعارف، 1982.

16- زيدان، جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، موفم للنشر، .1993

17- السامرائي، القاسـم، الاستشراق بين الموضوعيـة والافتعالية،ط1،دار الرفـاعي للنشر،1983

18- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ط3، بيروت، دار الوراق 1985.
19- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1998
20- أفكار جامحة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، 1981. **21-** آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط2، الجزائر، 1981. **22-** تجارب في الأدب والرحالة، ط1، الجزائر، م. و. ل.و،1983.
23- سعيد، ادوارد، الاستشراق، لبنان ، دار الأبحاث العربية ، 2001.
24- سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،م.و.للكتاب.1984.
25- السفياني، عابد بن محمد، المستشرقون،ط2، دار المنارة،1992.
26- سمايلوفتش، أحمد ، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي،ط1، مصر، دار الفكر العربي 1989.
27- شتاليه،أ.ل، الغارة على العالم الإسلامي، الجزائر، د،م،ج،1985.
28- شريط، عبد الله، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، الجزائر،1975 .
29- أبو شهبة، محمد، دفاع عن السنة، ط1، بالقاهرة، مكتبة الرسالة، 1989.
30- الصغير، محمد على، المستشرقون والدارسات القرآنية، ط8، المؤسسات الجامعية للدراسة، .1986
31- الطمار، محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، .1981
32- عبادة، عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، ط1، الجزائر، دار الشهاب والنشر، 1984.
33- عبد العزيز،زينب، ترجمات القرآن إلى أين،وجهان لجاك بارك، مصر مكتبة وهبة1994.
34- العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج1، ج2، ج3، دار المعارف، 1982.
35- عكاشة، شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، الجزائر،د.م.ج. 1993.
36- أبو العلا، محمد حسين، القرآن وأوهام مستشرق، المكتب العربي للمعارف.؟؟
37- عوض، صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الجزائر،الزيتونة للإعلام والنشر،1989

38- عوض، إبراهيم، المستشـرقون والقـرآن، ط1، القاهـرة، مكتبة زهراء الشـرق.
39- عظمة القرآن الكريـم وجهالات المبشرين، القـاهرة،م.ز.ش. 2005
40- مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي.
41- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقيـة، ط1، مكتبة البلد الأمين، .1998
42- فروخ، عمر، ومصطفى الخالدي، التبشير والاستشراق في البـلاد العربـية المكتبـة العصرية،.1973
43- فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ط1، الأهلية ،1998.
44- الفيومي، محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي،.1993
45- قطب محمد، وقعنا المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، .1989
46- أبو ليلة، محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ط1، مصر، دار النشر للجامعات، 2002.
47- مراد يحي، افتراءات بعض المستشرقين على الإسلام ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004 .
48-الموسوعي،محسن،الاستشراق في الفكر العرب،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1993
49- الميداني، عبد الرحمان، أجنحة المكر الثلاثة وحوافيها، ط4، دمشق، دار القلـم،1985.
50- بن نبي، مالك، القضايا الكبرى، ط1، الجزائر ، دار الفكر، .1991
51- الظاهرة القرآنية، دار الفكر، .1969
52- شروط النهضة، ترجمة، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الفكر،1986.
53- النَّدوي، أبو الحسن، حديـث مع الغرب، ط1، دار الإرشـاد، 1967.
54- الإسلاميـات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين،ط3، سوريا، مؤسسة الرسالة، 1987.
55- نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن،ترجمة: جورج تامر، ط1، بيروت، مؤسسة كونراد –أناور، 2004.

56- هلال، عمار، العلماء الجزائريون فلي البلدان العربية الإسلامية، د.م .ج، 1995.
57- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب،ط1، المكتب التجاري للطباعـة 1964.

المراجـع بالفرنسية:

1- Afrique depuis 1800 Roland olivier et Antony Atmore, Traduit de Langlais par Odette Grisard Presses universitaires de paris, 1970
2- Algérie Des Anthropologues, Philippe Lucas, Jean – Claude – Votin, François Mospero, Paris ,1979.
3- Le coran, Jacques Berque, Suivi d une étude exégétique, Sindbad, Paris, 1991.
4- Le coran, Régis Blmachère, Paris, 1951.
5- L histoires de Maghreb, Abdallah Laroui, François Maspero, Paris 1970.
6- Mounjed-France- arabe –Librairie orientale – Beyrouth -1989.

المجــلات:

1- عبد الحميد غراب، "رؤية إسلامية استشراقية"، ط2، لندن، مجلة المنتدى، ص03.
2- عبد الرزاق خليل "الاستشراق والاستشراق العربي" مجلة الإمارات للثقافة والتراث، 2005 م، ص100.

3- عبد الكريم غلاب، "عرض تمهيدي عن الاستشراق" مراكش، مجلة المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكـاديمية المملكة المغربيـة، أفريل 1993م، ص21 .
4- عبد الله محمد الأمين النعيم"الاستشراق في السيرة النبوية" ط1، 1997، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،ص.45
5 - محمد الدسوقي،"تقويم الفكر الاستشراقي أو الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي" وهران، مجلة الحضارة، دار الغرب للنشر والتوزيـع، عـدد05، 2001، ص99.
6- محمد السويسي، "موقف بعض المستشرقين من العلم العربي" دوريات مناهج المستشرقين في الدارسات العربية والإسلامية " الرياض، ج2، المنظمة العربية للتربية والثقافـة والعلـوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

المجـلات بالفـرنسية:

1 - Journal Asiatique .A.de. Motylinski, Paris, 1911,1915.
2 - Rêve du Monde, Musulman, 1910.
3 -Rêve Africaine, Renie Basset, EMILE MASQRAY, A.de. Motylinski...Alger, 1898, 1905, 1911, 1913…

4 -L histoires des arabes, Dominique Sourdel, Presses, Universitaire, de France, 1980.

المواقــع الالكترونية:

*مركـز المدينة المـنورة لبحوث الاستشراق،بقلم WWW.ISLAM-TODAY.NET
د.مازن مطبقاني،بتاريخ:2008/02/11.

* مجلة التراث العربي بقلم الأستاذ: مأمون الجنان، 2006. -W.AWU
DAM.ORG
* الإستشراق والإعجاز في القرآن الكريـم، بقلـم
TODAY.NETWWW.ISLAM
د. علي بن إبراهيم النملة ،2007/04/04.

الفهرس

الصفحة